


روشن دالال



تاريخ





للهند



للأطفال



رسوم توضيحية من قبل آروهي فادكي

روشن دالال

تاريخ للهند للأطفال

رسوم توضيحية من قبل آروهي فادكي
خرائط من قبل سومان تارافدار

شركة روفين للكتب

طبع أولا من قبل شركة بنجوين الهندية للكتب (Penguin Books India) 1997م

10987

إلى
أمي
نرجس دالال

الفهرس

تقديم

هذا الكتاب في الواقع حصيلة السنين العديدة التي قضيتُها في مهمة التدريس في مدرسة ريشي فيلي بولاية آندهرابراديش،حيث لاحظتُ لدى الطلاب الصغار الحيوية والنشاط وحب الاستطلاع وكثرة الأسئلة، إلا أنه لم يكن هناك أي كتابٍ في "تاريخ الهند " يُمكنهم قراءته وفهمه بيسر وسهولة.

ولذلك لدى إعداد هذا الكتاب راعينا عقلية الطلاب الصغار و ذهنيّتهم، وقسّمناه إلى فصول قصيرة نسبياً تحتوي على عددٍ كبيرٍ من العناوين الثانوية ليتسنى مطالعته، فهذا الكتاب – فضلاً عن المفاهيم والأفكار التي يشتمل عليه-يعتمد على المعلومات أيضاً مما يزيد من قيمته ويجعله مرجعاً مهماً.

ولدى كتابتي هذا التاريخ لقد راعيتُ بعض العوامل، منها أن يكون دقيقاً ويشمل وجهات النظر التاريخية المعترف بها، وأن يقدّم إلى الطلاب الناشئين مصادر مختلفة بما فيها علم الآثار، وأن يولي نفس القدر من الاهتمام بتاريخ جنوب الهند التي أهملت عادةً، وأخيراً أن يكون ملائماً لعقلية الصغار لكي يقرؤوه ويستوعبوه بأنفسهم.

إنني استخدمت مصادر مختلفة عديدة لا يمكن حصرها في هذا المكان، غير أنني أذكر منها فيما يلي بعض المصادر الثانوية الرئيسية وهي: " تاريخ الهند مجلد1 " لـ (روميلا ثابر)، و " تاريخ الهند مجلد11 " لـ (بيرسيفال إسبير)، و " تاريخ الهند مجلد1 " و" الأعجوبة التي كانت الهند الجزء الأول " لـ (إيه إيل باشام)، و "الأعجوبة التي كانت الهند الجزء الثاني" لـ (إيس إيه إيه رضوي)، وغيرها تاريخ متقدم للهند سلسلة كتب التاريخ نُشرت من بهارتيا فيديا بهاوان من تحرير آر سي مجومدار حول تاريخ وثقافة الشعب الهندي، و" نهضة الحضارة في الهند وباكستان " لـ (بريدجيت وريموند التشين)، و " النضال من أجل التحرير" لـ (بيبين تشاندرا وأمليس تيرباثي وبارون دي)، و " نضال الهند من أجل الاستقلال" لـ (بيبين تشاندرا)، و" تاريخ جنوب الهند سلسلة المقررات الدراسية لمادة

التاريخ " لـ (نيلا كانت شاشتري) المنشورة من قبل المجلس القومي للأبحاث التربوية والتدريب (NCERT) والمقررات الدراسية للعلوم الاجتماعية المنشورة من قبل مجموعة إيكلافيا في هوشنغ آباد، وكذلك استخدمت البحوث التي قمت بها أنا إضافة إلى مصادر أصلية أخرى.

وأخيراً أود أن أشكر من أعماق قلبي البروفيسور روميلا ثابر التي تفضلت بمراجعة المسودة وتقديم الاقتراحات القيّمة التي نفذتُ الكثير منها، كما أشكر رئيسة التحرير أنوبها دويلي التي أخلصت في العمل وأخرجت الكتاب في صيغته النهائية،وأشكر أسرتي التي ساعدتني وشجعتني في كل المراحل، وكذلك أنا مدين بالشكر لأروهي فادكي للأعمال التوضيحية وسومان ترفدار لإعداد الخرائط، وقبل كل شئ أود أن أشكر طلاب مدرسة ريشي فيلي الذين درّستهم أو كنت على اتصال بهم خلال فترة من 1988 إلى 1994م.

نظام للتاريخ

إن التواريخ قد تُحدث خلطا بين الأشياء، لذا نقدّم توضيحاً فيما يلي لبعض المصطلحات التي وردت في الكتاب.

قبل الميلاد و بعد الميلاد

هذا هو عام 1997 بعد الميلاد،وكان العام الصفر بعد الميلاد قبل ألف وتسعمائة وسبع وتسعين عاماً، وماذا كان قبل ذلك ؟ نعدّه إلى الوراء من ذلك الوقت، ونُطلق على السنوات التي مضت قبل ذلك **قبل الميلاد**، لذا يمثل عام 1 قبل الميلاد عاما واحدا قبل عام صفر بعد الميلاد، أي قبل 1998 عاما من العام الراهن، ويمثل عام100 قبل الميلاد 2098 عاما قبل العام الراهن، هكذا فإن عام 250,000 قبل الميلاد يعني 251,997 عاما قبل العام الراهن، وهذه إحدى الطرق للتاريخ،كما أن هناك تقاويم أخرى أيضا.

حوالي

حوالي 250 بعد الميلاد أو 350 بعد الميلاد يعني أن التاريخ الدقيق غير معروف ولكنه قريب من ذلك.

القرن

القرن هو مائة عام، ويشير القرن العاشر بعد الميلاد إلى المائة عام بين 900 و999. ويشير القرن التاسع عشر إلى المائة عام بين 1800 و 1899

طبع في أشيم برنت لاين ، سي – 89 ، جانيش ناجر كمبلكس ، دلهي لشركة ايه – ان – بي ببلشرز الخاصة المحدودة تحت اتفاق مع شركة بنجوين للكتب الهند الخاصة المحدودة .

النسخة المختصرة

الفصل الأول
أرضنا الهند

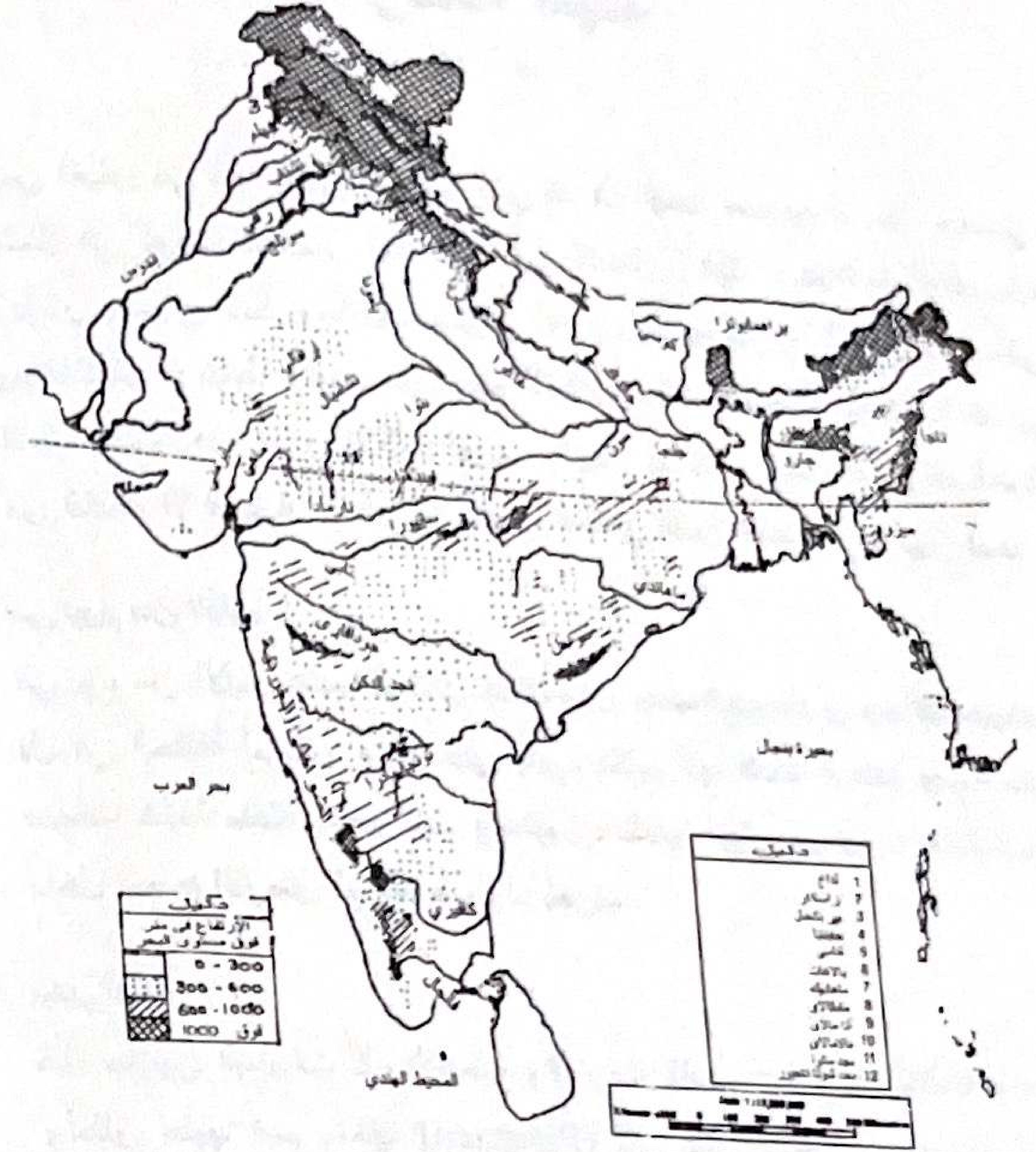
نحن نعيش في شبه القارة الهندية التي تُعرف أيضا بجنوب آسيا، وهي تشمل في الوقت الحاضر عدة دول هي باكستان والهند وبنغلاديش ونيبال وبوتان وسري لانكا ومالديف وجزر أخرى. يرتبط تاريخ الهند وباكستان وبنغلاديش ارتباطا وثيقا. فقبل عام 1947م كانت المنطقة بأكملها التي كانت تحتلها هذه الدول الثلاث تُعرف بالهند. أما كلمة الهند فهي مأخوذة من الكلمة الإغريقية "Indoi" وتعني السكان الذين قطنوا قرب نهر السند.

في يوم من الأيام ...

في يوم من الأيام عندما لم تكن هناك مدن ومصانع وطرق وسكك حديدية بل في الحقيقة لم يكن هناك حتى بشر، فلابد أنها كانت أرضا جميلة مغطاة بغابات كثيفة مليئة بالحيوانات والطيور، تشقها أنهار صافية برّاقة وثرواتها داخل سطح الأرض لم يُكتشف ولم يُعرف.

بحر تيثيز

قبل ملايين السنوات كل الأسطح والقارات كانت عبارة عن كتلة واحدة. وأُطلق عليها اسم بانغايا (Pangaea) التي كانت تتكون من جزئين لوراسيا (Laurasia) و غوندوانالاند (Gonddwanaland). وكانت الهند تشكّل جزءاً من غوندوانالاند. وقبل حوالي 190 مليون سنة بدأت بانغايا في الانقسام. فانفصلت عنها الهند وأصبحت جزيرة ثم تحركت تدريجيا نحو الشمال ودخلت تحت سطح يوراسيا (Eurasia).



الملامح الطبيعية للهند

قبل خمسة إلى عشرة ملايين سنة

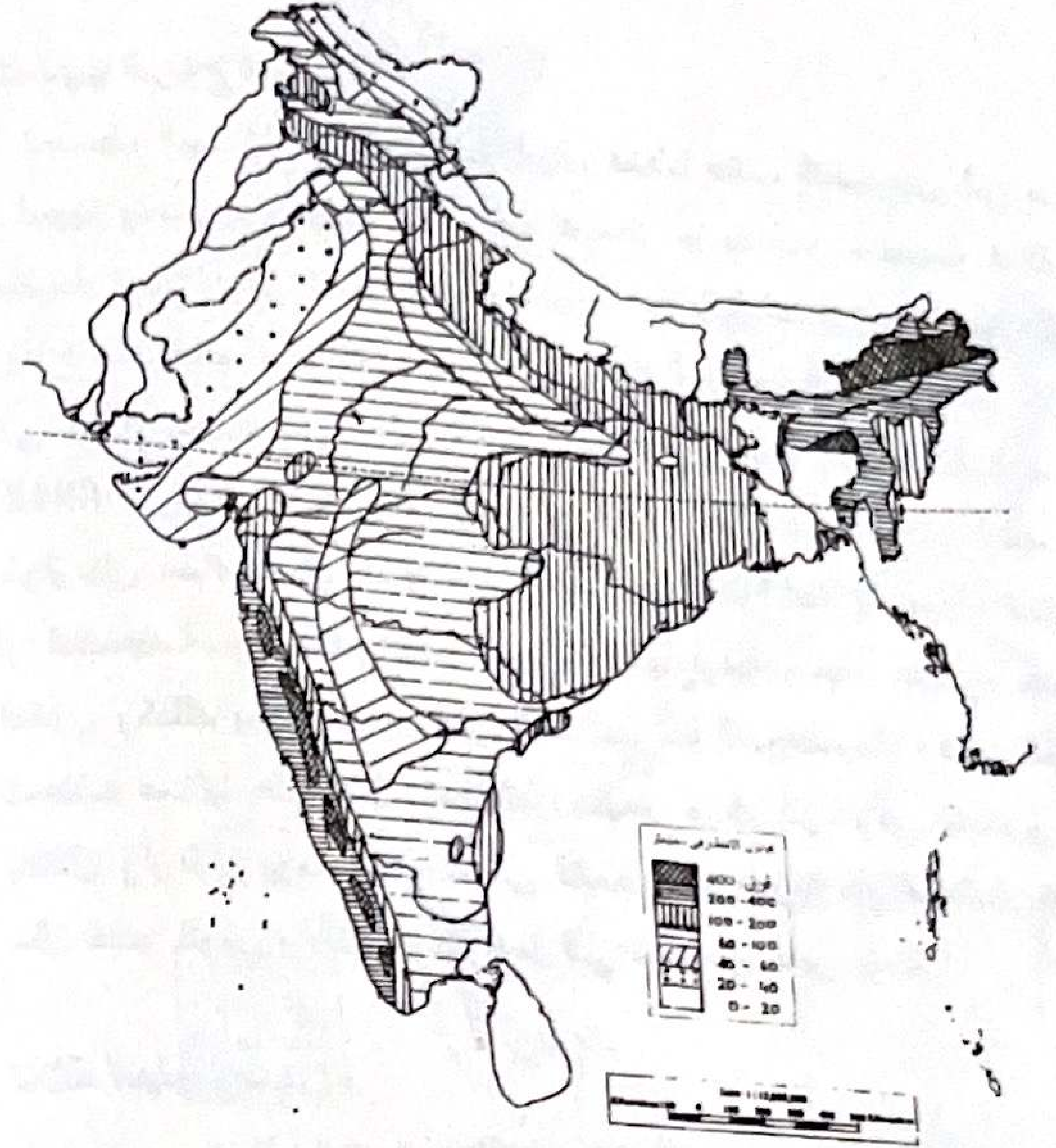
يُقال إن السطحين الهندي واليوراسي كانا يلتصقان بشكل كامل قبل خمسة إلى عشرة ملايين سنة فقط.

حيث تهب الرياح البيضاء

لما انضمت الهند إلى آسيا وتكونت جبال هملايا كانت التضاريس إلى حدٍ ما شبيهة بتضاريس اليوم. تشكل قمة إفرست جزءاً من سلسلة هملايا العظيمة الممتدة عبر شمال الهند وتفصلها عن بقية آسيا. يبلغ متوسط ارتفاع هذه السلسلة 6000 متر. تحتوي هذه السلسلة مع سلسلة كاراكورام التي تُعدّ فرعاً لها على أعلى 14 قمة جبلية في العالم ابتداءً من إفرست (8848 متراً) إلى قمة جانو (7710 متراً). وفي جنوبها تمتد سلسلتان متوازيتان هما: هملايا المتوسطة (3700 إلى 4500متر) وهملايا الخارجية أو المنخفضة. وهذه السلاسل الثلاث تتخللها أودية واسعة عديدة يسكنها الناس. وكذلك يعيش الناس على المنحدرات المنخفضة. وفي الغرب تنعطف هملايا على شكل السلسلتين سليمان و كيرثار. وفي الشرق نجد باتكال وآراكان يوما. وفي أقصى الشمال نجد المزيد من السلاسل الجبلية مثل هندو كوش و ألتاي وغيرهما التي تمتد من بامير نوت.

ثلاثة أنهار وصحراء

في جنوب هملايا تمتد السهول الشمالية الكبيرة إلى 3200كم بين مصب النهرين السند (Indus) وغانغا (Ganga) . وهذه السهول عبارة عن رمال ناعمة تجمعت عبر آلاف السنين من الأنهار الثلاثة السند وغانغا برامبوترا وروافدها.



هطول الأمطار

وبين منطقة السند الخصبة وسهول غانغا تقع مرتفعات آرافلي (Aravalli) وصحراء ثار(Thar) الجافة.

المثلث الكبير

في جنوب السهول الشمالية يقع نجد شبه الجزيرة (Plateau) وهو على شكل مثلث معكوس غير منتظم. ويتكون هذا النجد بأكمله من صخور قديمة تتراوح ارتفاعها من 600م إلى 900م. سلسلة جبال فينديا - كايمور و ساتبورا - مايكال تجعل الخط الفاصل بين شمال الهند و جنوبها. وحدودها الغربية محددة بالموارد الغربية. ومرتفعات نيل غيري (Nilgiri) التي يقع عليها المصيفان الشهيران أودهاغاماندلام (أوتي) وكودي كانال يُعتبران جزءاً من هذه الموارد. أما الحدود الشرقية فإنها محددة بالموارد الشرقية وبها سلسلة من المرتفعات مثل نالا ماليس (Nallamalais) وفيليكونداس (Velikondas) وبالكونداس (Palkondas) وباشماليس (Pachmalais).

ومن الأنهار التي تجري في شمال فينديا (Vindhyas) تشامبل (Chambal) وبيتوا (Betwa) وسون (Son) وفي الجنوب تجد نارمادا (Narmada) وتابي (Tapi) وماهانادي (Mahanadi) وغودافري (Godavari) وكريشنا(Krishna) وبينار (Pennar) وكافيري (Kaveri). وتمر هذه الأنهار عبر عمق هذا النجد وتقع على سواحلها أراضي خصبة.

وبين هذه الموارد والبحار تقع سهول ساحلية فيضانية واسعة يصل عرضها إلى 100كم في بعض المناطق.

رياح رملية ورياح رطبة

من أبريل إلى يونيو تهب الرياح المغبرة الحارة التي تدعى (لو) فوق شمال الهند ، و لكن في شهر يونيو تهب الرياح الباردة من جنوب الغرب

فوق منطقة المحيط الهندي و بحيرة بنجال و تبرد الأرض و هي تدعى رياح المونسون ، و يصبح الجو لطيفا و باردا جنوبا من جبال فيندهيا في الفترة بين نوفمبر و يناير.

وأما في الجنوب من فينديا (Vindhyas) فيكون الطقس معتدلا وباردا بين نوفمبر ويناير إلا أن في الشمال من فينديا يكون الطقس باردا جدا حتى فبراير. وتتساقط الثلوج على الجبال المرتفعة، وفي السهول تنخفض درجة الحرارة إلى الصفر المئوي.

السمراء والسوداء والحمراء

هذه هي ألوان الأتربة في الهند. إن الأتربة الطمية السمراء التي توجد في السهول الشمالية تُعتبر أكثر الأتربة خصوبة. وأما الأتربة الطمية الجديدة التي توجد قرب الأنهار تُسمى بـ خادار (Khadar) و أما القديمة منها التي توجد على مناسيب عالية من شواطئ الأنهار فهي تُسمى بـ بهانجار (Bhangar) وتُعتبر أكثر الأتربة طينية.

في معظم المنطقة النجدية توجد الأتربة السوداء والحمراء التي تكونت من تحطم الصخور بأسفلها منذ ملايين السنوات وألوانها تعتمد على المعادن الموجودة داخل هذه الصخور.

وبالإضافة إلى ذلك توجد تربة اللاتريت (التربة الحمراء) في المناطق المرتفعة من هذا النجد.

من الأعشاب الوردية إلى الشائكة

تنبت الوردية التي هي عبارة عن أعشاب أو أشجار صغيرة دائمة الخضرة وكثرة الزهور ذات الألوان المختلفة على جبال هملايا وبالتحديد أسفل المناطق التي تغطيها الثلوج على مدار السنة. وتغطي غابات معبلة رطبة

وغابات معبلة جافة استوائية معظم مناطق شبه القارة،كما توجد شجرة ساج بشكل عام في هذه الغابات.

المظاهر الخفية

تحت الأغصان الورقية للأشجار وبين الحشائش والأعشاب تختفي الطيور والحيوانات والثعابين ذات الألوان والأنواع المختلفة . ويقال إنه في وقتنا الحاضر يبلغ عدد أصناف الحيوانات في الهند 76000 صنف يشمل الثديات والطيور والزواحف والأسماك وفي الماضي كان العدد أكبر من هذا.

تحت سطح الأرض

يزخر باطن الأرض بجميع أنواع الثروات المعدنية كالحديد والنحاس والذهب والفضة والرصاص والزنك والأحجار الكريمة وشبه الكريمة والفحم والزيت.

الحدود الطبيعية

لشبه القارة الهندية حدود طبيعية هي جبال الهملايا مع امتداداتها الشرقية والغربية والبحار والمحيطات، يحدها من الغرب بحر العرب ومن الشرق خليج البنغال والمحيط الهندي.

المؤثرات الخارجية

تأثرت الهند باتصالها بالمناطق الأخرى، جرى هذا الاتصال في الجبال الشاهقة عن طريق الممرات والشعب الجبلية على طول السلاسل الجبلية ولاحقاً عن طريق البحر بعد تطور الملاحة البحرية وحصلت كثير من التغيرات في تاريخ الهند نتيجة اتصالها بشعوب المناطق الأخرى.

الفصل الثاني

الناس الأوائل

هل كانت هناك حياة في الجزيرة العائمة ؟

- عمر الأرض 4600 مليون سنة
- بدأت الحياة قبل 2000 مليون سنة
- نشأة القرود قبل 25 مليون سنة
- من القرود تطور المخلوق مثل البشر(Ramapithecus) قبل 10-14 مليون سنة Australopithecus قبل 5 ملايين سنة و Homo erectus قبل مليونين سنة وHomo sapien الإنسان الحديث قبل 35000سنة.

متى و أين ؟

كيف نعرف متى وأين عاش الناس الأوائل ؟ فهم لم يعرفوا طريقة كتابة أو تسجيل الأشياء آنذاك. غير أن علماء الآثار بمعاونة العلماء الآخرين يقومون بدراسة المواد المتبقية أو الآثار التي خلفها الناس الأوائل كالهياكل العظمية والجماجم والبيوت والأدوات والأشياء التي استعملوها.

العصر الحجري

يقال إن الناس الأوائل في كافة أرجاء العالم ينتمون إلى العصر الحجري أو العصر الحجري القديم وذلك لاستعمالهم أدوات حجرية.

وفي تلك الأيام يبدو أن الحيوانات كانت أفضل حظاً من البشر لأن كثيراً منها كالأيل والنمور كانت أسرع من الإنسان جريا، وكانت لدى البعض أسنان حادة ومخالب و أخرى كالفيلة ووحيد القرن كانت ضخمة و قوية، حتى الصغيرة منها امتازت بالسرعة والاختفاء في الجحور. أما البشر فكان عليهم حماية أنفسهم والبحث عن قوتهم، وبما أنه لم يكن لديهم الأسنان الحادة أو المخالب بدءوا باستعمال أدوات صنعت من الحجارة.

فبعض الأدوات صُنعت بدق الصخور بعضها ببعض حتى تكسرت ونحتت، وسرعان ما تعلم الإنسان استعمال النار، فأشعل النيران قرب الصخور لشطرها، واستعمل هذه الأدوات الحجرية لصيد الحيوانات للأكل وقطع فروع الأشجار، كذلك استخدموا جلود الحيوانات للحماية من البرد والنار للتدفئة، وكذلك أشعلوا النيران للحماية من الحيوانات.

وقد عاشوا في جماعات عرفت بالصيادين- الحاصدين لأنهم صادوا الحيوانات وحصدوا الفواكه البرية والثمار اللبية والحبوب.

العصر الحجري القديم

مر العصر الحجري في الهند بثلاثة مراحل هي:

العصر الحجري القديم من 250,000 إلى100,000 سنة قبل الميلاد

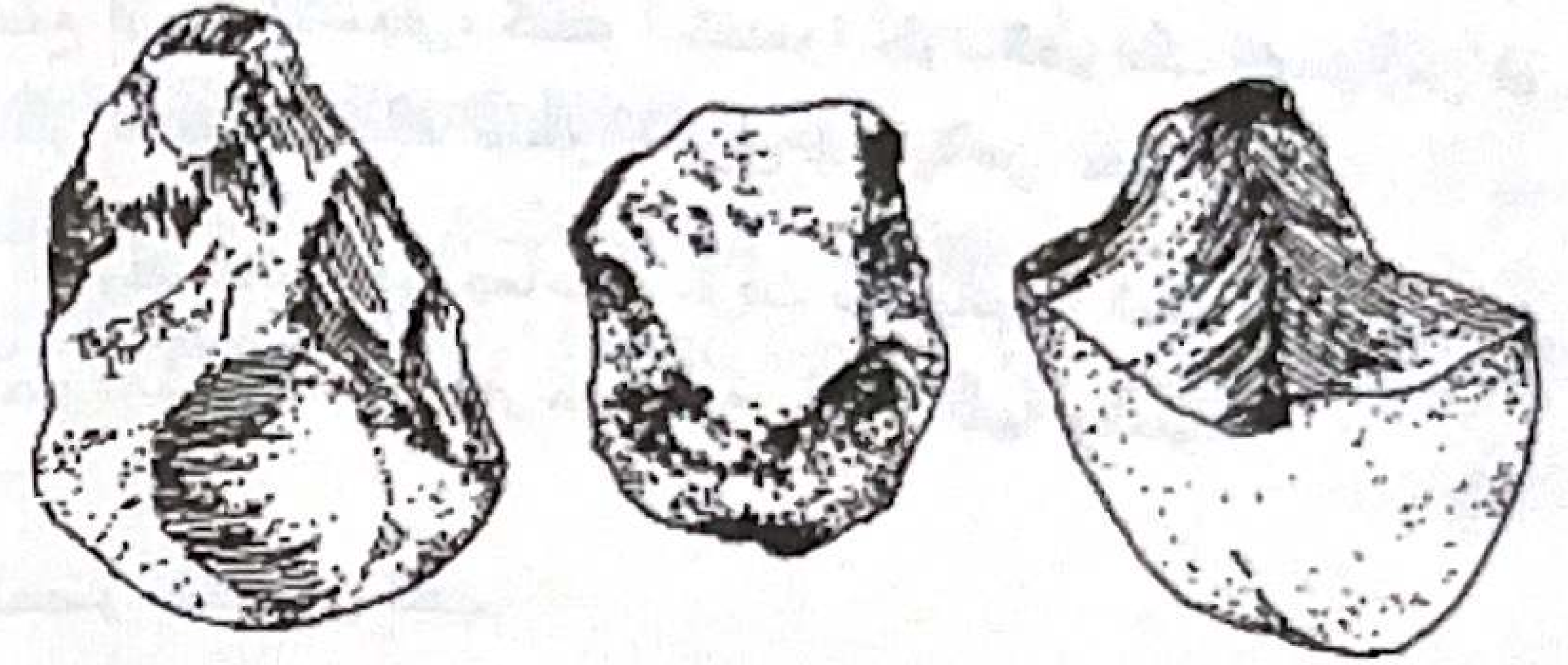
العصر الحجري الأوسط من 100,000 إلى 40,000 سنة قبل الميلاد

العصر الحجري المتأخر من40,000 إلى 10,000 سنة قبل الميلاد

الأدوات

في العصر الحجري القديم دُقت قطع الحجارة لصناعة الأدوات الكبيرة كالفاس اليدوي والساطور والمفرمة.

وفي العصر الحجري الأوسط استخدمت أدوات أصغر، صُنعت من الرقائق الحجرية، كالرُقاقة والموس والأسنان والمثقب والمكشطة، وكانت تختلف من منطقة إلى أخرى.



أدوات العصر الحجري القديم

وفي العصر الحجري المتأخر استخدمت الرقائق والرقاقات وأدوات ذات حدّين والمنقاش (أداة للنقش على المعادن والرخام). وربما استخدموا أدوات مصنوعة من الخشب والعظم أيضاً ولكنها لم تبق طويلاً، عُثرت على أدوات العصر الحجري في المناطق الهضبية الواقعة في باكستان وكشمير وراجستهان وجنوب ولاية أترابراديش وولاية مادهيابراديش شبه الجزيرة الهندية.

البيوت وطرق المعيشة

عاشت شعوب العصر الحجري على التلال المنخفضة قرب الجداول أو الأنهار، ومنهم من سكنوا الكهوف أو مأوى صخرية طبيعية، وآخرون سكنوا الخلاء، ولم يستقروا في مكان واحد بل ارتحلوا إلى مختلف المناطق صيفاً وشتاءً بحثاً عن الحيوانات البرية والخضار للأكل.

وقد أكلوا الحبوب والثمار التي وجدوها والحيوانات التي اصطادوها، وقد عُثرت رسومات تصيدهم للأيل في كهوف بيمبيتكا بولاية مادهيا براديش، ولبسوا ملابس مصنوعة من جلود الحيوانات وأوراق الشجر ولحائها، وعبدوا آلهة كثيرة ذكوراً وإناثاً وتقربوا إليهم بصلواتهم طلباً للنجاح في الصيد ولوفرة الثمار والزهور.

ولا ندري إن كانت لديهم نشاطات ترفيهية إلا أن رسومات تصورهم يرقصون عثرت في كهوف ومأوى صخرية ترجع إلى تلك العصور.

العصر الحجري الأوسط

تطور العصر الحجري القديم تدريجيا إلى العصر الحجري المتأخر وبين هذين العصرين كان العصر الحجري الأوسط الذي تميّز بإيجاد الأدوات الحجرية الخفيفة



أدوات العصر الحجري الأوسط

والصغيرة الحجم وقد عثر عليها في مواقع هذا العصر.

تُعد باغور (Bagor) في ولاية راجستهان موقعاً مهماً للعصر الحجري الأوسط، وقد سُكنت للمرة الأولى حوالي سنة 5000 قبل الميلاد وظل الإنسان يعيش فيها إلى حوالي الصفر الميلادي، وكانت لهم أكواخ رُصفت أرضيتها بالحجارة.

بهيمبتكا هي موقع غير عادي آخر يقع على سلسلة جبال فينديايس 45 كم إلى الشمال من مدينة بهوبال (Bhopal) عُثر فيها على أكثر من 500رسم على مأوى صخرية منتشرة على 10 كم مربع، وبعض رسوماتها حديثة ترجع إلى بضع مئات سنين الماضية، وفيها رسومات للطيور والحيوانات والإنسان.

الفصل الثالث

الحياة الريفية

لملايين السنوات عاش الإنسان حياة بسيطة في العالم كلّه معتمداً في غذائه على الصيد وما جمعه من الثمار والحبوب، ثم تلاه العصر الحجري المتأخر.

ثورة العصر الحجري المتأخر

قرر إنسان العصر الحجري المتأخر زراعة الحبوب وتربية الحيوانات التي طالما تعامل معها في البراري، فذلك يمنحه المزيد من السيطرة على عيشه.

تغيّر يعمّ العالم

لماذا طرأ هذا التغيير المفاجئ ؟ ربما إنه مرتبط بالطقس الحار والنباتات الجديدة، فبداية هذا التغيير العالمي يرجع إلى حوالي 10,000 سنة قبل الميلاد، وأقدم مستوطنات العصر الحجري التي اكتشفت حتى الآن توجد في أودية إيران والعراق وإسرائيل وفلسطين، فلابد وأن الناس قد حاولوا تدريجيا زراعة النباتات البرية المفضلة لديهم، وبعدها بمرحلة تعلموا زراعة الحبوب والعناية بها حتى النضج ثم حصادها أو جمع حبوبها أو خضارها، وقبلها حتماً أنهم قطعوا الغابة لتهيئة مكان للزراعة وفعلوا ذلك بحرق الأشجار ثم قطعها بفؤوسهم الحجرية، ومع هذا إنهم تعلموا استعمال النار في إعداد الطعام، ويُفترض أنهم أحضروا صغار الحيوانات التي اصطادوها وقاموا بتربيتها، و من خلال ذلك تعرفوا على الحيوانات النافعة لهم كالكلاب التي حرست لهم الأرض والأبقار والأغنام التي أمدتهم

بالألبان، فمحاولاتهم المختلفة كهذه غيرت من طابع حياتهم ولم يحتاجوا بعدها إلى الرحيل من مكان إلى آخر، بل استقروا في مكانهم وعاشوا في قرى.

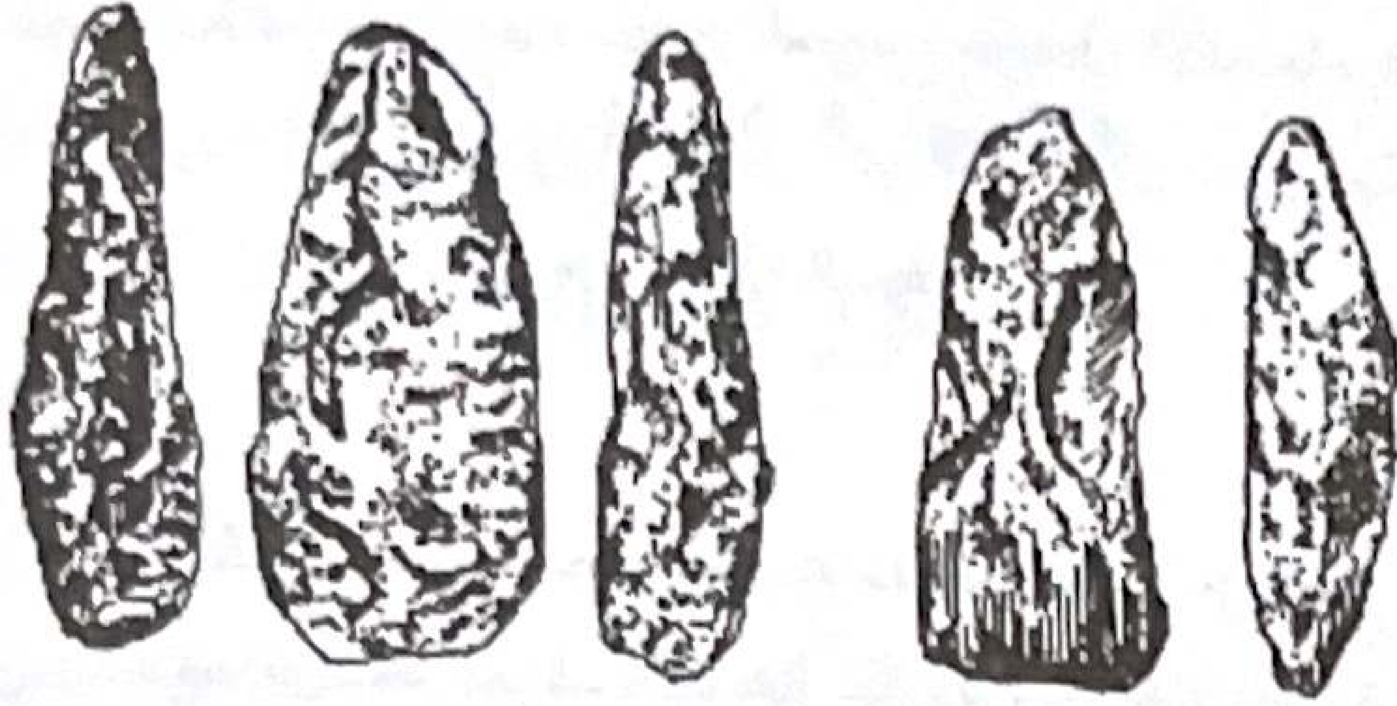
النمو السكاني

في حوالي 4000-3000 سنة قبل الميلاد زاد عدد مستوطنات الشعب الحجري المتأخر في بلوتشستان والسند الأدنى ودلتا السند والسهول الفيضانية لنهر السند وغاغر(Ghaggar) وتشوتانغ (Chautang) . ومن هذه المستوطنات آمري (Amri) وكوت ديجي (Kot diji) ورحمان ديري (Rehaman deri) وكالي بانغان (Kalibangan) و بانا والي (Banawali) .

وقد عاش هؤلاء الناس في بيوت من الطين والطابوق والحجر، وصنعوا الأواني الفخارية على الدواليب وصبغوا الأوعية والأواني، كما صنعوا سكاكين حجرية وأدوات من النحاس والبرونز، واستخدموا اللازورد وغيرها من الأحجار شبه الكريمة لصناعة المجوهرات،وزرعوا الحبوب ومارسوا تربية الحيوانات، وصنعوا أختام بسيطة من الحجر.

اختيار مساكن جديدة

عندما قرر الإنسان زراعة المحاصيل الزراعية فإنه اختار مناطق جديدة للعيش فيها، بدلا من المناطق الوعرة التي كان يسكنها،فكانت الأنهار الواسعة بسهولها الفيضانية أفضل مكان للزراعة،بالإضافة إلى بعض المناطق في الغابات تم إعدادها بقطع أشجارها أو بحرقها.



أدوات العصر الحجري الجديد

نشاطات جديدة

بعد أن حصد الإنسان المحاصيل الزراعية فإنه عمل على تخزينها بحيث يمكن استعمالها على مدار السنة، ولما فرغ من الوفاء باحتياجاته الفورية توجه نحو إنجاز أعمال أخرى كبناء مساكن أفضل وصناعة الأواني الفخارية وزراعة القطن وتعلم صناعة النسيج واكتشف المعادن داخل سطح الأرض وتعلم استعمالها، وشجع البحث عن الأحجار الكريمة والأشياء الجميلة، بل وشد الرحال إلى الأقطار البعيدة بحثا عنها إن كانت غير موجودة في منطقته، وفي هذه الفترة اكتشف الأصداف في بحر العرب والفيروز في تركمينيا (Turkmenia) واللازورد في بدخشان (Badakhshan).

بالإيجاز لم تعد حاجة إلى أن يقضي كل شخص كامل وقته في الصيد والبحث عن الطعام، إذ لم يكن لزاماً على كل فردٍ أن يزرع غذاءه، لذا براع بعضهم في أمور أخرى، واستبدلوا ما صنعوه بالطعام، وعملية

الاستبدال عبر المسافات الطويلة أدت إلى إنشاء الطرق والتعامل التجاري، كل هذا يتطلب نظاماً، فمن يحدد مقدار الحبوب مقابل الأشياء الجميلة والأدوات الفخارية ؟ ومن يكون المسؤول عن المحاصيل المخزونة ؟ لذا أصبح ضروريا أن يكون شكل من أشكال السلطة.

الأفكار الجديدة

جلبت الزراعة أفكاراً وأساليب جديدة للحياة تختلف تماماً عن أفكار أولئك الصيادين والحاصدين، فقد تعرف الإنسان على الدورة الزراعية للبذور ونموها وحصادها وإعادة زراعتها، ونبعت من ذلك الأفكار الخاصة بدورة الحياة والموت وتناسخ الأرواح،كذلك تعلم عن الأعياد والآلهة الجديدة المرتبطة بالخصوبة.

التغييرات في الأرض

بدأ الإنسان بالتحكم بمحيطه فغيّر الأرض بإزالة الغابات لزراعة المحاصيل، ولم يتوقف عند استخدام الصخور والحجر بل تعداها إلى استخدام الأحجار الكريمة والمعادن من باطن الأرض.

الفصل الرابع

حضارة وادي السند

ثورة مدنية

زاد عدد المستوطنات في شمالي الغرب و غربي الهند، وفي حوالي 2500 سنة قبل الميلاد ظهرت إلى الوجود في هذه المنطقة أعظم حضارة مدنية.

ما هي الحضارة المدنية ؟

ففي الحضارة المدنية يعيش في المدن أكبر عدد من الناس،إن لم يكن كلهم، وهناك فوارق عدة بين القرية والمدينة، فالمدينة تمتد على مساحة واسعة، ومعظم سكانها من الحرفيين والتجار والجنود والإداريين، ويحصلون على الغلة والطعام من القرى، وتُطلق كلمة "متحضرة" على منطقة يُنتج سكانها الفنون والحرف المختلفة، ويعرفون مبادئ الكتابة.

كيف ظهرت المدن إلى حيز الوجود ؟

إن أوائل الحضارات المدنية نشأ جميعها على السهول الفيضانية الخصبة أو أودية الأنهار، فعلى امتداد نهر النيل ظهرت الحضارة المصرية القديمة، وعلى طول شواطئ دجلة والفرات ظهرت حضارة وادي الرافدين العظيمة، حيث استفاد سكانها من سماد الطمي الطبيعي والفيضانات الموسمية لزراعة المحاصيل الزراعية،والذي أدى إلى إنتاج الفائض من الغلال،وجعل الناس ينخرطون في مهن مختلفة، وأدى ذلك إلى ظهور المدن، ويبدو أن حضارة السند المدنية نشأت من الحياة الريفية في العصر الأول، وهذا لا يعني أن

كل القرى أصبحت مُدنا بل تلك كانت المرة الأولى التـــي تطـــورت فيه ـا القرى واشتغل سكانها بالمهن المختلفة.

سهول السند

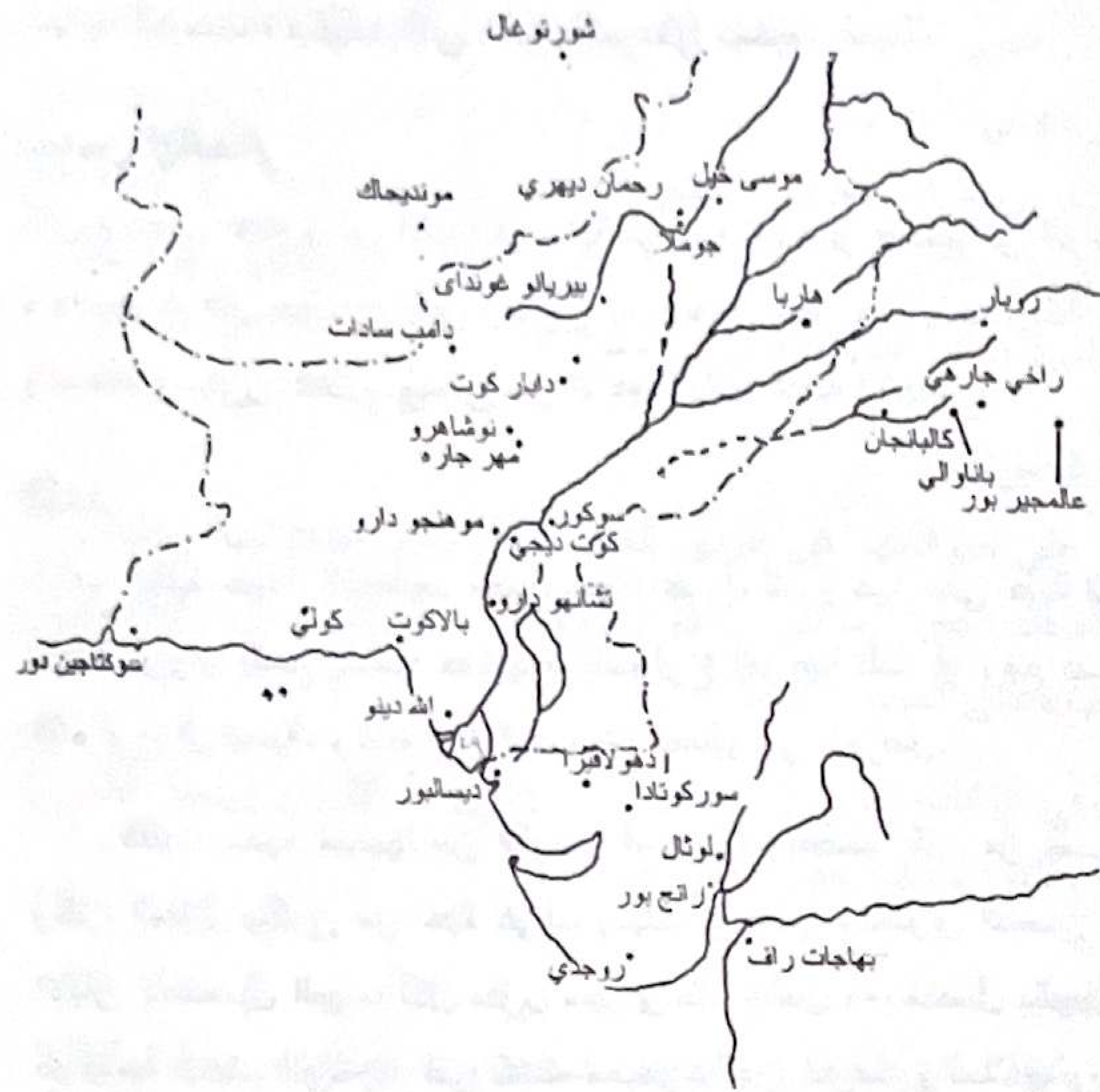
إن أوائل المدن التي نشأت على سهول غاغر (Ghaggar) السندية كانـــت نتيجة تميز أرضيتها وطقسها الملائم، حيث تمكن سكانها من قطـــع الغابـــة بأدواتهم النحاسية وزراعة كميات هائلة من الحبوب، مما أدى إلى تطـــور المهن المختلفة.

اكتشاف حضارة وادي السند

ففي عام 1921 الميلادي قام عالم الآثار آر دي بانرجي بزيـــارة موهـــان جودارو (Mohenjodaro) حيث شاهد رابية مرتفعة جعلته يفكر بوجـــود مبان أسفلها، وسرعان ما بدأت عمليات الحفر لكشف ما أســـفلها، وفعلـــوا الشيء نفسه في هارابا (Harappa) رابية أخرى في الشـــمال، لأن هـــذه المواقع كانت في وادي السند لذا أطلق عليها اسم حضـــارة وادي الســـند، ولأن هارابا كانت أول منطقة شهدت عمليات الحفر بحثا عن الآثـــار فقـــد أطلق عليها اسم الحضارة الهارابية.

أكبرها جميعا

حضارة وادي السند تغطي مساحة 1,3 مليون كم مربع، وكانت أكبر مـــن مصر القديمة أو وادي الرافدين، فقد امتدت إلى باكستان الحالية، وبنجـــاب وهاريانا وراجستهان وغرب أترابراديش وغجرات. حتـــى الآن قـــد تـــم اكتشاف حوالي ألف موقع بما فيها مواقع العصـــور البدائيـــة و المتـــأخرة لحضارة الهاربا.



حضارة وادي السند

المدن الكبرى

يُقال إن الحضارة السندية كانت تحتوي على أكبر المدن التي ازدهرت فـــي تلك الأيام، حيث تشير الإحصائيات إلى أن عدد السكان في بعـــض المـــدن كان يتراوح بين 35,000 و 40,000 نسمة، وأهم المدن كانـــت هارابّـــا، وموهان جودارو، وتشان هو دارو، وكالي باتغان، وبانـــاوالي، ولوثـــال، ودهولا فيرا، وسوتكاجندور، وسوركوتادا.

ومعظم المدن كانت تنقسم إلى قسمين، الحصن كان يُبنى على مرتفع ويتميّز بمبانيه الضخمة، والبلدة التي كانت تقام على منخفض.

الحصن (القلعة)

كان الحصن عبارة عن قاعدة قرميدية محاصرة بجدار ضخم من القرميد، وحصن موهان جودارو كان يحتوي على حمام كبير وما يشبه بركة سباحة واسعة، ومخزن غلال، ومبنى من الأعمدة يشبه قاعة الاجتماع.

البلدة

كانت البلدة حسنة التخطيط أيضاً، حيث أقيمت شوارعها على هيئة شبكة دقيقة الزوايا تتسع بنسب حسابية، فالشوارع الفرعية ثلث أو ربع عرض الشوارع الرئيسية، والشوارع المتوسطة نصفها في العرض.

كانت جميع مبانيها من القرميد المحرق، وبعضها كان من طابقين، وكان المنزل يتكون من عدة غرف وساحة وحمام، واحتوى البعض على الآبار لاستعمال المياه، لكل منزل مجرى ماء خاص به، متصل بالمجاري الرئيسية تحت الأرض، التي كانت مصنوعة من القرميد والملاط، واحتوت مجاري الشوارع على فتحات بحجم إنسان ليسهل تنظيفها، وهذا يعد أفضل نظام للمجاري عرفه العالم.

مصنع السفن

في لوثال (Lothal) بغجرات عثر على حوض من القرميد طوله 219 متراً وعرضه37 متراً، يقع قرب مصب النهر، حيث يمكن ملؤه بالماء، ويرى بعض علماء الآثار بأنه كان حوضاً لبناء السفن.

المحاصيل الزراعية

على الأراضي الطميية زرعوا القمح والشعير والخردل والسمسم والبازلا والقطن، وفي غجرات زرعوا الأرز، وفي حفريات كالي بانغان عثر على المحراث يرجع تاريخه إلى العصر ما قبل الهارابّا، لقد أدى استخدام المحراث إلى إنتاج كمية أكبر من المحاصيل، التي أمّنت القوت لعدد أكبر من الناس، وسهل عليهم العيش في مكان أصغر.

الثروة الحيوانية

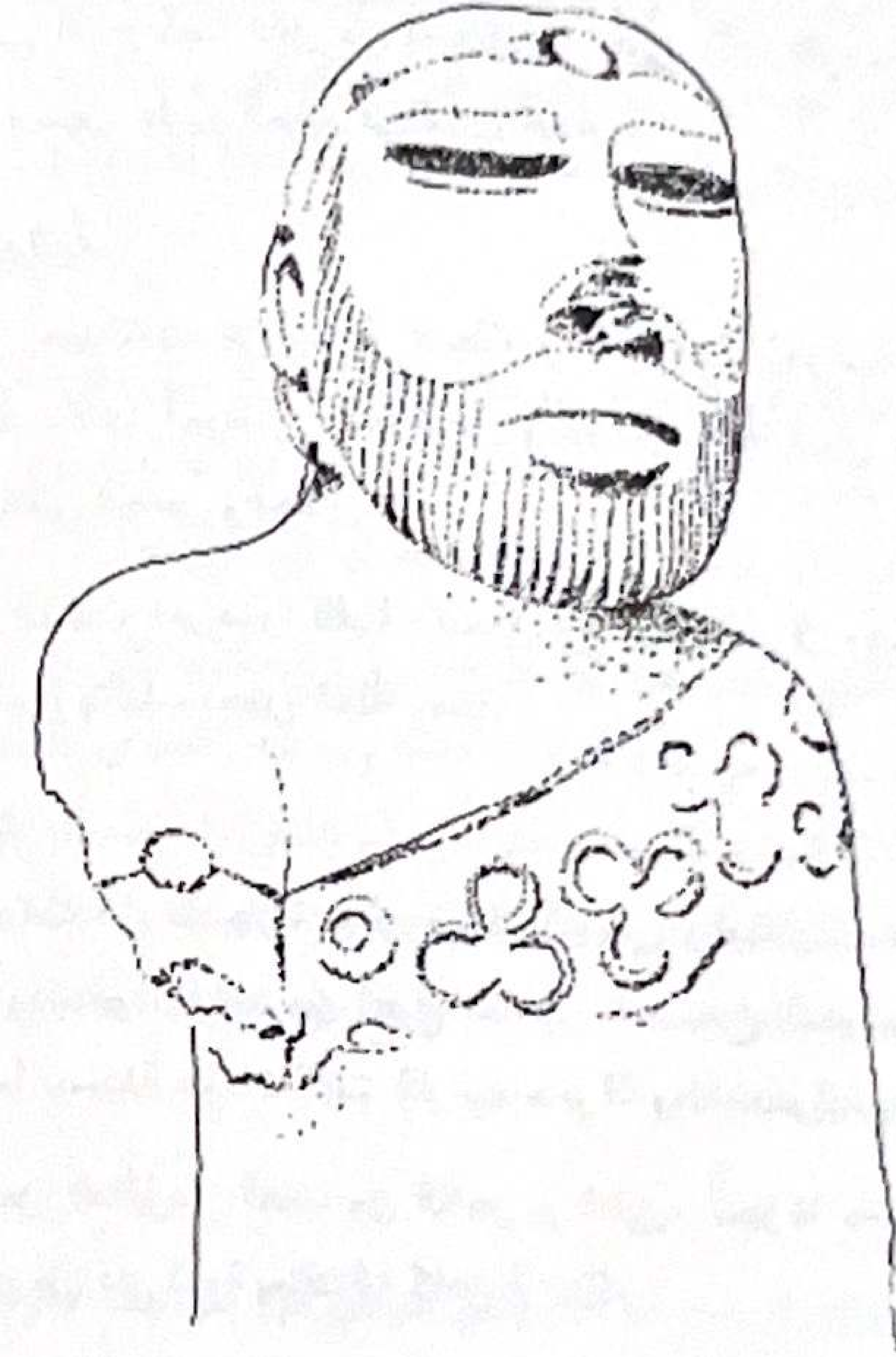
تعرفنا على حيواناتهم عن طريق العظام والأختام المنحوتة والتماثيل الطينية، فقد دجنوا المواشي والجواميس والمواعز والخرفان والخنازير والكلاب وحتى الحمير والجمال.

وفي الغابات تعرضوا للفيلة والنمور والقرود والثيران ووحيد القرن والأيلة وقاموا بتأليف بعض الفيلة أيضاً.

صناعاتهم

صنعوا أدوات من الحجارة والبرونز كالفؤوس والمناشير والسكاكين والرماح. وصنعوا الفخار من النوع العادي والمصبوغ، النموذجي منه كان أحمر لامعاً بصبغة سوداء.كانت القراميد محرقة و بأحجام قياسية.

صنعوا تماثيل و ألعاب من الحجر و الطين، أشهرها جميعا التمثال النصفي لرجل ذي لحية يعتقد أنه كاهن أو حاكم.



إنسان ذو لحية

كانت لديهم أعداد هائلة من الأختام الحجرية معقدة النحت، عليها كتابات، و هي عبارة عن أقراص صغيرة تترك طبعا إذا كبست على مواد ناعمة كالطين ، ربما استخدمت هذه الأختام لأغراض تجارية.







ختوم حجرية

وصنعوا القلائد و العقد و التمائم من الذهب و الفضة و الأحجار شبه الكريمة كالعقيق الأحمر و الفيروز و اللازورد.

وبنوا قوارب و عربات تسير على عجلات للتجارة عبر المسافات الطويلة.

واستخدموا أوزان و مقاييس، كانت الأوزان عبارة عن مضاعفات العدد 16، فلو كان الوزن الواحد يعادل 16 وحدة فالوزن التالي سيعادل 32 وحدة هكذا

التجارة مع الحضارات الأخرى

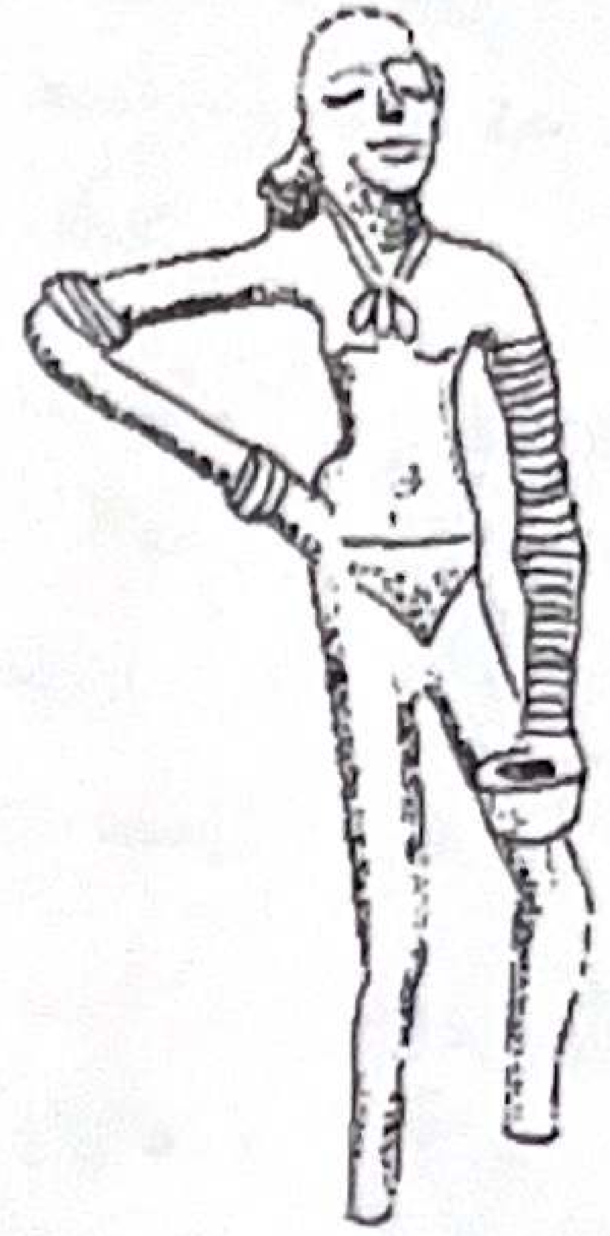
كانت لهم علاقات تجارية مع أفغانستان و إيران و وادي الرافدين(Mesopotamia) و يظهر من سجلات وادي الرافدين أن الهند ربما كانت تُعرف لديهم باسم ميلوها (Meluha) ، التي كانت تصدّر الخشب و النحاس و الذهب و العقيق الأحمر و المصنوعات العاجية، وشملت المستوردات إلى الهند الفيروز و اللازورد.

الآلهة والإلهات

فبعض آلهتهم وإلاهاتهم مرتبطة بالخصوبة والعدد من التماثيل الطينية للمرأة يعتقد أنها كانت تمثل آلهة الأرض. و الإله الذكر بغطاء الرأس ذو القرون

و هو محاصر بالحيوانات يقال أنه شكل قديم لـ باتسوباتي شيفا. و هو إله هندوسي يعرف بـ (المدمّر)

بعض الحيوانات غريبة الشكل، و آلهة نصف إنسان و نصف حيوان عُبدت أيضا على ما يعتقد، فأحد الأختام تصور ما يشبه أحادي القرن (و هم حيوان خرافي له جسم فرس و ذيل أسد و قرن واحد في وسط الجبهة)، إلا أن بعض علماء الآثار يرون بأنه يمثل ثور الجنوب الأسيوي، بقرنين متراصفتين و قد عُبدت الأشجار أيضا.



البنت الراقصة

النار و الأضاحي:

من سلسلة مذابح عبدة النار في كالي بانغان عثر على شواهد تشير إلى عبادتهم للنيران و تقربهم بالأضاحي الحيوانية و الحمام الكبير في موهان جودارو ربما كان للاستحمام فيه أو للنظافة قبل أداء الشعائر الدينية، بالتحديد كما هو الحال الآن حيث يستحم الناس في الأنهار.

الكتابات

نحتت الكتابات على الأختام و قد حاول العديد من العلماء قراءتها، بل وضع البعض تفسيرات لها، إلا أنه لم يتفق عالمان على أمر، ولم يُعتمد تفسير أحدهم.

الترفيه و الرياضة

تم العثور على عدد من اللعب الطينية، و بينما لعب الأطفال هذه الألعاب استمتع الكبار بلعبة النرد و هو شكل مبكر للعبة الشطرنج أو شاهدوا الرقص، فقد عثر على تمثال جميل من البرونز لفتاة راقصة طولها 9 سنتيمترات فقط.

الحكام

من حكم هذه المنطقة ؟ من نسّق كل هذه الأنشطة ؟ لا أحد يعرف الحقيقة. فإن تمثال الرجل ذي لحية يبدو آمراً، فربما كان هو الحاكم.

اللغز

إن العديد من مظاهر هذه الحضارة لا تزال غامضة و قد يأتي يوم نستطيع فيه كشف الستار عن كل الغموض.

الاختفاء المفاجئ

بين 2000 و 1800 قبل الميلاد انحطت أعداد المدن و قد أعطى المؤرخون و علماء الآثار أسبابا مختلفة لهذا الانحطاط.

- ربما قد دمرت الزلازل و الفيضانات بعض المدن ، و الصفائح مازالت تتحرك وهذه المنطقة لاتزال عرضة للزلازل .
- ربما الأوبئة و الأمراض و الحرائق قضت على تلك المدن.
- تغير الطقس حيث أصبح أكثر جفافا و كذلك جفاف الأنهار مما نتج عنه
- تقلص الأراضي الطميية.
- فقدان التوازن البيئي نتيجة قطع أعداد هائلة من الأشجار.

- التراجع الاقتصادي.
- صعوبة السيطرة نظرا للمساحات الشاسعة.
- الغزو الأري للمنطقة ربما قضى على المدن.

هناك شواهد تؤيد معظم هذه النظريات

توجد في موهان جودارو آثار الحريق و الموت المفاجئ للسكان، كما تشير (ريغ فيدا) وهو كتاب قديم إلى حدوث معارك و تدمير الحصون.

و يفترض أن هناك مجموعة من الأسباب التي دفعت هذه الحضارة العظيمة إلى الانقراض و قد مضت آلاف السنين قبل أن تشهد الهند مدنا مرة أخرى.

الفصل الخامس

الآريون الريغ فيديون

في حوالي 1800 ق. م. اختفت الحضارة المدنية عن سهول السند، و عاد الناس من جديد إلى الحياة الريفية البسيطة و نحن نعرف عن حياتهم عن طريق الكتب و دراسة بقايا الماضي.

لدينا كتاب كامل يصف حياة و ديانة شعبٍ عاش في الفترة ما بين 1500 و 1000قبل الميلاد. و من لغة الكتاب و تفصيلاته يظهر أنه كُتب بين 1500 و 1000 ق. م.فإن هذا الكتاب يشير إلى شعب يدعو نفسه بـ"الأري" أو " النبلاء" الذين أشار إليهم الناطقون بالإنجليزية بالآريين لاحقا و هذا الكتاب هو ريغ فيدا.

رحالة الأقطار البعيدة

من كان أولئك الناس ؟ ومن أين جاءوا ؟ فللمؤرخين آراء متضاربة، إلا أن الأغلب يرى أنهم وفدوا من السهوب الروسية من أطراف بحر القزوين.

ففي إحدى الفترات قبل الـ2000 قبل الميلاد. بدأ الناس في التنقل بين الأقاليم ربما بحثا عن الكلأ الجديد لمواشيهم، فرحلوا شرقا عبر أوروبا إلى ايرلندا و بعضهم إلى سوريا ووادي الرافدين (Mesopotamia) و الشرق الأوسط، و بعضهم وصل إلى الهند عبر إيران و أفغانستان.

وفي شمالي غرب الهند كانت فترة زوال المدن الهارابّية و لعل وصول أولئك الناس في حوالي 1800 قبل الميلاد عجّل من زوال هذه المدن و المؤكد أنهم كانوا في الإقليم الشمالي الغربي مع حلول 1500 قبل

الميلاد و يظهر أن الكتاب ريغ فيدا يشير إلى هذه الفترة حتى حوالي 1000 قبل الميلاد.

سابتا سيندهافا

سكن هؤلاء الناس في إقليم الأنهار السبعة سابتا سيندهافا و هي نهر السند و روافدها مع سارس فاتي (Sarsvati) و دريشهادفاتي (Dirshadvati) المعروفتين في وقتنا الحاضر بغاغر(Ghaggar) و تشوتانغ ((Chautang).

الأبقار كثروة

امتلكوا الخيول و العربات، و زرعوا القليل من المحاصيل، إلا أنهم اهتموا بتربية المواشي، و كانوا منقسمين إلى قبائل أو جماعات تنتمي إلى قبائل و كل جماعة لها قطيعها من المواشي، و كانوا يغيرون باستمرار على قطيع بعضهم، بل و قادوا معارك من أجلها، و كلمة (Ga-vishti) أي البحث عن البقر وُجدت في كتاب ريغ فيدا و تعني المعارك و كانت الأبقار بمثابة ثروة تمدهم باللبن و السمن و اللحم في المناسبات الخاصة.

الغزوات و المعارك

حدثت بعض المعارك ضد سلالة داسا أو داسيو. و هم أناس ذو بشرة سوداء يختلفون عنهم في الشكل و عاشوا في حصون. و هؤلاء ربما كانوا الهاريّيون.

معركة الملوك العشرة

طبقا لصحيفة ريغ فيدا فقد كان هناك ملك اسمه سوداس (Sudas) ينتمي إلى قبيلة بهاراتا(Bharata) و كان له كاهن اسمه فيشفاميترا (Vishvamitra)، وفي يوم من الأيام سمع الملك سوداس عن كاهن أبرع اسمه فاسيشتا (Vasishta) فاستبدله بالكاهن فيشفاميترا(Visvamitra)، فجمع الأخير عشرة ملوك و قاد معركة ضد سوداس إلا أن الملك سوداس انتصر عليهم.

بعض القبائل

من قصص المعارك المختلفة يمكننا أن نتعرف على أسماء بعض الجماعات القبلية مثل بوروس (Purus) وأنوس(Anus) ويادوس(Yadus) و دروهيوس(Druhyus).

المدافع راجان (Rajan)

كان راجان زعيم قبيلته و رئيس المدافعين فيها و كان مدعوما من قبل مجالس الرجال الكبار، و هي سابها(Sabha) و ساميتي (Samiti)، و النساء أيضا كن يشكلن جزءا من هذه المجالس.

الجماعات الثلاث

كانت هناك ثلاث جماعات وهي براهماناس(Brahmanas) و تشاترياس(Kshatriyas) و فيشياس(Vaishyas) ، و هذه الجماعات كانت مبنية على أساس المهنة لا الدم و لاحقا انضم إليها شودراس (Shudras) و هم الداساس أصحاب البشرة السوداء، و فيما بعد بدأت كلمة داساس تعني عبيدا.

أسلوب الحياة

لم يكن لهم أقاليم محددة، بل تنقلوا من مكان إلى آخر مع أبقارهم وخيولهم، لم يبنوا المدن بل عاشوا في بيوت طينية، وعملوا كخزافين ونساجين وصانعي العربات و نجارين وفلاحين.

الآلهة والإلاهات

بحكم السفر لمسافات بعيدة تعرضوا للشمس و الرياح و الأمطار و العواصف مما جعلهم ينظرون إلى الطبيعة برهبة و إعجاب فكانت الشمس و الرياح و الأمطار لهم إله و إلاهة و معظم صحيفة ريغ فيدا مليئة بالصلوات لهذه المعبودات.

كان إله الرعد إندرا (Indra) أكثر الآلهة أهمية، و كان يعرف باسم بورانداراا (Purandara) أي مدمِّر الحصون، و كان هذا الإله يقودهم في المعارك، و كانت له كلبة جميلة اسمها ساراما (Sarama) تساعده في المعارك و المفاوضات، فعندما عزم إندرا على غزو قبيلة بانيس (Panis) ذهبت ساراما لمحادثتهم فحاولوا أن يضموها إليهم إلا أنها رفضت وحذرتهم من قوة إندرا.

كان أغني (Agni) النار وفايو(Vayu) الرياح وفارونا(Varuna) الماء وسوريا(Surya) الشمس وبريثافي (Prithvi) الأرض، و كانت لديهم معبودات انثى اقل أهمية مثل أوشا(Usha) إلهة الفجر و أديتي (Aditi) الأرض الأم، و راتري (Ratri) الليل أرانياني (Aranyani) الغابة، و قدعبدوا سوما (Soma)أيضا و هو المشروب الذي منحهم السعادة، و كانوا يلجئون إلى هذه المعبودات طلبا للنجاح و الحماية.

ألف و ثماني و عشرون آية

تحتوي صحيفة ريغ فيدا على 1028 آية و فيما يلي نموذج منها.

إلى إلاهة الليل:

راتري إلهة الظلام نظرت حولها
كاشفة ببصرها كل مكان
مرتدية أمجادها
الإلاهة الخالدة تملأ
عمق الكون و ارتفاعه
تطرد بشعاعها الظلام
و تنفث بأوشا الفجر
و الظلام يختفي كذلك.

الفصل السادس
العصر الفيدي المتأخر

تُعرف الفترة مابين 1000 و 600 قبل الميلاد بالعصر الفيدي المتأخر، حيث سكن الفيديون في ذلك الوقت سهول غانغا (Ganga Plain). و ألفوا عدة كتب تروي أساليب حياة مؤلفيها و محيطهم.

ساما فيدا

(كتاب الموسيقى) و هو مجموعة لبعض الأناشيد من صحيفة ريغ فيدا التي تم تلحينها، وتبين النوتات الموسيقية كيفية إنشادها. و يعد هذا الكتاب أقدم سجل للموسيقى في الهند.

ياجور فيدا (كتاب الأضحية) ويحتوي هذا الكتاب على الترنيمات و الطقوس التي يجب أن تؤدى أثناء تلاوة الأناشيد.

أثارفا فيدا (كتاب السحر و الرقى) و يحتوي هذا الكتاب على كل أنواع الترنيمات التي تستخدم لمعالجة الأمراض و دفع المخاطر، ففيه ترنيمات للتخلص من الديدان و للشفاء من الحمى الصفراء أو التي تسبب البقع و ترنيمة أخرى لإبعاد الحيات و لعلاج لدغة العقارب.

البراهماناس (كتب الشعائر) و هي مجموعة من الكتب المختلفة مثل أيتاريا براهمانا Aitareya Brahnana، وتيتيريا براهمانا Taittiriya

Brahmana، وساتاباتا براهمانا Satapatha Brahmana و هذه الكتب تحتوي على طقوس و شعائر مختلفة مع شرح لها.

آرانياكاس (كتب الغابة) و فيها تعليمات حول قيادة حياة زهدية في الغابة.

الأوبانيشادس هذه الكتب لا علاقة لها بالآلهة أو الإلاهات، أو العبادة أو التضحية، وإنما هي تحاول فهم العالم و دورة الحياة و الموت.

المهابهاراتا

و هي عبارة عن قصة لأحد المعارك الكبيرة بين الكورافاس The Kauravas و باندافاس Pandavas . و المعروف أن هذه الملحمة لم تُدون بأكملها حتى عام 400الميلادي، و هي الآن تحتوي على مائة ألف بيت من الشعر.

الراماياتا وهي عبارة عن قصة راما و لكشمانا و سيتا و خطف رافانا من لانكا لسيتا و نجدتها.

المهابهاراتا و *الراماياتا* تُعرفان بالملحمة و كذلك تعتبران كتباً دينية و الملحمة هي قصة طويلة في شكل القصيدة.

الحياة في العصر الفيدي المتأخر

لم تعد الآن سهول السند مكاناً رئيسيا للاستقرار بل حلت محلها سهول غانغا وروافدها في الشرق من نهر يامونا Yamuna.

إزالة الغابات بالنار

جاء في المهابهاراتا أن غابة خانداڤا Khandava بالقرب من إندرا براستا (دلهي حاليا) قد أحرقت، و يخبرنا ساتاباتا براهمانا بأن أغني (إلاهة النار)

مضت تحرق الأرض إلى جهة الشرق يتبعها الكاهن غوتاماراهوغانا Gotama Rahugana و فيديغا ماثافا Videha Mathava حتى وصلا إلى شرق أترابراديش و بيهار.

ولايات جديدة

إنهم استقروا بدلا من التنقل من مكان إلى آخر، و أصبح لكل قبيلة أو جماعة قبلية إقليم محدد يسمى باسم المسيطر عليها أو القبيلة الرئيسية في المنطقة، هكذا خرجت كورو Kuru و بانشالا Panchala و غيرهما، كولايات مستقلة، والمعارك كانت تدور بينها باستمرار، غير أن الأرض كانت قد أصبحت أكثر قيمة من الأبقار.وأصبح الملك أكثر قوة وسلطانا، وكانت عضوية المجلس أو اللجنة تقتصر على الأثرياء و الأقوياء فقط ولم يكن للنساء أي مكان في هذه المجالس.

طريقة الحياة

أصبحت الزراعة مهمة، فقد زرعوا مختلف المحاصيل كالأرز و القمح و العدس و حرثوا الأرض و استعملوا الآلات من الحديد و النحاس و زادت أنواع المهن المختلفة فوُجد النجارون و صناع العربات و الخزافون و عمال المعاون و النساجون و خبراء الجلد و المجوهرات و اتسعت رقعة التجارة.

الطبقات الاجتماعية

أصبحت طبقة البراهمانا قوية جداً، إذ كانت عليها ترتيل الأناشيد الدينية وإتمام مراسيم القرابين و كانت القرابين أو الياغاناس Yaganas تُعتبر فريضة مقدسة ووسيلة إلى القوة و تحقيق الرغبات، ولذلك أصبح البراهمانا صلة بين الناس و الآلهة.

وكان أفراد طبقة تشاتريا Kshatriyas ملوكاً ومقاتلين و كانت لهـا مكانة مرموقة في الاجتماع، كما كـان أفـراد طبقـة فيشـيا Vaishyas مزارعين، وأفراد طبقة شودرا Shudras كانوا من الـدنيا يُنظـر إلـيهم باحتقار، وكانوا يُعتبرون غير صالحين لتقلـي العلـم و والمشـاركة فـي الطقوس الدينية وأمور الحكم. و وُجدت بعـض الاسـتثناءات إلا أن هـذا الطابع كان الغالب.

براجاباتي و آلهة أخرى

عبدوا آلهة جديدة، فبراجاباتي الخالق الذي أصبح يُعرف لاحقا ببراهما كان يُعتبر الإله الأعظم، والإله فيشنو Vishnu كان يُعتبر محافظـاً و حاميـاً للناس المستقرين، وكان رودرا Rudra إلهاً صغيراً في العصر الريغ فيدي و الذي يقال عنه الآن بأنه حاكم الأرض و يعيش في قلوب الجميـع كـ شيفا Shiva.

الأضحية أو القربان

الآلهة لم تُدعى و تُعبد فحسب، بل قدمت لها القـرابين لإسـعادها، و مـن الأضحية الملكية أشفا ميـدها Ashvamedha و فاجابيـا Vajapeya و الراجاسويا The Rajasuya ، و كانت الأضحية تشتمل عادة علـى ذبـح الحيوانات بأعداد هائلة.

أشفا ميدها

ففي أشفاميدها كان الملك يُطلق سراح حصان أبيض اللون عادة و يتبعه جنوده من خلفه و كان عليهم السيطرة على الأراضي التي يتجول فيها الحصان و بعد سنة أو نحوها يعود الحصان فيُذبح مع حيوانات أخرى عديدة. و في الرامايانـا ورد ذكر أشفاميدها الذي قام به الملك دشاراثا Dasharatha

ثلاثمائة حيوان ذُبحت مع الخيل، قامت الملكة كوشـاليا Kaushalya بنفسها بقطع رأسه بثلاث ضربات السيف، ثم قدّم الملك هبة البقر و قطعـا من الذهب و الفضة.

فاجابيا

فاجابيا (وهو يعني "شراب القوة") و تبدأ هذه الأضحية بسـباق 17 عربـة تجرها الخيول، ثم يتسلق الملك و الملكة على سارية و يعبـدان أم الأرض من الأعلى ثم يُقدّم للملك عرش مفروش بجلد كبش الفداء و الكاهن يرتـل أنت الحاكم، المولى الحاكم، نوليك على الحرث و سلامة الديار و الثروة و الممتلكات والمصلحة العامة."

راجا سويا

استمرت هذه الأضحية من سنة إلى سنتين، وخلال هذا الوقت الذي قام فيه الكهنة بترتيل الأناشيد الدينية،قام الملك بإعطاء الهدايا إلى رئيسة الملكـات والمسؤولين الآخرين، ثم يُرش الملك بمزيج لـ17 نوعاً مختلفاً من الميـاه، كمياه البحار و الدوّامة و الآبار و قطرات الندى و غيرها و مـن ضـمن الأشياء التي كان يعملها السير على جلد النمر لكسب قوته ولعب النرد الذي سيُدَبر له فيه الفوز.

هذه الأضحية كانت تثبت قوة الملك و عزمه

حقيقة الإله

كانت هناك فئة من الناس لم تعجبها شعائر الأضاحي و لا الطقوس الدينيـة أو حتى العبادات، بل كانوا يسعون لمعرفة حقيقة الإله والعـالم، و عـاش هؤلاء في الغابات، وسُجلت أفكارهم فـي الأوبينيشـاد Upanishads، و يرجع تاريخ بعض الأوبينيشاد إلى عام 600 قبل الميلاد.

يرى هؤلاء أن في جميع أشكال الحياة جوهر واحد و هو شئ لا يمكن مشاهدته إلا أنه موجود، فهو كالملح لا يمكن مشاهدته بعد أن ذاب في الماء، ولكن يمكن تذوقه سواء من أعلى الماء أو وسطه أو أسفله، و ذلك الجوهر الذي يوجد في كل الحياة ولكن لا يمكن مشاهدته هو الجانب الحقيقي أو الواقعي للحياة.

أقام العلماء Rishis في الغابة و علموا الناس تلك المبادئ عن طريق القصص، و كاثا أوبانيشاد Katha Upnishad، تروي قصة ولد اسمه ناشيكيتاس Nachikitasالذي غضب منه والده و أرسله إلى منزل ياماYama (إله الموت) إلا أن ياما لم يكن في منزله عندما حضر الولد، و لما رجع ياما قدم ثلاث هبات لنا شيكيتاس تعويضا عن تغيّبه، و طلب ناشيكيتاس من ياما أن يخبره حقيقة الحياة و الموت، فأخبره ياما عن (الآتما) و هي الروح التي لا يمكن مشاهدتها و لكنها تجعل الناس ينظرون و يسمعون و يتمنون و يأكلون و يشعرون. تسمى الأبانيشد بفيدانت أيضا و هي تعني انتهاء الفيدا أو الجزء الأعلى أو الأفضل لكتب الفيدا.

المعرفة للجميع

تُعرف الأوبانيشادات باسم فيدانتا (Vedanta) أيضا، و التي تعني نهاية الفيدات.

الفصل السابع

مَهَاجَنَاباداز و نهضة ماغادا

في حوالي القرن السادس قبل الميلاد طرأت تغييرات عديدة في شمالي الهند، حيث توقف الناس عن الارتحال من مكان إلى آخر واستقروا في أمكنة معينة، وظهرت المدن والبلدات من جديد، كما ظهرت الأديان الجديدة أيضاً.

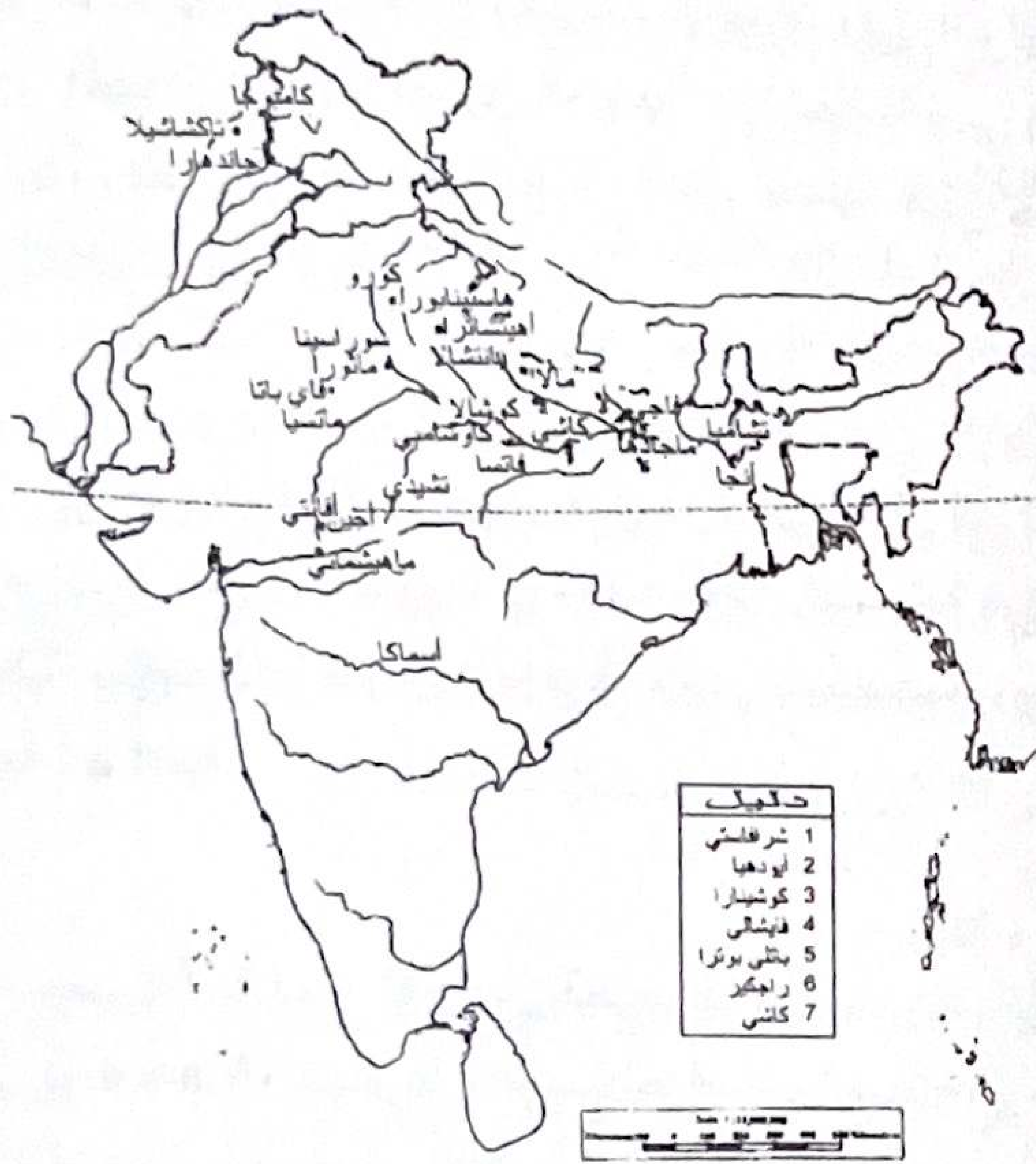
نحن نعرف عن هذه الفترة من خلال علم الآثار والكتب البوذية باللغة البالية وآداب السوترا باللغة السنسكريتية.

مَهَاجَنَاباداز

تذكر الكتب البوذية بأنه كان هناك 16 مَهَاجَنَاباداز أو الولايات العظمى في هذه الفترة من الزمن، نذكرها فيما يلي مع عواصمها، ويمكنكم ملاحظة مواقعها على الخريطة.

مَهَاجَنَابادا	العاصمة	الموقع
غاندارا	*تكشاشيلا*	*باكستان وكشمير*
كامبوجا	*راجابورا*	*قرب غاندارا*
ماتسيا	*فيراتا (جاي بور حاليا)*	*راجستهان*

سوراسينا	ماثورا	غربي أترابراديش
كورو	هاستينابورا	غربي أترابراديش
بان تشالا	أهيشاترا و كامبليا	وسط أترابراديش
كوشالا	شرافاستي	شرقي أترابراديش
كاشي	كاشي (فارانسي)	شرقي أترابراديش
فاتسا	كوشامبي	قرب إله آباد بولاية أترابراديش
مالا	كوشي نارا	شمال شرقي أترابراديش
فاجي	فيشالي	بيهار، في الشمال من نهر غانغا إلي نيبال
أنغير	تشامبا	بيهار، شرقي ماغادا
ماغادا	راج غريها و باتالي بوترا	في بيهار، (مديرية باتنا وغايا)
تشيدي	سوكتي ماتي	في بونديل خاند، جنوب أترابراديش
آفانتي	أوجين و ماهيش ماتي	في مادهيا براديش
أسماكا	بوتالي على نهر غودافري	في مادهيا براديش



مهاجاناباداس

المدن الجديدة

كانت في هذه الولايات عدد من المراكز أو المدن المتحضرة، وبعد فجوة زمنية قدرها 1000 سنة أنشئت المدن والبلدات من جديد، وفي هذه الفترة شاع استخدام الحديد، ربما لعبت الفؤوس الحديدية دوراً مهماً في قطع الغابات الكثيفة، وأثبت المحراث المصنوع من الحديد أفضليته في حرث الأرض وزيادة المحاصيل الزراعية.

فخار لامع

أنتجت حرف مختلفة عديدة، فقد عُثر على نوع جديد من الفخار في المواقع العديدة، وهو الفخار الأسود اللامع، الذي عُرف بالآنية الشمالية الملمّعة السوداء أيضاً، وكانت الآنية المكسورة مربوطة بأسلاك نحاسية، وهذا يعكس أهمية تلك الآنية.

الحرف

تخبرنا النصوص الأدبية أيضاً الكثير عن الحرف و الحرفيين، فقد كان في فارانسي (Varanasi) شارعاً خاصاً لحرفيي العاج، و في فايشالي(Vaishali) كان حوالي 500 متجر لبيع الفخار. كما كانت للحرفيين والتجار مجموعات أو نقابات تضع لهم قواعد الإنتاج والتسويق والتجارة لعدد من السلع.

قطع الفضة

بدأ سكّ العملات المخرّمة من الفضة أو النحاس في القرن الخامس قبل الميلاد. ولو شاع رواجها لاحقاً. وعُرفت الكتابة في القرن الثالث قبل الميلاد من خلال نقوشات أشوكا Ashoka ولكن ربما كانت موجودة قبل هذا التاريخ .

الصراع الإقليمي و نشوء مملكة ما غادا

عاش الملوك عادةً في العواصم،وخاضوا المعارك مع البعض بشكل متكرر. و قد وصفت النصوص البوذية العديد من هذه المعارك و النزاعات و فيما يلي واحدة من هذه النزاعات.

الفيل الخشبي

أراد براديوتا Pradyota ملك أفانتي Avanti يوما أن يأسر أوديانا Udayana ملك فاتسا Vatsa، فأمر بصنع فيل كبير من الخشب بحيث يبدو وكأنه حقيقي وأفرغ داخله واختبأ بداخله ستين رجلاً ووضعه في الغابة. وعندما سمع أوديانا Udayana بهذا الفيل أحب أن يراه و عندما وصل إلى الغابة، تمكن براديوتا Pradyota من أسره. ولكن للحكاية نهاية سعيدة. وقع أوديانا Udayana بغرام فاسافادتا Vasavadatta ابنة براديوتا، حيث ساعدته على الهرب. وبعد ذلك عادا إلى فاتسا و تزوّجا، و أصبحت فاسافادتا ملكته .

كاشي و كوشالا

كان هناك صراع دائم ما بين هاتين المملكتين ثم أصبحت كاشي جزءا من مملكة كوشالا في القرن الخامس قبل الميلاد .

مملكة ماغادا

نشأت هذه المملكة و بدأت تظهر أهميتها و كان اقتصادها يعتمد على عدة مصادر، فقد كانت تربتها خصبة و غنية بالثروا ت المعدنية مثل الحديد و النحاس و طرق التجارة الرئيسية تمر بها.

بيمبيسارا

حكم بيمبيسارا هذه المنطقة ما بين عامي 546-494 قبل الميلاد، وقيل أنه كان له 500 زوجة، أربعة منهن كن من الشهيرات. فقد تزوج من كوشالا ديفي

Koshaladevi من كوشالا Koshala و حصل على كاشي Kashi كمهر. و قد مكنه زواجه من تشيلانا Chellana أميرة ليتشافي Licchavi (منطقة نيبال) و زواجه من خيماKhema من منطقة مادرا(البنجاب) من توسيع سلطته على المنطقة. و كانت فاسافا Vasava أميرة فيديهاVedeha إحدى زوجاته أيضا. و تحالف مع مملكة غاندهارا و أفا نتي و أطاح بملك أنغا . و بهذا تمكن من بسط سيطرته على المرافئ البحرية في الشرق، مما ساعد في ازدهار مملكته من خلال التجارة، و قد ذكر أن مملكته كانت تتألف من 80000 قرية .

آجاتاشاترو (494-460) قبل الميلاد

آجاتاشاترو هو ابن بيمبيسارا ويقال إنه ربما سجن أو قتل والده وسيطر على المملكة. تحالفت مملكتا كاشي- كوشالا مع مملكة ليتشفيس ضد أجاتاشاترو ودام الصراع حوالي 16 سنة. جرّب آجاتاشاترو سلاحين جديدين في المعركة حيث استخدم المنجنيق الذي يقذف الحجارة الكبيرة والعربة المدججة بالحراب وبذلك انتصر في الحرب.

ويُقال إن آجاتاشاتر قُتِل على يد ابنه أودائين، وقتل ثلاثة ملوك آخرون أباءهم، فسئم الناس من هذا التصرف،وعينوا أحد الوزراء سيسوناغا ملكاً لهم.

ملوك الناندلس

سيطر بعد ذلك على المنطقة ملوك الناندلس عام 360 قبل الميلاد، وكانوا تسعة ملوك. كان مهابادماMahapadma أول الملوك و دهانانادا Dhananada آخرهم . وكان جيشهم يتألف من 60.000 من الخيّالة و 6.000 من الفيلة المحاربة. قام الملك اليوناني الإسكندر بغزو شمال الغرب و أراد أن ينتصر على كافة الهند و لكن جنوده الذين سمعوا عن قوة جيش سلالة ننذا رفضوا أن يستمروا في الزحف إلى الأمام . حكم ملوك الناندلس حتى عام 321 قبل الميلاد.وكانوا أول ملوك الهند الذين أسسوا إمبراطورية أو مملكة كبيرة.

الفصل الثامن

الطوائف الدينية الجديدة ما بين عامي 600 و 400 قبل الميلاد

ظهر عدد من الأفكار الدينية الجديدة في هذا الوقت، و كما رأينا آنفا، ظهرت بوادر التغير في الاقتصاد و تزايد عدد المراكز المدنية و تطورت التجارة . بدأ الناس يعملون في أشغال جديدة و مختلفة و أخذت الأفكار المناهضة لنظام الطبقات و لسلطة البراهماناس تبرز للعيان . فأصبح الناس مهيئين للإصغاء إلى أولئك المناهضين لنظام الطبقات و للطقوس الدينية، و الذين كانوا يقدمون تفاسير لماهية أسرار الكون. و كان من بين المرشدين لمثل هذه الأفكار الجديدة مهافيرا و بوذا و غوشالا وأجيتا. و شكلت أفكار مهافيرا و بوذا الأساس لنشوء ديانتي الجينية و البوذية بينما اندثرت أفكار غوشالا و أجيتا بعد فترة و جيزة.

الجينية

ولد الأمير فاردهامانا Vardhamana في كونداغراما بالقرب من بيهار عام 599 أو 540 قبل الميلاد. كان والده سيدهارتا Siddhartha رئيس عشيرة جناتريكا و هي فرع من ليتشافيس و كانت أمه تريشالا Trishala أميرة من ليتشافي .

تزوج فاردهامانا من ياشودا Yashoda و أنجب طفلة. و في سن الثلاثين من عمره. بعد وفاة والديه قرر هجر موطنه من أجل البحث عن الحقيقة.

طاف فاردهامانا الأصقاع زاهدا في الأمور الدنيوية لمدة 12 سنة. كان يرتدي قطعة قماش واحد لمدة 13 شهرا ولا يغيّره، يطرحه أيضا إمعانا في الزهد.

مهافيرا

و في السنة الثالثة عشر، حقق الأمير التنوّر. وكان يُدعى بـ مهافيرا التي تعني الروح العظيمة، كما كان يُدعى بـ جينا التي تعني الفاتح، وبـ تيرثنكارا التي تعني المعبر إلى النور. وكان يدّعي بأن ترتيبه هو الرابع و العشرون في المعبر إلى النور.

وقال مهافيرا إنه يجب على المرء- لكي يحقق النرفانا Nirvana أي الانعتاق من دورة الحياة و الموت- أن يتخلص من الكرما(المصير). و الكرما هو تأثير الأفعال و الأفكار في هذه الحياة و الحياة الماضية. و للتخلص من الكرما على المرء أن يعيش حياة منضبطة و زاهدة، و عليه أن يتخلص من جميع أنواع الملكيات بما فيها الملابس و أن لا يأكل لأن الأكل يبعث على الرغبة في الحياة. و عندما يتخلص الإنسان من جميع رغباته و يصوم حتى الموت عندها يصل إلى حالة النرفانا (ما بعد الموت). و في شرحه لطبيعة هذا العالم قال مهافيرا إنه لا يوجد هناك إله أعلى وأن جميع القرابين و العبادات لا طائل تحتها.

ملاطفة الآخرين

من تعاليم مهافيرا أن على المرء أن يلاطف الناس دائما و يكون مسالما و أن لا يقول إلا الصدق و لا يستولي على ممتلكات الغير أو يرغب فيها وعلاوة على ذلك على المرء أن لا يؤذي أو يقتل أي حيوان و حشرة و طائر وحتى نبتة .

الانقسام إلى فئتين

انقسم الجينيون، أتباع مهافيرا، تدريجيا إلى فئتين، فذهبت الفئة الأولى وهي الديغمبراس Digambaras إلى جنوب الهند، و هذه الفئة لا ترتدي

الملابس، و الفئة الثانية وهي السفيتامبراس Svetambaras ذهبت إلى الشمال، وهذه الفئة ترتدي ملابس بيضاء.

البوذية

كان هناك ملكٌ يُدعى سودهودانا Suddhodana ، الذي كان يحكم منطقة ساكياس Sakyas في كابيلفاستو(نيبال). أنجبت له زوجته مهامايا Mahamaya طفلا، تحت شجرة في حدائق لومباني Lumbani ، وهي تذهب إلى بيت أهلها، سُمي هذا الطفل بـ غوتاما سيدهاراتا Guatama Siddharatha.

تنبأ المنجّمون أن الولد سيصبح إما ملكاً عظيما أو فيلسوفاً عظيماً. فاحب الملك أن يكون ولده ملكاً، و سعى جاهدا لحمايته من أي بؤس أو حزن قد ينتابه في هذا العالم، ولأن الملك كان يعرف أن الفلاسفة يفكرون كثيرا بمشاكل العالم، لذا سعى إلى أن يُبعده من كل مشكلة قد تستدعي اهتمامه و تستحوذ على تفكيره و بذلك قد يمكنه أن يحول دون أن يصبح الولد فيلسوفاً .

النشأة الأولى

نشأ سيدهاراتا محاطا بحياة رغد و ترف، و كان معتاداً أن يتجول في القصر الملكي على حصانه الأبيض المحبب "كانتاكا" برفقة سائق عربته تشانا.

كان في بداية حياته سعيداً، و ذات يوم بينما كان يجول جولته المعتادة في أنحاء القصر شاهد ثلاثة مظاهر بائسة راعت انتباهه و مظهرا واحدا أبهجه. المظاهر التي أحزنته هي رؤية رجل مريض و رجل مسن واهن و رجل ميت محاط بأهله المفجوعين به. أدرك سيدهارتا من رؤية تلك المظاهر أن كل إنسان يأتي عليه حين من الدهر يمرض به ثم يصبح عجوزاً ثم يموت. و

أدرك أن الحياة مليئة بالأسى و الحزن. و لكن ما زرع فيه الأمل هو رؤية رجل زاهد قديس يرتدي رداءً برتقالي اللون يمشي وحيدا و تبدو عليه السعادة و السكينة. ترى ما السر وراء هذا الرجل؟

البحث عن السر

قرر سيدهارتا البحث عن سر السعادة، في ذلك الحين كان رجلا يافعا متزوجا من امرأة جميلة تدعى ياشودارا Yashodara ، وعنده طفل صغير اسمه راهولا Rahula، في إحدى الليالي امتطى سيدهارتا صهوة حصانه كانتاكا و انطلق برفقة تشانا تاركاً كل شيء، أسرته و والده و المملكة و اختار لنفسه ملابس بسيطة ما لبث أن تخلى عنها هي الأخرى متخذا لنفسه نمطاً خاصاً من اللباس.

سماء الخيول

قيل أن حصانه كانتاكا كان حزينا و ما لبث أن خرّ على الأرض ميتا، و قيل إنه وُلد من جديد في سماء الخيول البديعة.

من حبة فاصولياء في اليوم إلى البوذية

جال سيدهارتا الأمصار لستة أو سبعة أعوام، جرب أولا الصيام و كان أحيانا يأكل حبة فاصولياء واحدة في اليوم، و لكن رأى في النهاية أن الصيام لا طائل تحته، فذهب بعدها إلى غايا Gaya، وجلس تحت شجرة تين المعابد الهندية، حيث تأمل و فكر في كل شيء، و حرر نفسه من كل الارتباطات الدنيوية و اكتشف الحقيقة ، وحقيقة سر السعادة و أصبح عندها بوذا متنوراً.

حياة متوازنة

لم يكن من السهل التعبير عن الحقيقة بكلمات و لكن بوذا حاول ذلك من أجل الآخرين، أفصح بوذا عن اكتشافاته لأول مرة في حديقة للغزلان، في

سارناث Sarnath قرب فارانسي، حيث قال إن الحياة مليئة بالأحزان و المعاناة و لا شيء في الوجود لا يخلو من بذور الحزن، و قال إن الرغبة هي مصدر كل الأحزان، فإن استطاع الإنسان أن يتخلص من الرغبات و الحاجات و المتطلبات عندها سيكون حراً و يعيش بسلام، يبدو الأمر بسيطاً للوهلة الأولى و لكن كيف يتخلص الإنسان من الرغبات و الحاجات و المتطلبات ؟ أجاب بوذا عن هذا التساؤل، و قال إن على المرء أن يعيش حياة متوازنة و أن يمتلك معتقدات و أفكار سليمة و أن يتوخى الصدق في القول و العمل و أن يعيش حياته على الوجه الصحيح و يمارس التمارين المناسبة و يتأمل ملياً و يحظى بذاكرة سديدة، وعلى المرء أن لا يشغل نفسه بادئ ذي بدء بالتفكير بالله و الروح والعبادة و إنما يتعلم أولا كيف يحيا حياته على الشكل الصحيح.

السانغا

أصبح لبوذا الكثير من الأتباع، و قد رحب بهم جميعاً سواء كانوا فقراء أو أغنياء، نساء أو رجالاً، من علية القوم أو من العوام. تبرع الأغنياء بالذهب لبناء المعابد البوذية وبدأت سلسلة للرهبان و الراهبات سُمّيت بـ السانغا.

الانتقال

توفي بوذا عن عمر يناهز الثمانين عاما في منطقة كوشي نغر Kushinagara (حالياً كاسيا في شرق أترا براديش) عام 483 قبل الميلاد، بعد أن أمضى قرابة 45 عاما و نيفا كواعظ، ولا يستخدم البوذيون كلمة وفاة بل الانتقال إلى حالة النرفانا،أي الانعتاق من دورة الحياة والموت.

أجيفيكاس

كان غوشالا ماسكاريبوترا Goshala Maskariputra من أتباع فاردامانا

Vardhamana،عندما بدأ تجواله، و لكنه اتخذ لنفسه منهجا خاصا فيما بعد. يدعى أتباعه أجيفيكاس.

قال غوشالا بأن كل شيء محكوم بالقدرية، و مهما فعل الإنسان لا يستطيع تغيير شيء مقدّر له، لذلك ينبغي على المرء أن يفعل ما يحلو له، لكن رهبان أجفيكاس كانوا يمارسون مختلف أنواع الكفارة، فقد كانوا يتجولون في الغابات و لا يغتسلون، و لم يكن ذلك باختيارهم، و إنما مقدراً لهم.

كيشاكامبالينس Keshakambalins أو الأغطية الشعرية

كان هناك فئة أخرى تبعت أجيتا كيشاكامباالين Ajita Keshakambalin، عُرفت هذه الفئة باسم كيشاكامباالين التي تعني الغطاء الشعري، و من المحتمل أنه كناية عن لباس أتباعها، يعتقد أجيتا أن الإنسان مؤلف من مجموعة عناصر، و عندما يموت الجسد لن تكون هناك حياة أخرى، و لا بعث من جديد، لذلك لا مبرر لفعل الخير بدافع الحصول على الثواب في الحياة الأخرة، و حتى لا مبرر للتفكير في الكرما.

هناك العديد من أمثال أجيتا كانوا جميعا يعتقدون أن الوجود المادي هو الحقيقية.

لا صلوات ولا معابد

اعتنق الناس مثل هذه الأديان، لأنها لم تكن تحتوي على طقوس وأضاحي ونظام طبقات، وكانت تعتبر جميع الناس سواسية أغنياء كانوا أم فقراء ، نساء أم رجالا، وانضم العديد من رجال الأعمال و التجار لهذه الأديان، فأصبحت لهم فيها مكانة مرموقة، ولم يكن أحد ينظر إليهم بنظرة دونية لكونهم فيشياس Vaishyas، وفي البداية لم يكن لهذه الديانات معابد و لا عبادات، و لكن فيما بعد نشأت الصلوات و الأماكن المقدسة.

الفصل التاسع

الإسكندر المقدوني

اعتلى الإسكندر عرش مقدونيا تلك الدولة الإغريقية القوية في عام 336 قبل الميلاد، وكان عمره لا يتجاوز التاسعة عشر عاما، كان والده الملك فيليب قد أنشأ جيشا قوياً و كان الإسكندر يحلم بغزو العالم، و في عام 331 قبل الميلاد أطاح الإسكندر بملك فارس داريوس الثالث في معركة أربيلا و احتل بلاد فارس.

عن طريق معبر خيبر

ثم تحرك الإسكندر تجاه الهند، وفتح في الطريق كلاً من باكتريا و كابول، و دخل الهند عن طريق معبر خيبر.

شمال الهند

في ذلك الوقت كانت سلالة ننداتحكم منطقة بيهار الحالية من عاصمتها ماجادها. حارب الكزندر ممالك مستقلة صغيرة عديدة في شمال غرب الهند.

أمبي (Ambhi)

لم يقاتل الملك أمبي الإسكندر، وإنما قدّم له المساعدة و أهداه الذهب و الفضة و ثلاثة ألف ثور و عشرة آلاف غنمة.

بورس الشجاع (Porus)

دافع بورس بشجاعة عن مملكته على ضفاف نهر جهيلام، وبدأ الإغريق

يهاجمون الأفيال في جيش بورس، مما أسفر عن أسر الملك بورس، بلغ طول بورس ستة أقدام،أحضر بورس إلى الإسكندر، و كان قد أصيب بتسعة جروح في جسده، لم يخش بورس من سلطة الإسكندر، وإنما وقف بكل شجاعة أمامه و طلب منه أن يعامله معاملة الملوك، مما أدهش الإسكندر فأمر بإعادة المملكة له.

اختيار الرجل الأكثر أناقة ملكا

استمر الإسكندر و جنوده بغزو المناطق الأخرى من الهند، فعبروا نهر رافي و هاجموا ساكالا (سيالكوت في باكستان الحالية)، وهذه هي المملكة التي عاش فيها الكاثاس، و قد اختير فيها الرجل الأكثر أناقة ليكون الملك، وعندما وصلوا نهر بياس Beas رفض الجنود الاستمرار في التوغل، فقد تملكهم الشوق للوطن و استحوذ عليهم الحزن على موت العديد من أصدقائهم و اعتراهم المرض.

أراد الإسكندر التوغل في الغزو، و لكنه فشل في إقناع جنوده في المضي خلفه لذا غادر الهند عام 325 قبل الميلاد بعد قتال دام تسعة عشر شهرا، و في طريق العودة مات الإسكندر في بابل عام 323 قبل الميلاد، و له من العمر 32 سنة فقط.

مدن جديدة

بنى الإسكندر مدناً جديدة أشهرها الإسكندرية في كابول و الإسكندرية في السند و بوكيبالا على ضفاف نهر جهيلام، ترك بعض الحكام الإغريقيين في هذه الأقاليم، بوكيبالا كان اسم حصانه المفضل الذي قضى نحبه في الهند.

بعض الأوصاف الإغريقية

وصف الكتاب و المؤرخون الإغريق كل ما شاهدوه في الهند، قالوا إن

الهند كانت غنية جدا و فيها العديد من المدن و البلدات، حصل الإسكندر على هدايا نفيسة من الملوك، على سبيل المثال أعطاه أوكسيدراكي Oxydrakai كميات هائلة من المنسوجات القطنية و قواقع السلاحف و الفولاذ.

كانت المواشي من نسل جيد، و قد اسر الإسكندر بنفسه 230000 ثور، و أرسلهم الى مقدونيا للاستخدام في الزراعة، كما كانت حرفة النجارة متطورة في الهند و قد بنى النجارون السفن و القوارب و العربات.

نتائج الغزو

نتيجة للغزو أصبحت الطرق البرية و البحرية للهند معروفة جدا، و يمكن ملاحظة تأثير الأفكار الإغريقية في الفن و العمارة و العلوم خلال القرون العديدة التالية.

و كان من التأثيرات المباشرة للغزو انهيار الممالك الصغيرة الذي ادى إلى تأسيس إمبراطورية جديدة.

الفصل العاشر

الموريا

ملوك السلالة المورية

تشاندرا غوبتا موريا

بعد موت الإسكندر عام321 قبل الميلاد، هزم تشاندراغوبتا موريا دهاناندا Dhanananda آخر ملوك ناندا، واستولى على مملكته بمساعدة تشاناكيا Chanakya صديقه و وزيره لاحقا.

أرض الطواويس

يقال إن تشاندرا غوبتا كان ينتمي إلى أسرة متواضعة، و ذكرت القصص البونية أنه جاء من أرض تعج بالطواويس لذلك دُعي بالموريا، وربما كان من مكان ما في شمال غرب البلاد، كانت نشأته الأولى في منطقة تاكسيلا (باكستان الحالية)، و يذكر أن تشاناكيا كان ابن أحد البراهمانا في تاكسيلا و كان يُدعى أيضاً كوتيليا.

طبقاً للحكاية الشعبية التي تذكر أن تشاندرا غوبتا رأى يوما امرأة توبخ ابنها لأنه كان يأكل من وسط الإناء و بذلك حرق إصبعه، فقالت له أمه " كل من الأطراف أولا "، تعلم تشاندرا غوبتا من هذا التوبيخ درسا وقرر بغزو ضواحي مملكة دهاناندا أولا. فإنه استولى على المناطق الواقعة في شمال غربي البلاد التي تخلى عنها الإسكندر، ثم بمساعدة تشاناكيا الذي قدم له النصائح و جيشا متواضعا استولى على القرى النائية و أخيرا احتل باتالي بوترا.

الأميرة الإغريقية

وسّع تشاندرا غوبتا مملكته، واستولى على أفانتي Avanti الواقعة شمال نهر نارمادا، ثم حارب ضد سيلوكوس Seleukos Nikator ، وهو أحد قواد الإسكندر، و انتصر تشاندرا غوبتا في الحرب، و منع سيلوكوس من التوغل و التوسع، و بعد ذلك وقع معاهدة مع سيلوكوس عام 303 قبل الميلاد، و ربما تزوج من أميرة إغريقية.

عاش ميغاستينيز Megasthenes في بلاط تشاندراغوبتا كسفير إغريقي لعدة سنوات، و قد وصف ما شاهده في كتاب أسماه انديكا Indica.

الموت جوعا

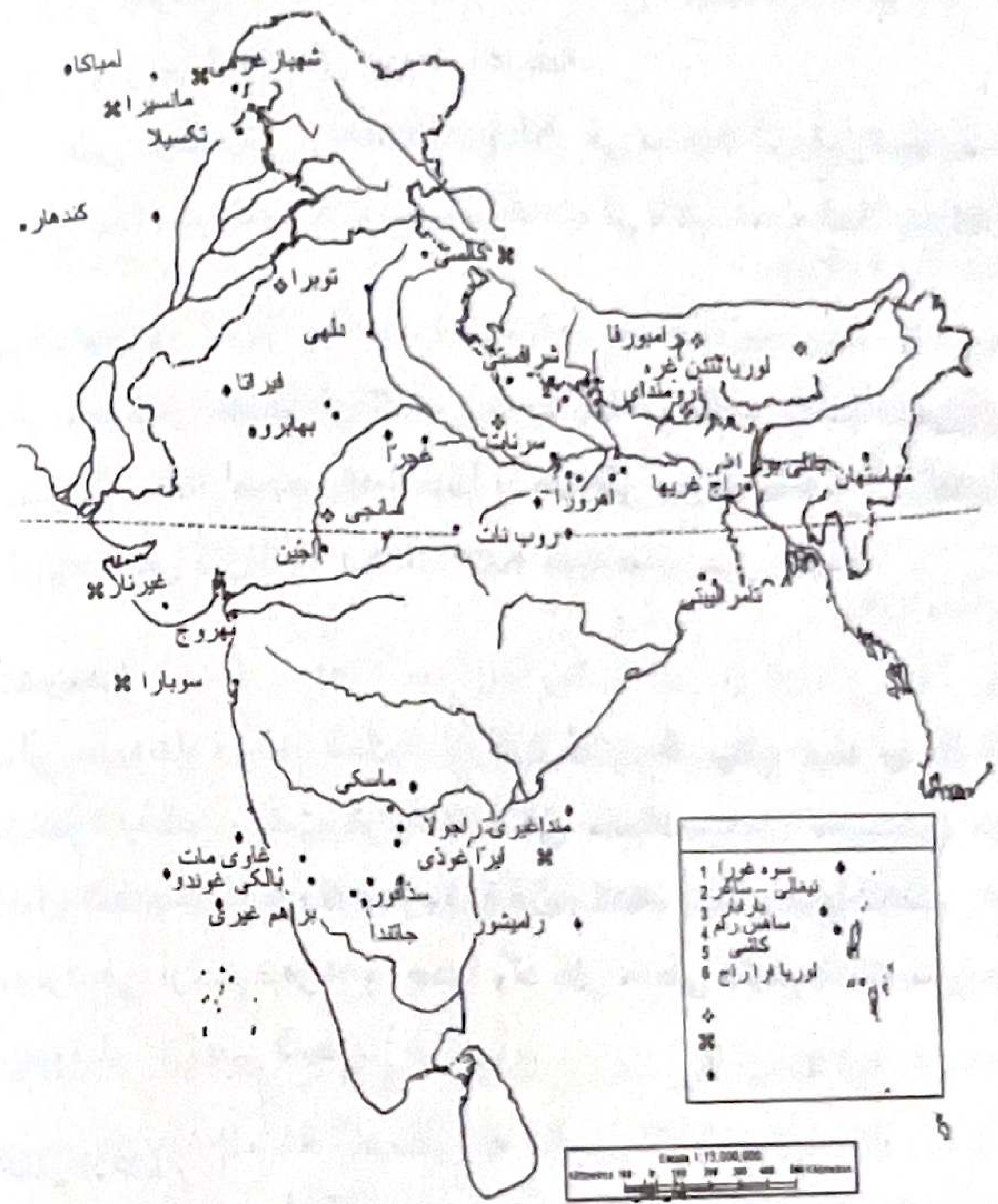
تذكر المصادر الجينية أن تشاندرا غوبتا بعد أن حكم أكثر من أربعة وعشرين عاما أصبح راهبا جينيا وذهب إلى سرافانا بلغولا Sravana belgola في كارناتاكا Karnataka حيث صام حتى الموت.

بيندوسارا

تولى بيندوسارا زمام الحكم عام 279 قبل الميلاد بعد وفاة والده تشاندراغوبتا، و أدت غرابة اسمه إلى نسج العديد من القصص حوله، تقول إحداها أن أمه ماتت مسمومة قبل ولادته، لذلك وُضع الجنين الغير مولود في أرحام معزة، و عندما وُلد كان مغطى بالبقع، لذلك سمي باسم بيندوسارا و تعني المبقع.

قاتل الأعداء

دعا الإغريق بندوسارا باسم أميتروكاتيس Amitrochates، وهذه الكلمة من كلمة مشتقة أمريتاغاتا Amritaghata السنسكريتية و التي تعني قاتل الأعداء، و يقال إنه فتح ستة عشر ولاية مما زاد في امتداد إمبراطوريته من البحر إلى البحر.



إمبراطورية أشوكا

أشوكا

عندما وُلد ابن بيندوسارا فرحت به أمه كثيراً و قالت " أنا الآن أشـوكا" أي بلا حزن و لذلك سمي الطفل بأشوكا.

من الصخور و الحجارة

نحن نعرف الكثير عن أشوكا من خلال المراسيم و الرسائل التـي نقشـها على الصخور و على الأعمدة الحجرية، أراد أشوكا من هذا النقش أن يخلد كلماته لكي تبقى مادامت الشمس والقمر، ووُجدت هذه النقـوش مـا بـين الشمال الغربي (أفغانستان حاليا) إلى كارناتاكا في الجنوب، حيث كانت هذه المنطقة تحت سيطرته أو تحت سلطته، كتبت هذه الرسائل باللغة الباليـة و هي الشكل المبسط للغة السنسكريتية، أرادها باللغة الباليـة حتـى يـتمكن جميع الناس من فهمها لأن السنسكريتية كانت لغة أهل العلم فقط.

مقتل مئة ألف شخص

بعد أن حكم أشوكا لمدة ثماني سنوات (269-260 قبل الميلاد)، هاجم على مملكة كالينغا Kalinga وفتحها، ولكن نقشه على الصخرة الثالثة عشر تفيد بأنه تم اسر مئة و خمسين ألف شخص و مقتل مئة ألف و هلاك أضـعاف هذا الرقم، وضاق أشوكا ذرعا من إراقة الدماء و المعاناة مثل هذه، فقـرر بأنه لن يقتل أحداً بعد ذلك و أنه في المستقبل سوف يحكم و يفتح من خلال دهاما Dhamma أي الدين.

حبيب الألهة

تأثر أشوكا بالبوذية و دعا نفسه بـ Devanampiya Piyadasi أو (Devanam Priya Priyadarshini) أي حبيب الألهة، وعمل جاهدا على إزالة البؤس من بلاده و نقش سياسته المسالمةDhamma على الصخور و الأعمدة، كانت دهاما أو دهارما مبدأ سلوكيا و نمطا للحياة.

تبجيل الأب و الأم

أراد أشوكا من جميع الناس في مملكته أن يوقروا والديهم، و أن يحترموا البراهمة وكافة رجال الدين، وأن يحترم كل منهم دين الآخرين لأن هذا يظهر عظمة دين كل فرد منهم، و على الناس أن لا يقيموا احتفالات غير ضرورية و أن يتصدقوا و يساعدوا الآخرين.

النملة الملكة و الحيوانات الأخرى

يجب أن لا تُقتل الحيوانات بلا سبب، وبهذا الصدد تم إبلاغ جميع الناس بقائمة طويلة بأسماء الحيوانات و الطيور و الأسماك التي مُنع قتلها منعا باتا، تضمنت القائمة أسماء الحيوانات مع صغارها مثل السناجب و القرود و الببغاوات و الأسماك التي لا عظام لها والنملة الملكة، و في المطبخ الملكي لم يكن مسموحاً بقتل اكثر من غزال واحد و طاووسين يوميا، و فيما بعد منع قتل هذه الحيوانات أيضا.

حراس دهما (Dhamma)

عيّن أشوكا حراساً ليراقبوا تنفيذ القرارات، و كان أشوكا بنفسه يتصدق على الفقراء و يزرع الأشجار و يحفر الآبار و قد يبني مستشفيات للناس و الحيوانات.

نهاية الدولة المورية

طال حكم أشوكا لمدة 37 سنة، و مات في عام 232 قبل الميلاد، و حكم بعده ملوك الموريا مدة خمسين سنة، و لكن الإمبراطورية بدأت تنهار بعد ذلك، يرجع البعض سبب انهيار الإمبراطورية إلى أفكار أشوكا السلمية التي أدت إلى إضعاف الجيش و يقول الآخرون أن السبب يكمن في ضعف الملوك ذاتهم، كان من العسير الحفاظ على إمبراطورية بهذا الحجم والتي احتاجت إلى أموال طائلة لتدفع أجور الموظفين.

ولم تقم إمبراطورية كبيرة بهذا الحجم في شبه القارة الهندية مرة أخرى حتى مرحلة العصور الوسطى.

الحياة في إمبراطورية سلالة الموريا

الناس

كان كثير من الناس مزارعين، وآخرون حرفيين، إنهم تخصصوا في مختلف الحرف، مثل الأقمشة والمصنوعات الخشبية والعاجية، والعطور والمجوهرات المصنوعة من الأحجار الكريمة، والمصنوعات الحديدية والنحاسية،والفخار الأسود اللامع الذي سبق ذكره آنفا، كانت من الأشياء التي صنعوها.

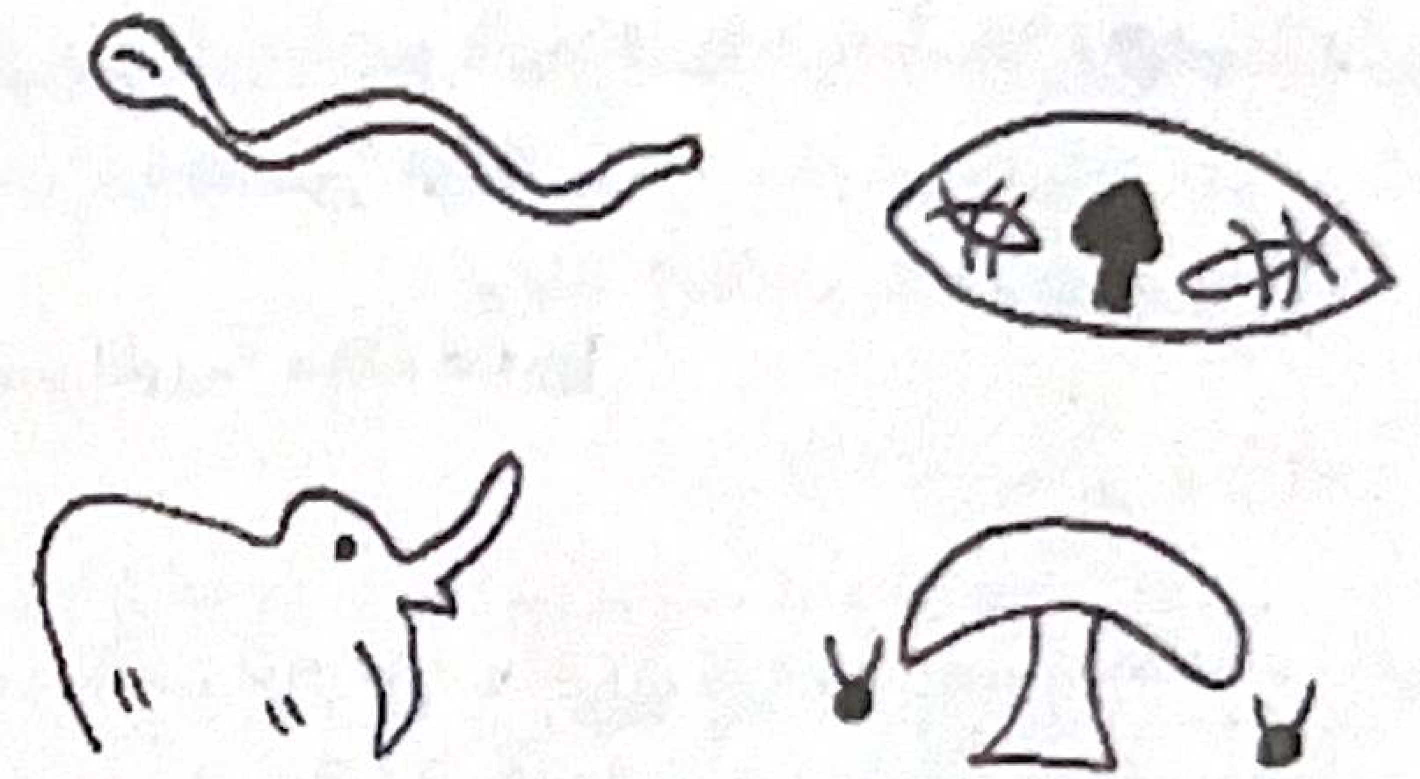
المدن

عاش الناس في المدن و الأريا ف و ازداد عدد المدن في هذه الفترة.

التجارة

كان هناك تواصل تجاري مع عدد من المناطق بما فيها سريلانكا و ميان مار و مصر و سوريا و مقدونيا.

كان البعض يخشى الأشباح و الشياطين الخيالية، وكانوا يقطعون الصحاري ليلا حيث كانت النجوم خير دليل لهم، و في البحر كانوا يصطحبون الغربان في السفن و القوارب، و كانوا يتركونها وسط اليم حيث تطير مباشرة نحو اليابسة، و بذلك يستدل المسافرون على الجهة التي يريدونها.



رموز على عملات سوق بونش

الشموس والأرانب والفطور

كانت تستخدم عملة فضية مخرمة، وكانت هذه العملات منقوشة بمختلف الرموز منها شموس وأفيال وأفاعي وأرانب وكلاب تصطاد أرانب وأشجار وفطور إلخ.

الإسطبات والأعمدة

الإسطبة هي هرم بوذي على شكل قبة، تم بناؤها على رماد أو بقايا جسد بوذا، وأشهر هذه الإسطبات إسطبة سانتشي التي تقع في ولاية مادهيا براديش، نقش بعض مراسيم أشوكا على أعمدة من حجر رملي ملمعة طويلة، كان يعلوها أشكال الحيوانات، فمثلا كان يعلو عمود سارناث أربعة أسود يجلس أحدهم مواريا ظهره للآخر، كما وُجد عمود آخر يعلوه عجل وأسد وحيد.

= ka = da = va

= ma = ya = na

الخط البراهمي

الكتابة

كُتبت مراسيم ورسائل أشوكا بالخط البراهمي، وتطور معظم الخطوط الهندية المؤخرة من الخط البراهمي، كما تطور خط اللغة الأردية عن خاروشتي الذي كان يستخدم في شمال غرب الهند.

كيف عرفنا عن ملوك الدولة المورية

مع أن الإمبراطورية المورية قد اختفت عن وجه الأرض ولكن يمكن أن نقرأ عنها في كتاب الإنديكا (Indika) وآرثاشاسترا الذي كتبه كوتيليا وفي الكتب البوذية، ولازلنا نرى الأعمدة والرسائل الحجرية في أماكن مختلفة، والعملات والأشياء الأخرى في المتاحف.

الحادي عشر

شمال الهند بعد السلالة المورية

على أثر انحطاط الامبراطورية المورية حكمت سلالات أخرى علـى المنـاطق المختلفة للهند، ففي شمال الغرب حكم الأغارقة الهنود و الاسكيثيون والفرس. و فى ماغدهـا ووادي جنجا حكمت سلالة شونجا و تبعتهـا سـلالة كانفـا، وكانت كالينجا مملكة مستقلة فى أريسا بينما حكمت سلالة شاكا على كجرات.

شمال الغرب

الجدار العظيم للصين

بنى شيه - هوانج - تى الملك الصينى الجدار العظيم للصين فى حـوالى 200 ق م .

الأغارقة الهنود

فى باكتريا حكم فرع من الأغارقة . و بعد أن تم بناء جدار الصين بـدأت السلالة الاسكايثية تهاجمهم ، فتحرك ديمتريوس الملك الاغريقى البـاكترى نحو الهند فى حوالي 200 ق م و احتل هو و أغارقة آخرون منطقة كبيرة فى الهند .

ميليندا بانهو

كان مناندر اشهر الملوك الأغارقـة الهنـود و كانـت عاصـمته سـاكالا (سيالكوت فى باكستان) معروفة بكثرة الحدائق العامة و البساتين و البرك و المباني الجميلة والطرق المصممة و الجدران المتينـة . و كانـت فيهـا محلات تجارية تباع فيها الجواهر والموصلين و مواد غاليـة أخـرى . و

توجد هذه المعلومات فى كتاب اسمه " ميليندا بانهو" أو تسـاؤلات منانـدر (المعروف بميليندا فى اللغة البالية) . كان منانـدر مولعـا بالبوذيـة ، و المناقشات التى اجراها مع عالم بوذى كبير - ناجاسينا - مسجلة فى هـذا الكتاب . و فتح مناندر أيضا مناطق حتى غرب أتر براديش .

عدم الاتحاد بين الأغارقة

كان الأغارقة الهنود غير متحدين و لم يدم حكمهم طويلا .

الاسكايثيون

سرعان ما دخل الاسكايثيون شبه القـارة الهنديـة ، و حكمـت الفـروع المختلفة على الأنحاء المختلفة للهند . و هم كانوا يعرفون بـ شاكا .

الفرس

سرعان ما دخل الفرس الايرانيون منطقة شمال الغرب فـى القـرن الأول الميلادى ، و كان كوندوفرنس اشهر ملوكهم معجبا بالهنـد ، و يقـال ان السنت ثوماس أحد حواري المسيح جاء الى الهند أثناء حكمه .

لم يمض وقت طويل حتى غلبت عليهم قبائل يويه تشـيه المعروفـة بـقبائل كوشانا.

الفصل الثانى عشر

سلالة كوشانا

حكم ملوك سلالة كوشانا على شمال الهند منذ حوالي 50 م إلى 300 م .

كانيشكا (78م - 120م)

كان كانيشكا اشهر ملوك هذه السلالة و امتدت مملكته من شمال الغـرب و كشمير على أكبر جزء من وادي جنجا ، و حتى أنه حاول الانتصار على الصين أيضا .

كانت لمملكته عاصمتان احداهما فى " بوروشابورا " (بشاور) فـى باكستان الحالية و الثانية فى ماثورا فى غرب ولاية أتر براديش .

ظلت سلالة كوشانا تحكم المنطقة لمدة أخرى لــ 150 سنة الــى أن اطاح به عن الحكم الساسانيون فى شمال الغرب و الجوبتا فى الشمال .

الديانة

اتبع ملوك كوشانا ديانات مختلفة من بينها البوذيــة و فرعــان للهندوسـية ينسب أحدهما إلى الإلاه شيفا و الآخر إلى الإلاه فيشنو.

فرع ماهايانا من البوذية

كان "ماهايانا" شكلا جديدا للديانة البوذية ظهر أثناء هذه الفترة ، و الشـكل الأسبق لهذه الديانة كان يدعى " هينايانا " و لا يعبد فيه البـوذا كـالاه و لا يصنع له أصنام أو تماثيل ، ويفترض أن يحقق كل واحد من اتباعه النجاة أو الحرية لنفسه. فقال البوذا لتلميذه المحبب " آننذا " "كن نورا لنفسك. "



البوذا من جاندهارا



تمثال صغير أنثوي من ماثورا

أما نظام ماهايانا فيعبد فيه البوذا كالاه و يصنع له تماثيل ، و في إطار هذا النظام تطورت فكرة ما يسمى " بوذى ساتفا " - كائن يتواجد لمساعدة الآخرين فقط.

الفن و هندسة العمارة

تطور شكل جديد للفن يدعى فن " جاندهارا " حيث ظهرت اشكال جميلة للبوذا باسلوب إغريقى رومى تم نحتها بطريقة واقعية فتوجد لها أجسام جميلة و شعر أجعد .

فى ماثورا أيضا صنعت تماثيل البوذا و الجين بنحت الحجر الأحمر ، والتماثيل المصنوعة هنا تبدو اكثر بدائة مع تباشير الفرح على وجوهها .

الأدب

كان " أشفاغوشا " كاتبا بارزا ألف " بوذا شاريتا " (سيرة حياة البوذا) و ألف كذلك نصوصا لفرع " ماهايانا " للبوذية و منها " مهافاستو " و " ديفيانادانا " . كما كتبت " جاتاكا " أى قصص البوذا الخاصة بحياته السابقة في نفس الفترة تقريبا .

فى هذه القصص مازال البوذا " بوذى ساتفا " و معناه كائن حي مستعد دائما لمساعدة الآخرين مهما كان ثمن ذلك . و بهذه الصفة اتخذ البوذا أشكالا مختلفة و منها شكل " الملك سيفي " . و ذات مرة جاءت حمامة إلى الملك سيفي و التمست منه أن يحميها من صقر كان يلاحقها ، و جاء الصقر بعد قليل و قال إنه جائع و بحاجة لأكل الحمامة . فعرض الملك سيفي لحمه لكي يأكله الصقر بدلا من الحمامة . و في حياة أخرى كان البوذا قردا ، فجاء فريق من القرود التي كان يلاحقها جنود الملك ، فالقرد الذي كان أن يولد بمظهر البوذا فى حياته الأخرى القي بنفسه عبر

نهر و جعل منه جسرا لكي تصل به القرود إلي مكان آمن . و هناك قصص أخرى كثيرة مثل هذه .

العلوم

تطور علم التنجيم و علم الفلك و الطب ، فكتب "شاراكا" و "سوسروتا" حول العديد من النبتات و الأعشاب التي تستعمل في علاج الأمراض .

وضع " شاراكا " مبادئ سلوكية واضحة يجب أن يعتمدها الطبيب .

إذا كنت تريد النجاح فى ممارستك و تطلب الثروة و السمعة و الفردوس بعد الموت فعليك أن تدعو (الله) الخير و الرفاهية للجميع كل يوم عند التيقظ من النوم و قبل الذهاب إلى المضجع . و عليك أن تجهد بإخلاص تام من أجل صحة كافة الناس ... عليك ألا تخدع مرضاك حتى و إن كان الامتناع من ذلك على حساب حياتك ".

الفصل الثالث عشر

سلالة ساتافانا

بعد سقوط الامبراطورية المورية أسست سلالة " ساتافانا " مملكة في الدكن و هي تعرف أيضا بسلالة آندهرا . أولا وصلت هذه الأسرة إلــى مقاعــد الحكم فى إقليم مهاراشترا الحالي قرب " براتيشثانا (بايثان) على شــواطئ نهر " جودافاري في حوالي القرن الأول قبل المسيح .

سرى ساتاكارنى

كان هناك كثير من ملوك " ساتافانا " و أولهم " سيموكا " ، و الملك الثالث " سرى ساتاكارني " قام بتنظيم تضحيات عديدة و منها ما يسمى " اشفا ميدها "(أضحية الفرس) و أعطى ألوف البقار و الأفيال و الأفراس و العمــلات للنساك مكافأة لخدماتهم.

جوتمى بوترا

كان " جوتمي بوترا ساتاكارني " (80م – 104م) اشهر الملوك ، و هــو الذي هزم " شاكا " ملك غرب الهند و امتدت مملكته الــى بانافاســي فــي الجنوب و ضمت مهاراشترا و كونكان و سوراشــترا و مــالوا و غــرب راجستهان و فيدرابها .

الديانة

يقال إن حكام " ساتافانا " كانوا من البراهمنة و كانوا يعبدون الالاه كرشنا و فاسوديفا و فيشناما، و جنبا لجنب ذلك ازدهرت الديانة البوذية أيضــا . و منح هولاء الحكام قطعات أرضية للنساك البراهمنة و البوذيين .



ياشكي من أمرافاتي

هندسة العمارة والفن

بنى كثير من قاعات الأدعية و الأديرة عن طريق النحت فـي الصـخور الصلبة و اشهرها فى كارلي بولاية مهاراشترا . كمـا صـنعت الأهـرام البونية بنحت الصخور فى أمرافاتي و ناج أرجونا كوندا و أماكن أخرى . و صنعت تماثيل جميلة فى أمرافاتي .

الانحطاط

تعرض حكم ساتافانا للانحطاط بعد 220م فتفرعت إمبراطوريتهـا إلـى دويلات صغيرة تحكمها أسر " أبهيرا " و " شوتو " و " اكشـفاكوس " و " بالافا " و البعض من أخلاف " ساتافانا " .

الفصل الرابع عشر

ممالك الجنوب

في الفترة من 400 ق م إلى 300 م أقيمت ثلاث ممالك في أقصى جنـوب الهند و هي " بانديا ز "و شراز " و شولاز " ، و كل ما نعرفه عـن هـذه الممالك نعرفه من خلال العبارات المنقوشة و ما يسمى "أدب سانجام . "

ادب سانجام

قبل زمن طويل كما يقال عقدت ثلاثة حفـلات أدبيـة (سـانجام) فـى مادورائى، حضرها شعراء و كتاب و قدموا فيها انتاجاتهم الأدبية .

و فى حين لا تعرف مواعيد تلك الحفلات على وجه التحديد قـد فقـد بعض الانتاجات التى قدموها فيها سوى 8 مجموعات شعرية (ايتوتوجاى) و قصدتين طويلتين (باتو باتو) و كتاب فى النحو (تولكابيام) حيث توجد هذه الأثار الأدبية حتى الآن . و هذا الأدب المكتوب باللغة التاميلية يصـف الحياة في الجنوب أثناء القرون الأولى الميلادية .

سلالة بانديا

احتل ملوك بانديا و عاصمتهم في مادوراي أقصى جنوب شبه الجزيـرة ، و ذكر ميغاستينز أن المملكة كانت خاضعة لحكم امرأة وكانت معروفة بلآليها.

سلالة تشولا

عاشت أسرة " تشولاز " بشمال غرب مملكة " بانديا ز " بين نهرى " بينار " و " فيلار " و كانت عاصمتهم فى " اورى يور " . و كانت أراضى مملكة

شولا خصبة لحد أن قطعة أرضية تتسع لاضطجاع فيلة كانت تكفى لتغذية سبعة أشخاص .

شراز

كانت أسرة " شراز " تعيش فى اقليم كيرالا الحالى و فى جنوب غرب تاميل نادو و كانت بلاده تعرف بجواميسها و ما تنتجه من فواكه و توابل مثل جاك فروت و الفلفل الأسود و الكركم .

الانحطاط

تعرضت هذه الدول للانحطاط فى الفترة بعد القرن الثانى الى القرن الثالث عند ما خاضتا حروبا متتالية بعضها ضد البعض و أيضا مع سرى لنكا .

الحياة في هذه الممالك

الزراعة

في هذه الممالك كلها كانت الأرض خصبة تنمو فيها الحبوب و الأرز و الخردل و قصب السكر و الفواكه و الفلفل الأسود و التوابل .

الغذاء

كان الناس يأكلون الخضراوات و اللحوم و كان الخنزير يطبخ بكامله و تقدم اطباق السلحفاة و السمك بمناسبات خاصة ، و كانوا يشربون الخمور و النبيذ ، و فى قصورالملوك كانت الاحتفالات تقام أحيانا كثيرة .

المدن و الأرياف

كانت هناك مدن و بلدات و موانئ و أرياف ، و كانت القصور الملكية تزين بأحسن وجه . و في قصر " نيدونجيليان " (أحد ملوك بانديان) كانت

تستعمل مصابيح مصنوعة من قبل الأجانب الى جانب السرائر المصنوعة من العاج و الوسائد الجميلة . و كانت البساتين تحيط بالقصور . كان الأغنياء يسكنون البيوت المشيدة من الأجر فى حين كان الفقراء و الناس فى الأرياف يسكنون الأكواخ و البيوت التي سقوفها من القش.

الديانة

بدأت الأفكار الواردة من الشمال تؤثر فى هذه المنطقة عند ما سافر اليها البراهمنة و الجينيون و البوذيون و غيرهم .

يقال إن الناسك " أجاستيا " وصل بالديانة الفيدية الى الجنوب . كان السكان المحليون يعبدون الأحجار - البطل ، و هي الأحجار التي كانت تنصب عند ما كان أحد يقتل في المعركة .

القصائد

"أدب سانجام" لا يوفر وصفا لتلك الأيام فقط بل يشمل أيضا قصائد ممتعة عن حياة عامة الناس ، و فيما يلي مثال واحد لتلك القصائد :

ولد شرير

تقول بنت لصديقها
«عند ما كنت العب في الطريق
رفس بيتي المصنوع من الطين
انتزع قلادتي
أخذ كرتي المخططة
و هرب بعيدا
ذلك الولد الشرير!

الفصل الخامس عشر
عصرسلالة الجوبتا

ملوك سلالة الجوبتا

بعد انحطاط ملوك كوشانا في الشمال كانت السلالة الحاكمة الهامة التالية هي سلالة الجوبتا و نعرف عنها من خلال الآثار و العبارات المنقوشة والعملات و مصادر أدبية .

الملوك الأوائل

الملك الأول المعروف كان سرى جوبتا

تشاندراجوبتا (حوالى 320-336م)

كان تشاندرا جوبتا الأول أول ملك هام و حكم على ماجادها (بيهار) و برياجا و ساكيتا (شرق أتر براديش) .

سامودرا جوبتا (حوالى 336-380م)

على عمود تذكاري قديم لأشوك كتب هاري شينا ، شاعر القصر ، عبارة منقوشة في مدح سامودراجوبتا قال فيها إن سامودراجوبتا خاض المعارك في كافة أنحاء الهند و قدم بعد ذلك أضحية للفرس (اشفاميدها) . انتصر على معظم شمال الهند و غربها . أما شرق الهند و الولايات الجنوبية و الإمارات من الأراضي البعيدة فكانت تدفع الجزية له . و على الرغم من هذه المعارك ألا أن سامودرا جوبتا نال وقتا لكتابة الشعر و عزف الآلة الموسيقية - فينا -

الملوك الأخرون

تولى تشاندرا جبتا الحكم خلفا لـ سامودراجبتا و تبعه كوماراجبتا و سكاندراجوبتا . و بعد ذلك تعرضت إمبراطورية جبتا للانحطاط عام 550م و خسرت كافة أراضيها.

نمط العيش أثناء عصر الجوبتا

الملوك مثل الإلاه

كان " مهاراج ادهيراجا " (ملك الملوك) و "باراماراج ادهيراج " (أفضل الملوك) من الألقاب الرفيعة التي كان يستعملها ملوك سلالة الجوبتا ، و ثمة عبارات منقوشة تصفهم بأنهم متساوون للآلهة .

طريقة الحكم

كان الوزراء و المسؤولون يساعدون الملك في إدارة الحكم ، و كانت المملكة مقسمة إلى أقاليم ومديريات ، و شيوخ القرية كانوا يرعون شؤونها في حين كانت المدن تحكم من قبل المجالس التي تضم ممثلين عن المهن المختلفة .

المدن

شيدت مدن كثيرة على نمط شبكة مع الطرق المتشابكة ، و كان بعض البيوت ذا طابقين أو ثلاثة طوابق . يقول الشاعر كاليداس إن الناس كانوا يطلون على الشارع من الشبابيك المزودة بالشعرية ، و من تلك المدن كانت اندرا بارستها و أهيشاترا و كوسمبى و ماشى وماثورا . و يقول السياح الصينى فاهيان إن منطقة ماجادها كانت حافلة بالمدن .

الحرف

كانت الأسواق مليئة بأشياء مختلفة للبيع و الشراء ، و فضلا عن الحبوب

و الخضراوات كانت هناك مصنوعات فخارية و أشـياء مصـنوعة مـن المعادن و الأحجار و التراكوتا و العاج و الأحجار الكريمة و شبه الكريمة و الدرر و المنسوجات الجميلة .

كانت المصنوعات الفخارية بسيطة حمراء و أحيانـا ذات خطـوط سمراء أو مصقولة . ومن أجل إعطاء لمعان و جاذبية لبعض الأواني كان يخلط الميكا مع الفخار . و على السواحل الغربية كان الناس يغوصون في أعماق البحر ليخرجوا مع المحار المحتوية على الدرر، و كان الحرفيون يرصعون بها الحلي الجميلة .

التجارة

سافر التجار في كافة أنحاء الهند و ذهبوا إلى أراض أجنبية أيضا بـالطرق البرية و البحرية ، وتم إنتاج المحاصيل بما فيها الأرز و القمح و الشعير و الخضراوات و التوابل .

و كانت الصادرات تتضمن الحرير و خشـب الصـندل و اللآلـي و التوابل و الأحجار الكريمة و شبه الكريمة و العطور و النيلة و الأعشاب . أما الواردات فكان منها الحرير و العاج و الأفراس.

العملات و المحار

كانت العملات الذهبية متوفرة و تدعى الدنانير و عليها مشاهد مـن حيـاة الملوك . كما يظهر عليها فرس التضحية فضلا عن صور الآلهة فيشـنو والإلاهة لاكشمى . و كانت العملات الفضية توجد فى غجرات .

أما العملات النحاسية فكانت توجد قليلا، و كانت المحار الصـغيرة أيضا تستعمل كعملات نقدية.

الموانئ

ومن الموانئ الهامة كانت " تامرا ليبتي " على الساحل الشرقي قرب كلكتـا و بهروتش و كامبي فى الغرب ، و لكن البراهمنة حاولوا منع التجار من الذهاب إلى الخارج بحجة أنهم يصبحون بذلك نجسا .

الأرياف

كانت هناك بيوت ساذجة في الأرياف، و كان يؤخذ ما يتراوح من ربـع إلى سدس من المحاصيل كضريبة .

النظام الطائفي

بالجملة كان الناس في حالة رخاء و لكن المنبوذية كانت واقعـا معاشـا ، فكان رجال الطبقات المنبوذة (شاندالا) يسكنون خارج البلدات و القرى.

الديانة

كانت الديانة الجينية شائعة في عدة أجزاء للبلاد و كانت البوذية قد بـدأت في الانحطاط.

المرأة

كانت نساء البراهمنة و خاتريا يعشن حياة ممنوعة الحرية حيث لا يسـمح لهن العمل خارج البيت . كما بدأ نظام " ساتي " (احراق الزوجة مع جثـة زوجها) في هذه الفترة ، و أول حادث كهذا وقع عام 510 م .

المذهب البهاجافاتى أو الفيشنافى

كان البهاجافاتا من يعبد الالاه فيشنو ، وكان يسمح لكل واحد بعبادة فيشنو بمن فيهم المرأة و المنبوذ ، و في هذا المذهب لم يكن هناك مكـان لتقـديم أضحية الفرس أو تضحيات معقدة أخرى أو حاجة لتلقى التعليم العالي ،



البوذا من ماثورا



البوذا من سارناث

فكان يكتفي بمجرد العقيدة و التفاني . و شكل آخر لفيشنو هو كرشنا ، و للأخير عدة جوانب و منها طفل لعوب و عاشق سماوي أو فيلسوف كبير . و كان اتباع هذا المذهب يعبدون كرشنا بالدرجة الرئيسية .

بهاجافاد

النص الرئيسي أو الكتاب المقدس للمذهب البهاجافاتي هو " بهاجافاد جيتا " و لعله كتب في حوالي القرن الثاني الميلادي و لكن اصبح شائعا في عصر الجوبتا . و هذا الكتاب يصف ثلاثة طرق للوصول إلى الله وهى " جيانا " (الحكمة) و " كرما " (العمل) و " بهاكتي " (التفاني في العبادة) ، و ينطوى الأخير على عبادة الله مع الحب و لا يقوم أساسا على التمييز الطائفي.

المذهب الشايفي

كثير من الناس كانوا يعبدون الالاه " شيفا " و وفقا للكتاب المقدس ريجفيدا كان رودرا " الشكل المبدئى للالاه شيفا . و له جوانب مختلفة عديدة ، فهو إلاه الخصوبة و إلاه الوقت الذي يدمر كل شئ ، و هو إلاه النساك و يستغرق في التأمل على جبل كيلاش و إلاه الرقص الذي خلق 108 أنواع للرقص على ما يقال.

الفن و هندسة العمارة

يصف فاهيان شكلا نحاسيا للبوذا يبلغ 25 مترا في الطول .

صنعت تماثيل حجرية للبوذا في ماثورا و سارناث يظهر فيها البوذا مع ابتسامة لطيفة و عيناه شبه مغلقتين .

كما صنعت تماثيل فيشنو و شيفا إلى جانب الأصنام الأخرى .

مازالت بعض المعابد المصنوعة من الآجرباقية في بهيتارجاون و

بهيتارى و ديوجاره فى اقليم اتر براديش . كما توجد تماثيل رائعة مصنوعة من التراكوتا للالاه فيشنو فى ديوجاره .

التعليم

أسست جامعة نالندا في بيهار حيث درس الطلبة الديانة البوذية و كتب الفيدا و الفلسفة و المنطق و النحو.

الأدب

و في هذه الفترة كتبت معظم الأعمال التي كانت تقرأ أو تنشد أو أنها نالت الصياغة النهائية و من بينها " مهابهاراتا " و " رامايانا " و البعض من " البورانا " و " بنج تنترا " و كتب في القانون (سمرتي) .

كتب البورانا مليئة بحكايات و أساطير و تحتوى على بيانات الملوك و السلالات الحاكمة و الآلهة . أما بنج تنترا فيحوى نصائح للملوك في أسلوب القصص عن الحيوانات . ووضعت الكتب القانونية قواعد ينبغي للناس أن يقضوا حياتهم وفقا لها .

كاليداس كان أشهر كاتب لهذا العصر ، فكتب " ميغادوتام " و " أبهيجنانا " و " شاكونتالام " .

ريتوسامهارا ، راغوفامسا و كتب أخرى

في ميغادوتام (السحاب الرسول) يرسل ياكشا، زوج انفصل عن زوجته ، رسالة إليها عن طريق سحابة ، فتسافر السحابة من الجنوب إلى جبال هملايا واصفة الأنهار و الجبال و المدن التي تمر بها شعرا ، و عند ما تصل إلى هملايا ترى السحابة مدينة سحرية يعيش فيها ياكشا مع نساء جميلات يسكن قصورا بيضاء تنعكس النجوم فى سطيحاتها الشفافة مثل الزهور .

أما راغوفامسا فيحكى قصة راما بينما يصف ريتوسامبهارا الفصول و المشاعر المختلفة المرتبطة بها . و اشهر كتاب لكاليداس هو ابهينانا شاكونتالام – قصة دوشيانتا و شاكونتالا .

سودهاركا كان كاتبا آخرللمسرحية فى هذه الفترة ، فكتب مسرحية " ميرشاكاتيكا " أو عربة طين صغيرة ، و هي قصة غرامية تصف حب شارودتا ، رجل فقير من البراهمنة ، مع فتاة اسمها فاسنتاسينا . كان بهاسا كاتبا بارزا آخر ، كتب عددا من المسرحيات و تبقى منها 13 مسرحية حتى الآن و منها "سوابنافاسافادتا" (حلم فاسافادتا) .

كما تطورت العلوم و الرياضيات . و كان روماكا سيدهانتا كتابا حول علم التنجيم ، و كتب أريابماتا الذى وضع عدة تقديرات حسابية كتابا معروفا اسمه " آريابهاتيا" .

عصر ذهبي ؟

في هذه الفترة تطور الفن و الأدب و العلوم و التكنولوجيا و عاش الناس في أجواء من الرخاء و الازدهار . كما تطورت أفكار جديدة ، و لهذا السبب تدعى هذه الفترة فترة ذهبية .

و لكن الفترة وسط كل هذا شهدت بداية انحطاط حتى قبل بداية عصر الهونا فتعرضت المدن و التجارة للانحطاط .

الفصل السادس عشر

الدكن و جنوب الهند

بينما كان ملوك سلالة الجبتا يحكمون على جنوب الهند كانت هناك ممالك صغيرة عديدة جنوبا من جبال فينديا.

ومن بين الممالك الرئيسية فى الدكن تلك التي كان يحكمها ملوك فاكاتاكا و ايكشفاكوس . كانت كادمبا و جنجا و بالافا من بين الممالك الأخرى في المناطق البعيدة في الجنوب.

الفن و هندسة العمارة

أجنتا و ايلورا

قريبا من أورنج آباد فى مهاراشترا ، توجد رسوم جميلة و هياكل مصنوعة بالنحت فى صخورأجنتا و ايلورا يمكن مشاهدتها حتى الأن .

تتكون أجنتا من سلسلة من الهياكل المنحوتة في الصخورفي شكل شبه دائري على جانب منحدر، و في أسفلها يتدفق جدول للماء في وادي صغير. في هذه القاعات المخصصة للعبادة و الأديرة توجد رسوم عديدة تصف المشاهد من حياة البوذا . و بعضها صنعت فيما سبق تحت ظل حكم ساتافاهانا، و لكن معظمها صنعت في الفترة بين 450 – 650 م، و صنع كثير منها أثناء حكم فاكاتاكا .

فى إيلورا صنعت قاعات العبادة و الأديرة مع تماثيل منحوتة للأصنام و عبادها في الصخور من حوالي 450 م فصاعدا .

وحتى في يومنا هذا يأتي الناس من كافة أنحاء الهند و العالم لمشاهدة مناظر " بوذي ساتفا" مع النيلوفر الأزرق من الجاتاكاز و لوحات أخـرى على جدران و سقوف أجنتا مستترة في الكهوف المظلمـة علـى جـانبي المنحدر.

الأدب

في حوالي القرن السادس الميلادي كتبت ملحمتان في اللغـة التاميليـة . و هما " شيلابادى جارام " و " ماني ميجالاى " .

الخلخال المرصع بالجواهر

"شيلابادى جارام " أو الخلخال المرصع بالجواهر تحكى قصـة كوفـالان و كاناجي . وقع كوفالان فى الحب مع الراقصة مادهافي و صرف كل ما كان لديه من المال لأجلها . و بعد أن اصبحا مفلسين ذهبا إلى مادوراى ، حيـث اعطت كاناجي لكوفالان إحدى خلخاليها للبيع . و كانت ملكة مـادوراى قـد فقدت خلخالا مماثلا . فألقى القبض على كوفالان بالخطأ بتهمـة السـرقة و قتل . اثبتت كاناجي براء ته بعد موته . كان خلخالها يملك من القوة ما احرق مدينة مادوراى ، و عند ما أدرك الملك خطأه الفاحش سقط ميتا .

مانيميجلاى

هذه هي الملحمة الشهيرة الثانية . كانـت مـانيميجلاى بنـت كوفـالان و الراقصة مادهافى . و كان يحبها أمير و لكنها أصبحت راهبة بوذية .

تيرو كورال

هذا عمل شهير آخر من الأعما ل التاميلية في شكل مجموعـة للأمثـال و الحكم ، و يقال إنها كتبت من قبل تيروفالوفار . و فى الجنوب يعتبر هـذا الكتاب مقدسا مثل كتب الفيدا . و فيا يلي بعض الأمثال :

لا طعام ألذ من ثريد الأرز
إذا كنت حصلت عليه بالاجتهاد

عظيم هو الذي يصوم و يكفر عن الخطأ
و لكن من يغفر عن الخطأ هو أعظم

الفصل السابع عشر

مملكة سلالة هارشا

كانت " بوشيابهوتي " و " فاردهانا " مملكتين هامتيْن من بين الممالك الصغيرة التي ظهرت في الشمال بعد سقوط إمبراطورية الجوبتا .

برابهاكارافاردهانا

حكم الملوك بوشيابهوت في ثانيسوار قرب كرنال إلى شمال غرب دلهي. وكان للملك برابهاكارافاردهانا – الملك المهم الأول ابنان و هما راجيافاردهانا و هارشافاردهانا و بنت اسمها راجياشيرى .

موت مفاجئ

أصيب برابهاكارافاردهانا بمرض مفاجئ و مات ، فتم إقناع راجيافاردهانا بأن يصبح ملكا .

و فور ذلك بلغه أن ديفاجوبتا ملك مالوا و شاشانكا حاكم جاودا (بنجال) قتلا زوج راجيا شيري – جراهافارمان .

سارع راجيافاردهانا لإنقاذ أخته ، فهزم ملك مالوا و لكن قتل من قبل شاشانكا.

ولد يبلغ من العمر 16 سنة

في عام 606م كان هارشا قد بلغ من العمر 16 سنة فقط و لكنه اضطر لتولى الحكم كملك و للقتال مع أعدائه و إنقاذ أخته . فأولا أنقذ راجياشيري التي كانت تهيم في غابات فيدهيان ، ثم هزم شاشانكا و استولى على قنوج.

قطع شجرة بوذي

استمر شاشانكا في الحكم في بنجال و سبب مشاكل بالنسبة لهارشا إلى أن توفى (شاشانكا) عام 619م . و قبل هذا كان شاشانكا قد قطع شجرة البوذى التي كان يعبدها البوذيون و كان البوذا قد نال تنورا روحيا تحت ظلها.

مملكة هارشا

امتدت مملكة هارشا على الولايات العصرية - بنجاب و هريانا و راجستهان و أتر براديش . و حاول أن يضم الجنوب أيضا ألى مملكته و لكن لقي الهزيمة على ضفاف نهر نارمادا على يد " بولاكشين الثانى ، حاكم شالوكيا . و يقال إن هارشا كان قد جمع لديه جيشا كبيرا مع مائة ألف فرس و 60 ألف فيلة .

ملك سياح

كانت إمبراطورية هارشا مقسمة إلى أقاليم ، و كان يحب أن يشرف على مملكته شخصيا ، فكان يسافر في جميع أنحائها و يقضي الليالي في أماكن مختلفة مستمعا إلى مشكلات رعيته .

الإقطاعية

منح هارشا هدايا الأرض ليس للبراهمنة فقط بل لبعض المسئولين أيضا . ثم قام هولاء المسئولون بجمع الضرائب من الأراضي و أعطوا جزءا منها للملك . و وفقا للبيانات المسجلة يقال إنه إذا كان ملك يعطى قطعة أرضية لأحد من البراهمنة فكان يكتسي بذلك ميزة دينية مثل تلك التي كان ينالها بتقديم أضحية .

كان هذا النظام يدعى الإقطاعية ، و كان المسئولون الذين ينالون قطعات أرضية يدعون المقطعين . و بفعل هذا النظام تقلصت صلاحيات الملك و سيطرته المباشرة ، و حدثت تغييرات مماثلة في أوروبا أيضا .

المدن

وصفت قنوج – العاصمة – بوجه تفصيلي من قبل السياح الصيني هيون تسانج . كان نهر جنجا بغربها ، و كانت أكثر من 20 لي * في الطول و 4 أو 5 لي في العرض . و كان لها نظام قوى للدفاع مع هياكل شامخة في كل مكان إضافة إلى حدائق جميلة و صهاريج للماء و وضعت في تلك الحدائق أشياء نادرة تم الحصول عليها من البلاد الأجنبية . كان سكانها يتمتعون برخاء مادي بوجه عام و كان بعض الأسر تملك ثروة كبيرة ، و هم كانوا جميل المظهر و يرتدون ملابس حريرية جيدة . وصف هيون تسانج مدنا مترفهة أخرى أيضا ، و لكن كثيرا من المدن القديمة و منها شرافاستي و باتلي بوترا كانت قد تحولت إلى أنقاض وخرائب . و تدل الآثار أيضا على أن مدنا كثيرة و التي بدأ انحطاطها أثناء عصر الجوبتا قد صارت خرائب .

انحطاط التجارة

تعرضت التجارة مع البلاد البعيدة للانحطاط ، فتوقف التعامل التجاري مع الإمبرطورية البيزنطية ، و حدث الهبوط في الطلب و الاحتياج بخصوص المواد المختلفة المصنوعة من قبل الحرفيين . و لذا فان المدن المعتمدة على الحرف المختلفة غابت عن الساحة أو تعرضت للانحطاط . و لكن المراكز الإدارية والعسكرية مازالت كبيرة و محصنة و مزدهرة .

---

* 3 لي يساوى 1 كم تقريبا ووفقا لمراجع أخرى تساوى 7 لي 1 كم

نالاندا

تحولت أديرة بوذية عديدة إلى خرائب و لكن نالاندا- الجامعة البوذية الشهيرة مازالت مزدهرة . و كانت الإيرادات المحصول عليها من القرى تصرف في سد نفقات هذه الجامعة ، و كان عدد الطلبة فيها من النساك البوذيين حوالي عشرة آلاف طالب.

البوذية و هارشا

أولا كان هارشا من اتباع الإلاه شيفا ثم صار بوذيا و حرم قتل الحيوانات في البلاد

عقد اجتماعا في قنوج ليتباحث في فرع ماهايانا للبوذية و حضره الملوك من 20 بلدا إضافة إلى ألوف النساك . ووضع في الاجتماع تمثال ضخم للبوذا في برج بوسط المكان للعبادة .

اجتماع آخر عقد في براياجا ، و بعد ذلك وزع هارشا جميع ممتلكاته بين الناس و حتى ملابسه و استعار لباسا من أخته .

قام هيون تسانج بشرح فرع ماهايانا للبوذية في هذه الاجتماعات .

مؤلفات هامة

نعرف كثيرا عن هارشا و عصره إذ أن هيون تسانج قد خلف بيانا تفصيليا عن رحلاته عبر مملكة الهارشا . كما كتب بانابهاتا الذي عاش في بلاط هارشا سيرة حياة تفصيلية له . و بالطبع فان العبارات المنقوشة و الآثار توفر لنا معلومات إضافية .

حكم هارشا حتى وفاته عام 647م .

الفصل الثامن عشر

شمال الهند بين 700 م و 1200م

بعد وفاة الملك هارشا كافح العديد من الملوك و السلالات الحاكمة من أجل السلطة في شمال الهند . و كثير من هذه السلالات سمت نفسها "راجبوت" أو " راجا بوترا " (أبناء الملوك) ، و قالوا إنهم يتحدرون من الآلهة والشمس و القمر و الملوك القدامى ووضعوا قصصا و حكايات تضفي عليهم الاعتراف و القوة . و إحدى تلك القصص كالآتي :

حفرة النار

يقال إن أحد البراهمنة و اسمه براشوراما دمرذات مرة جميع عناصرشاتريا (الجنود) ولم يبق هناك أحد للدفاع عن الأرض ، فصنع البراهمنة حفرة للنار على جبال آبو في راجستهان حيث رتلوا الأدعية . فخرج أربعة جنود شجعان طوال القامة من لهبات النار و هم كانوا سلفا لطوائف شوهان ، براتيهارا ، سولانكي و بارامارا .

حققت طائفة راجبوت المكانة العالية للجنود و الملوك عن طريق تطهيرهم بالأضاحى و أدعية البراهمنة . تدريجيا من عام 800 م اصبح معظم الأسر الحاكمة في شمال الهند تعرف كراجبوترا أو الأسر المالكة .

ياشو فارمان من قنوج (حوالي 690 –740)

كان ياشو فارمان الملك الثاني الكبير الذي حكم قنوج بعد هارشا . و نعرف عنه من خلال كتاب عنوانه " جاودا فاهو " كتبه فاكاباتى شاعر في بلاطه .

براتيهارا

حكمت سلالة من راجبوت اسمها جورجارا – براتيهارا المنطقة حول مدينة جودهبور الحديثة في القرن السادس الميلادي .

كانت هذه إحدى السلاسلات الثلاث التي كافحت من أجل السيطرة على قنوج . أما الاثنتان الأخريان فهما راشتراكوتا و بالا. ونجح بهوجا اكبر ملك من طائفة براتيهارا فى إحتلال قنوج فى حوالى 836م.

شاهامانا أو شاوهان

حكم ملوك شاوهان فى ساكامبهارى (سامبهار قرب جاي بور) في القرن السابع الميلادي و كان برثوي راجا الثالث آخر حاكم لهذه الأسرة ، و هناك قصة غرامية عن الملك برثوي راجا . كان يعشق سان يوجيتا ، بنت جاياتشاندرا – ملك من جاهادافالا ، و عند ما عقد حفل اختيار العريس لهذه الفتاة لم توجه الدعوة إلى برثوى راجا للحضور و بدلا من ذلك وضع تمثال له هناك لإهانته . و لكن سان يوجيتا وضعت القلادة في عنق التمثال فظهر برثوي راجا فجأة و أخذها معه و تم عقد القران بينهما و بدأ جاياتشاندرا تكره برثوي راجا بعد ذلك .

سلالة شانديلا

كانت تشانديلا إقطاعة لبراتيهارا و أصبحت مستقلة فيما بعد.

خاجو راهو

من بين أهم المعابد التي بناها ملوك شانديلا و التي مازالت تتواجد حتى الآن معابد خاجو راهو بولاية مادهيا براديش . وكانت بنيت في القرن العاشر و القرن الحادي عشر الميلادي و أكثرها جمالا معبد كيندريا مهاديف الذي بنى حوالي عام1000 م و هو معبد شيفا .



A Mother and Child from Khajuraho

أم و طفل من خاجو راو

وهذا المعبد يحتوى على ما يدعى " جاربها جريها " (الغرفة الداخلية للتمثال) و " مندابا " (قاعة للعبادة) و " اردها مندابا " (مدخل) و يبلغ ارتفاع هذا المعبد 100 قدم مع سلسلة من الأبراج المنحنية التي تبدو بمظهرها مثل قمم الجبال . ومعابد خاجو راهو مزينة بتماثيل جميلة منحوتة بشكل واقعي .

سلالة سولانكى

حكمت سلالة شالوكيا أو سولانكى انهيل وادا فى كجرات الحديثة .

ديلوارا

يوجد على ماونت آبو (في راجستهان) معبدان من الرخام الأبيض للديانة الجينية و بناهما فاستوبالا و تيجاه بالا في ظل حكم ملوك سلالة سولانكي لكجرات .

توجد في هذين المعبدين تماثيل منحوتة كبيرة للأفراس و الفيلات إضافة إلى أشياء منقوشة بدقة و سقوفهما منقوشة في سلسلة من الدوائر المتحدة المركز .

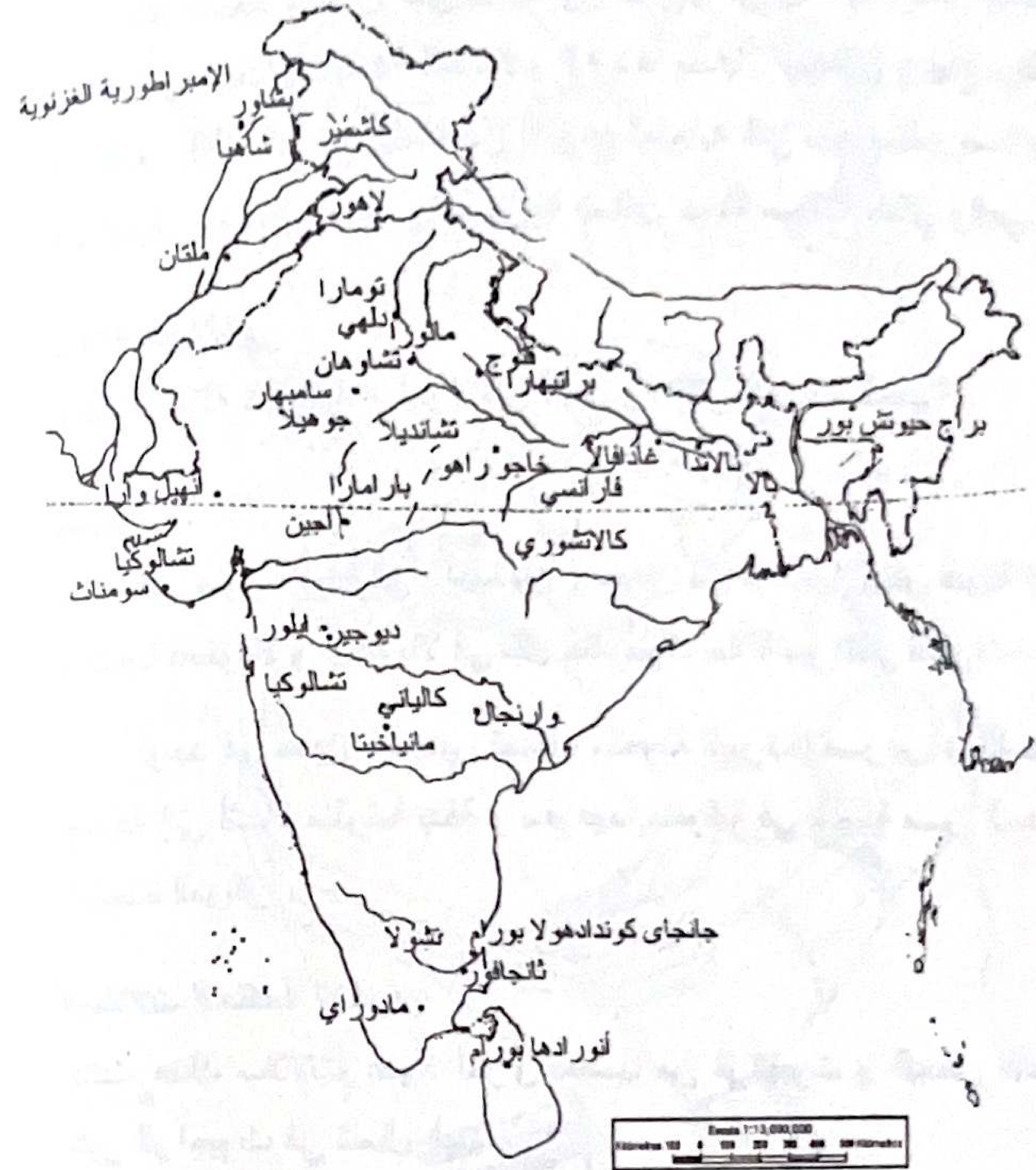
السلالات الحاكمة الأخرى

كانت هناك سلالات عديدة أخرى بعضها من الراجبوت و البعض الآخر غير الراجبوت في شمال الهند.

الحياة في الممالك الشمالية

الحكام

فضلا عن ملوك السلالات الرئيسية كان هناك مقطعون من عدة أنواع و بعضهم كان يتحكم في بضع قرى و الآخرون كانوا مسئولين عن مناطق كبيرة .



الهند في القرن الحادي عشر

كان المقطعون يملكون صلاحيات كثيرة فكـانوا يجمعـون الضـرائب و يشرفون على الإدارة ، و كانت لديهم جيوشهم الخاصة . و كلما توسعت الإقطاعيه كلما تقلصت صلاحيات الملـوك . و كـان هـولاء المقطعـون و المسئولون يعيشون عيش الأبهة و الرخاء ، فكانوا يزينون أصابعهم بالأختام و يستعملون القروط فى آذانهم و يلبسون الأزيـاء ذات الحواشـي الذهبيـة و مجوهرات كثيرة و يحيط بهم الخدم و الحرس المسلحون و كانت بيـوتهم ذات طوابق تتراوح من ثلاثة إلى خمسة طوابق و فيها عدد كبير من الخدم .

التجارة و المراكز المدنية

ظلت المراكز المدنية في حالة الانحطاط حتى القرن العاشر الميلادي . و لكن التجارة مع الإمبراطورية العربية في غرب آسيا و الشمال الإفريقـي ازدادت بعد ذلك . ظهرت مدن جديـدة خاصـة فـى غجـرات و مـالوا واستمرت التجارة مع جنوب شرق آسيا و الصين و كانت تامراليبتى فـي بنجال ميناء هاما .

الحرف

استمرت الحرف المختلفة مثل المصـنوعات الفخاريـة و المنسـوجات و المصنوعات الجلدية و الحلي الذهبية و الفضـية و الأعمـال المعدنيـة و تعرضت النقابات التجارية للانحطاط .

حياة صعبة

كانت الحياة صعبة جدا لعامة الناس ، فكان الفلاحـون مطـالبون بـدفع الضرائب من أنواع مختلفة و لا يسمح للفلاحين و الرعاة بـالتحرك إلـى أماكن أخرى ، و حدث هذا في أوروبا الإقطاعية أيضا . شـهدت الفتـرة حالات عديدة للمجاعة و الحروب مما دمرت المدن .

الطوائف الاجتماعية

ازدهرت عدة طوائف و طوائف فرعية اجتماعية و لكل طائفة أزياؤها وتقاليدها و أصنامها الخاصة ، و كانت هناك طبقات و مستويات كثيرة في المجتمع و كان ينظر إلى الطوائف الأدنى بالازدراء .

التقاليد

قام الراجبوت بتطوير ميزات مشتركة معينة لهم مثل الشجاعة ، فماكانوا يفرون من ساحة القتال أبدا و لايقتلون رجلا غير مسلح .

المرأة

أصبحت ممارسة إحراق المرأ ة مع جثة زوجها الميت شائعة فى هذا العصر خاصة فى عائلات الجنود و تدعى هذه الممارسة " ساتى " . حدثت معارك كثيرة فى هذه الفترة ، و عندما كان ملك يلاقى الهزيمة كانت جميع نسوة الأسرة المالكة يحرقن انفسهن أحياء وقاية من الأسر . و كان ذلك يدعى " جوهر " .

التطورات الدينية

الآلهة و الالاهات

كان شيفا ، فيشنو ، براهما ، جانيشا ، دورجا ، بارفاتي و لاكشمي من المعبودين الذين كان الناس يعبدونهم ، فصنعت تماثيلهم و وضعت قصص عديدة عنهم سجلت في مجموعة البورانا و غيرها من الكتب .

الطريقة التانترية

اعتقد بعض الناس أنه يمكن الإنسان أن يحصل على ما يريده عن طريق ترتيل كلمات سحرية و استخدام رموز خاصة و القيام بممارسات غير

عادية . و كانت هذه الممارسة تدعى " الطريقة التانترية " و ظهرت أولا في شرق الهند و سرعان ما أصبحت شائعة على نطاق كبير ، و كانت هذه الممارسة مسموحا بها لجميع الطوائف و النسوة .

شاكتى

كانت الولادة تعتبر أمرا مكتنفا بالأسرار ، و بما أن المرأة كانت تنجب الطفل فكان الناس يعتقدون أنها تملك قوة سرية و أن "شاكتي " تمثل هذه القوة الأنثوية للإنجاب ، فكانت عبادة شاكتي تجلب القوة ، و لذا فإن دورجا وكالي و غيرهما من الإلاهات أصبحت ذات أهمية كبيرة.

فرع فاجرايانا للبوذية

أصبحت فكرة القوة الأنثوية جزءا للبوذية أيضا فتطور لها شكل جديد يدعى " فاجرايانا " و تم إضافة التماثيل الأنثوية إلى تماثيل البوذا و أهمها " تارا ".

الأدب

كتبت عدة كتب باللغة السنسكرتية فى هذه الفترة و منها " كاثاساريتساجارا" لصاحبه سوماديفا و هذا الكتاب مجموعة قصص مبنية على كتاب سابق " بريهات كاثا " .

و من تلك القصص قصة الملك بوتراكا الذي نال حذاء سحريا و عصا سحرية و زبدية سحرية من قبل " أسورا " (روح) ، و بارتداء ذلك الحذاء كان يمكنه أن يطير في الهواء، و مهما يكتب بعصاه كان يتحول إلى الواقع و كل ما يريد أكله كان يظهر في الزبدية ، فقام بمغامرات عديدة و نهائيا تزوج مع الأميرة باتالي . و على ضفاف نهر جنجا خلق بعصاه السحرية مدينة تدعى باتلي بوترا حيث عاش هو و زوجته .

قصة أخرى تتعلق بالأميرة كاناكاريخا التي أرادت أن تتزوج مع شخص قد شهد مدينة الذهب . فتجول أحد من البراهمنة اسمه شاكتي ديفا في كل مكان بحثا عن هذه المدينة و في طريقه إليها واجه عدة مغامرات و منها أنه ابتلعه سمك ذات مرة ، و نهائيا وصل المدينة الذهبية جالسا على ظهر طير .

كان هناك كاتب معروف آخر اسمه ماغا و كتب قصصا في الشعر و بعض أبياته عبارة عن حرف ساكن واحد فقط و استخدم فيها كلمات غريبة و منها ما يمكن قراء ته من كلا الجانبين – اليمين و اليسار – على السواء و حتى في الدائرة . و كتب الشاعر بهارتريهارى أبياتا ذات معاني مزدوجة .

و كتب بهافابهوتي الذي كان يعيش في قنوج في القرن الثامن الميلادي مسرحيات و منها مسرحية " مالاتي – مادهافا " و هي قصة غرامية مملوءة بالأحداث المثيرة و منها إنقاذ مالاتي من الموت مرات عديدة .

كتبت صيغة جديدة للكتاب المعروف " بانشتانترا " في بنجال تحت عنوان " هيتوباديشا " .

كما كتبت دهرما شاسترا " أو الكتب القانونية ، و بدأت اللغات البنجالية مثل الكوجراتية و البنجالية تتطور فى هذه الفترة .

و تم تأليف معظم كتب " البورانا " فى هذه الفترة .

التغييرات الكبيرة

تم تنفيذ النظام الإقطاعي في هذه الفترة و في أواخرها بدأ إنعاش المراكز المدنية و التجارة مع الأراضي البعيدة . كما بنيت معابد كثيرة و ألفت كتب عديدة .

الفصل التاسع عشر

جنوب الهند بين 600 - 1200 م

في الجنوب أيضا ظهرت ممالك صغيرة و لكن حكامها لم يسموا أنفسهم بتسمية الراجبوت و قاتلوا فيما بينهم لاحتلال الأراضي الخصبة و الثروة . و على الرغم من الحروب المستمرة إلا أن هذه الفترة شهدت أنشطة خاصة ببناء معابد جميلة و تأليف الكتب و تطور فن النحت و الرسم و الموسيقى.

سلالة تشالوكيا من فاتابي

حكمت سلالة تشالوكيا على المنطقة بين جبال فيندهيا و نهر كريشنا . و في القرن السادس الميلادي أقام بولاكشين الأول مملكة تشالوكيا .

بولاكشن الثاني

كان بولاكشين الثاني (608- 642م) أشهر ملوك هذه السلالة ، و كلمة بولاكشين تعنى " الأسد العظيم " . ووفقا لعبارة منقوشة تم العثور عليها في ايهولي فان بولاكشين حكم على حوالي تسعة آلاف قرية . و يقال إن الملوك في الدول المجاورة كانوا يشعرون بالخوف عندما كان يتقدم إليهم ، و لكن نشاطه لم يقتصر على القتال ، بل أرسل سفيرا إلى بلاط رهوسرو الثانى ملك فارس و بنى المعابد في مملكته . كما نظم تضحيات لإظهار قوته . و قال السياح هيون تسانج الذي تجول في مملكته إن التربة كانت غنية و خصبة و الشعب كان غيورا و شجاعا مقاتلا . و أضاف قائلا إنه كان لدى الملك جيش قوى للغاية .

و لكن نارا سيمها فارمان ، ملك بالافا ، هزم بولاكشين و قتلـه عـام 642م .

سلالة راشتراكوتا

كانت مملكة راشتراكوتا تغطي نفس المنطقة التي كانـت تحـت الحكـم الشالوكي ، و قاتل ملوك هذه السلالة ضد ملوك بالافا و تشولا و غيـرهم من حكام جنوب الهند و زادوا من مساحة ممالكهم وحتى أنهم حاربوا ضد ملوك براتيهارا و بالا في الشمال واحتلوا قنوج لمدة قصيرة .

وكان كريشنا الثالث آخر ملك كبير لهذه السلالة.

في هذه الفترة بنيت معابد جديدة في أجنتا و إيلورا حيـث يمكـنك مشاهدة معبد كيلاش ذلك الضخم الذي بني بنحت الصخور في إيلورا مـن قبل ملوك راشتراكوتا في القرن الثامن الميلادي و يبلغ 47x31 مترا فـي العرض و 29x25 مترا في الطول.

جنجا الشرقية

كانت جنجا الشرقية تقع بين نهري مهاندي و غوداڤري . بنيت عدة معابـد هندوسية من قبل هذه المملكة في الفترة بين 800 و 1300. و يوجـد 31 معبدا على الأقل في بوبانيشوار و أكبرها معبد لينجارايا و موكتيشوارا . و للأول برج يبلغ 39 مترا يطل على كافة المدينة .

و معبد الشمس في كوناراك يشبه عربة تجرها سبعة أفراس و هـي على 12 عجلة تبلغ عشرة أقدام في الارتفاع .

ملوك بالافا و بانديا

في الجنوب عزز ملوك سلالة بالافا و بانديا من جديد قوتهم فـي القـرن السادس الميلادي .

قاتل بالافا و عاصمتهم في كانشي و ملوك بانديا من مادوراي أيضـا بينهم و أيضا ضد شالوكيا

قام هيون تسانج بزيارة كانشي أثناء حكم نارا سيمها فارمان الأول و قال إن المعبد يبلغ 6000 لي في الدائرة ، و إن التربـة خصـبة تنتج الحبوب بوفرة إضافة إلى الزهور و الفواكه العديدة . و المنطقة تنتج جواهر ثمينة و جوها حار و الناس شجعان متميـزون بالأمانـة والصدق .

أحجار تذكارية

في منطقة بالافا تم العثور على عدد من الأحجار التذكارية التي قد سجلت بيان موت الأفراس التي قتلت في الحروب أو القتال ضـد اللصـوص أو حتى الأسود .

و أحد هذه الأحجار يتعلق بكلب وفي مات و هـو يـدافع عـن صاحبه ضد اللصوص . و تعبد هذه الأحجار حتى هذا اليوم من قبل السكان المحليين .

معابد بالافا

قام ملوك بالافا ببناء المعابد في الكهوف و عن طريق النحت في الصخور و أيضا من الآجر ، و في ماما الابورام (مهابالي بورام) توجـد أشـهر المعابد التي يبلغ عددها خمسة معابد و كل منها بشكل العربة و بني بنحت صخرة واحدة ، و يقف تمثال صخري قريبا منه لأحد من فـروع جنجـا نحتت فيه جداول و أصنام و حيوانات و صور إنسانية ، و المعبد الساحلي هو هيكل مبني بالآجر مع برجين و تحيط به ثيران جالسة . و في جنـوب الهند بنيت أبراج المعابد بشكل هرمي بينما توجد المعابد في أوريسا و شمال الهند مستقيمة الشكل مع الجوانب المنحدرة .

جنجا الغربية

حكمت سلالة جنجا الغربية في منطقة كرناتكا ، و من المباني التذكارية الرئيسية لتلك الفترة " باهوبالي " و تم بناؤه في القرن العاشر الميلادي.

باهو بالي

فى شرافانا بلجولا بإقليم كرناتكا يوجد عدد من المعابد الجينية , و في هذه المعابد صنعت صور تيرثانكارا بالنحت في البازلت الأسود أو الرخام الأبيض و منها الصورة الرئيسية لـ باهوبالي و هي مصنوعة في صخرة تشكل جزءا للجبل و يبلغ طولها 17 مترا . و أن باهوبهالي و بهاراتا باهوبالي هزما بهاراتا في القتال و لكن زهدا في الدنيا بعد ذلك متأثرين بالتنور الروحي ، و يعبد التمثال كإحدى الطقوس كل يوم و يقدم اللبن إلى باهوبالي و يصب على قدميه الضخمين .

سلالة تشولا

في الفترة من القرن التاسع فصاعدا كانت سلالة تشولا أهم سلالة حاكمة.

كان راجاراجا (985-1014م) و ابنه راجندرا (1012-1044م) حاكمين كبيرين لهذه السلالة .

حكومة تشولا

كان الملك يشكل مجلسا للوزراء لمساعدته و كان يوجد لديه جيش قوى و سلاح للبحرية . و كانت الإمبراطورية مقسمة إلى الأقاليم و الأقاليم الفرعية، و كانت تحظى بالرخاء و الازدهار . كانت هناك حكومات ذاتية في القرى مع جمعية عامة تضم سكان القرية تدعى " اور " ، و كان " سابها أو مهاسابها " مجلسا للرجال في قرى البراهمنة ، و كانت الجمعية العامة و المجلس يرعيان شؤون القرية .

معابد تشولا

بنى حكام هذه الأسرة معابد عديدة و أشهرها معبد شيفا في تانجور و المعبد في جنجايكوندانشولابورام و الذي يبلغ عرضه في القاعدة 100 قدم مربع و طوله 186 قدما .

و من بين التماثيل المنحوتة و الأيقونات البرونزية تمثال ناتاراجا ، الراقص الالوهي شيفا ، و هو يرقص رقصة الموت و الدمار . و كان إله الرقص شكلا من أشكال شيفا .

الحياة في الممالك الجنوبية

كانت هناك جوانب عديدة للحياة في الجنوب و هي مماثلة للحياة في الممالك الشمالية ، فكان الملوك يحملون ألقابا كبيرة و يعيشون في قصور ضخمة. و كان البعض منهم يقدم قرابين الأفراس و غيرها و منحوا قطعات أرضية للبراهمنة و يوجد لهم عدد من المقطعين .

كان التجار و الوزراء يسكنون بيوتا ضخمة و يرتدون ملابس و جواهر ثمينة .

أما الفلاحون و الرعاة و الحرفيون فكانوا يعيشون في القرى حيث ينتج الأرز و الخردل و الخضراوات و الفواكه و التوابل ، و كانت الضرائب أيضا تجمع ، و مازالت عناصر الطبقات الأدنى فقيرة .

كان نظام الري يعتمد بالدرجة الرئيسية على صهاريج مياه المطر . كانت الأنهار الجنوبية تجرى عبر الأودية الصخرية الضيقة ، و بما أن هذه الأنهار لم تكن تسبب الفيضانات في المنطقة فان سطح الماء مازال منخفضا ، و كان عمل خزن مياه المطر في الصهاريج أيسر من عملية حفر الآبار العميقة . و في بعض المناطق كانت توجد أغوار طبيعية يمكن توسعتها و بناء السد حولها من أجل تحويلها إلى صهاريج الماء .

أثرت الحروب على القرى و البلدات و حتى أن الأطفال و الرجال

العاديين كانوا يقتلون من قبل حكام تشولا أثناء القتال .

الحرف و التجارة

ازدهرت الحرف رغم الحروب و كان الحرفيون قد نظموا أنفسهم عن طريق تشكيل النقابات و كان هناك تعامل تجارى على الصعيدين - الداخلي و الخارجي .

استوطن التجار العرب مناطق السواحل الغربية . استمرت التجارة مع جنوب شرق آسيا و الصين طوال هذه الفترة . ذهبت سفن بالافا إلى كمبوديا و أنام و سومطرا و مليسيا .

الديانة

كان الناس في الجنوب يعبدون شيفا و فيشنو و لاكشمى و دورجا أيضا .

طوائف نايانار و الفار

في الجنوب قام القديسون من طوائف نايانار و الفار بترويج " البهاكتي " (التفاني في العبادة) في الفترة بين القرنين السابع و العاشر و هم كانوا من عباد شيفا و فيشنو و قالوا إنه بإمكان الجميع أن يتقرب إلى الله من خلال الحب . و كتبوا قصائد رائعة باللغتين - التاميلية و التيلجو .

حركة لينجايات

قام باسافا بشن حركة لينجايات و كان أتباع هذه الحركة يعبدون شيفا و كانوا ضد التمييز الطائفي و تقديم القرابين و زيارة الأماكن المقدسة . كان باسافا ضد عبادة التماثيل أيضا و رفض كتب الفيدا و مرجعية البراهمنة ، و نشر رسالة المساواة بين كافة الطوائف و بين الرجل و المرأة .

سانكارا

ولد شانكارا في كيرالا في القرن الثامن أو التاسع الميلادي . و شرح فلسفة " أدافيتا " أو الوحدة قائلا إن هناك واحدا فقط و لا يوجد ثان له ، فالله و الناس و العالم المخلوق جميعا واحد ، و يرى الناس فوارق إذ لا يوجد لديهم فهم حقيقي للعالم . كان شانكارا يعتقد أن المعرفة أو العقل يشكل الطريق الوحيد الذي يمكن فهم " الواحد " من خلاله . و شرح الفيدا و الأبانيشاد و بهاجافاد جيتا على ضوء هذه الفلسفة . و تدعى هذه الفلسفة " فيدانتا " أيضا . و تجول في كافة انحاء الهند لنشر هذه الفلسفة.

رامانوجا و مادهافا

كتب رامانوجا (القرن الثاني عشر) تعليقات على بهاجافاد جيتا و الأبانيشاد ، و قال إن المعرفة مهمة و لكن البهاكتي (التفاني في العبادة) طريق يوصل إلى الله . و قال مادهافا إن الذين يعيشون عيشا صالحا سيقيهم الله .

الدين للجميع

كان المجتمع قد اصبح معقدا حيث كانت هناك مهن مختلفة و طوائف مختلفة و طوائف فرعية عديدة .

الأدب

ألف الكثير من الملوك و العلماء كتبا باللغة السنسكرتية ، فكتب بهارافي كتابا باسم كيراتارجونيام و كتب داندين كتابا آخر اسمه داشا كوماراشاريتا و الأول قصة للنزاع بين شيفا و أرجونا .

أما داشاكوماراشاريتا فيحكى قصص المغامرات التي قام بها عشرة أمراء.

و منها قصة ثلاثة إخوان يدعون دهاناكا و دهانياكا و دهنياكا . كان ذلك وقت المجاعة فأكلوا حيواناتهم واحداتلو آخر ثم أطفالهم ثم زوجة الأخوين الأولين . أما الأخ الثالث – دهنياكا فهرب إلى الغابة مع زوجته دهوميني. و لكنها وقعت في الغرام مع أحد غيره و دفعت بزوجه دهنياكا فى بئر. و بإمكانك أن تقرأ خاتمة هذه القصة و حكايات مثيرة أخرى في كتاب داندين.

اللغات التاميلية و الكنرية و التيلجو

ألفت الكتب في اللغات التاميلية و الكنرية و التيلجو أيضا و كانت في الواقع صياغة جديدة للحكايات من مهابهاراتا و رامايانا . يقال ان بامبا و بونا و رانا كانوا أسماء بارزة ثلاثة للشعر باللغة الكنرية . كما أعاد نانياه و تيكانا كتابة مهابهاراتا باللغة التيلجو .

عصر عظيم

كان ذلك عصرا عظيما بالنسبة لتطور التجارة و الفن و الأدب ، و اللغات التي استعملت في الجنوب كانت تدعى اللغات الدرافيدية .

الفصل العشرون

غزنة و غور

كانت غزنة و غور مملكتان في أفغانستان ، و بينما كانت الأولى قريبة من الهند كانت الثانية تقع غربا منها . هزم البتجين ، رقيق تركى ، ملك غزنة و اصبح حاكما في 963م . و الملك القوى الثاني كان رقيقه و ختنه سبكتجين . و من الممارسات الشائعة في تلك الأيام أسر الجنود في الحروب و جعلهم أرقاء و لكنهم كانوا مقاتلين بارعين فشغلوا مناصب رفيعة في كثير من الأحيان .

غزنة

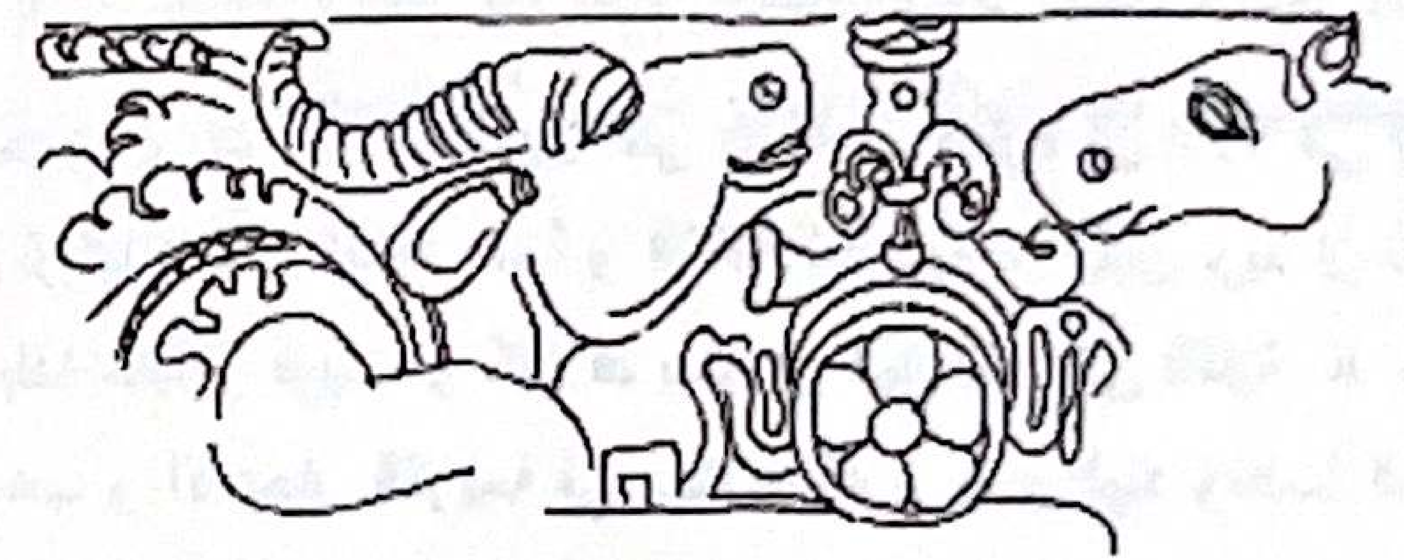
حكم محمود و هو ابن سبكتجين على غزنة في الفترة من 997 إلى 1030م و كان تركيا و لكن اعتمد اللغة و الثقافة الفارسية ، وكان يريد أن تجعل غزنة بلدا غنيا و قويا . و كان قد بلغه أن الهند بلد غنى للغاية قد خزن فيه الذهب و الأحجار الكريمة في معابدها فقرر غزو الهند وأخذ الذهب منها .

قاتل محمود ضد الملوك الهندوس في شمال الغرب و هزمهم و استولى على بنجاب و ملتان و منها أغار أماكن مختلفة في الهند و أخذ الثروة من المدن و المعابد ، و في إحدى غاراته دمر ماثورا و قنوج و أخذ ما كان هناك من ذهب و فضة . و في غارة أخرى دمر المعبد في سومنات و أخذ منه عشرين مليون عملة ذهبية و كمية ضخمة من الجواهر

. كما دمر المعابد بهدف أخذ الثروة بوجه رئيسى . كان يحتـاج للأمـوال للقتال ضد القبائل التركية التي أغارت غزنة من الشمال و شمال الغـرب ، و استخدمها في بناء مكتبة و قصور و مساجد و حدائق في غزنة . و بعد وفاته عام 1030م واجهت غزنة مشكلات عديدة و تعرضت لغزوات مـن ملوك مملكة غور المجاورة .

غور

أن أقوى ملوك غور كان أخوان اسمهما غياث الـدين محمـد (1163-1203)و معز الدين محمد (1173-1206م) . استولى معزالدين محمد بن سام الملقب بمحمد غوري على غزنة بينما حكم أخوه الكبير على غور في شمال الغرب . وكان الأخوان في الأصل مقطعين لغزنة . و بينمـا فـتح غياث الدين الأراضي الواقعة غربا من غور ركز معز الدين على الشـرق أي الهند .



إفريز من ضريح السلطان غوري

و سرعان ما احتل محمد غوري السند و بنجاب ثم حـاول أن يفـتح دلهي التي كان يحكم عليها برثوى راج تشوهان .

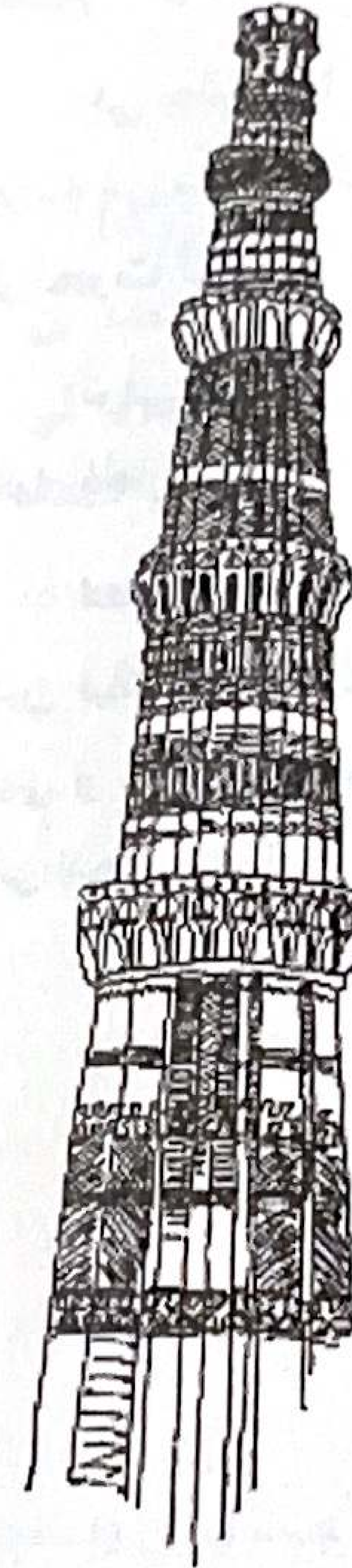
خاض معركتين ضد برثوى راج فى تاراين بشمال شرق دلهي عـام 1119م و 1192م ، و بينما لقي الهزيمة فى الأولىانتصر فـى الثانيـة . ساعد كثير من ملوك شمال الهند برثوى راج و لكن الأتراك بفضل ما كان لديهم من أفراس سريعة و فرقة للرماية و دروع فولانية حققوا الانتصـار عليهم ، و بهذه المعركة بدأ الحكم التركى فى الهند .

فى عام 1193م قاتل غورى ضد الملك جاياتشاندرا ملك جاهادافالا و هزمه فى معركة تشاند وار و كان هذا الملـك لـم ينضـم الـى الملـوك الراجبوت الآخرين فى المعركة فى تاراين .

توفى غورى عام 1206م و لم يكن له ولد فاصبح غياث الدين ابـن أخيه خلفا له فى غور و قسمت بقية الامبراطورية بين حكامه .

استولى تاج الدين يالدوز على غزنة و صعيد السند بينما اصبح نصير الدين قباتشه حاكما للسند الأدنى و ملتان . و استولى قطب الدين أيبك على دلهى و معظم الأقاليم الهندية ، و حكم بختيار خلجى ثم على مردان خـان على بنجال و بيهار .

الفصل الواحد و العشرون
سلاطين دلهي الأوائل


منارة قطب، نيو دلهي

بدءا من قطب الدين أيبك حكمت سلسلة من الملوك و الأسر المالكة على الهند من العاصمة دلهى و كان أولهم الملوك الأرقاء ثم الخلجيون و يتبعهم ملوك أسرة التغلق و السيد و اللودهى و كانوا يطلقون عليهم كلمة السلطان (الملك) و الفترة التى حكموا فيها تدعى عصر سلطنة دلهى

قطب الدين أيبك (1206-1210م)

Qutbuddinكان قطب الدين أصلا رقيقا للسلطان غورى و لكنه ارتقى إلى منصب رفيع و كان قد دعم محمد غورى فى الانتصار على الهند وهزم العديد من الملوك الراجبوت .

وضع الأساس لامبراطورية جديدة عاصمتها فى دلهي . و لكن ما أن بدأ فى تنظيم إمبراطوريته حتى توفى عام 1210م نتيجة سقوطه من فرسه اثناء لعبة البولو .

التمش (1211-1236)

كان التمش رقيقا لقطب الدين و لكنه سرعان ما اصبح أفضل جنرال و تزوج مع ابنة قطب الدين ، و بمساعدة بعض النبلاء قتل ارم شاه ، الابن الكسول لقطب الدين ، و استولى على دلهي. . اضطر ألتمش لخوض معارك عديدة ، و هزم و قتل يلدوز الذي كان قد احتل لاهور و بنجاب و هاجم قباتشا فى السند و ملتا ن فحاول قباتشا أن يهرب و غرق في النهر . و أعلن العديد من الملوك الراجبوت استقلالهم ، فهزمهم جميعا و استرد معظم مناطق أتر براديش و راجستها ن و مادهيا براديش . كما دبر إخضاع بنجال و بيهار لسلطنته . أعاد تنظيم الإدارة و تسلم لقب السلطان من الخليفة الذي كان إماما للمسلمين يسكن في بغداد و تركيا .

راضية(1237-1240م)

بعد وفاة ألتمش جلس ابنه على العرش . و لكنه لم يكن محببا لدى النبلاء و سرعان ما استولت رضية و هي ابنة التمش على الحكم .

كانت راضية أول امرأة حكمت من العاصمة دلهي. كانت ترتدي لباس الرجل و تركب الحصان و تعرف فن القتال.

و دبر بعض النبلاء خطة ضدها ، فاعتقلوها و لكن أحدا منهم تزوج معها . و قرر كلاهما أن يذهبا إلى دلهي و يهزما النبلاء الآخرين ، و لكن جنودهما نبذوهما في الطريق فتم قتلهما .

غياث الدين بلبن (1265-1287م)

بعد راضية سيطرالنبلاء الأقوياء المعروفون كمجموعة الأربعين على البلاط . و في سلطنة ناصر الدين محمود (1246-1265م) اصبح بلبن أقوى شخص ، و كان رقيقا لألتمش و أصبح وزيرا بفضل جهده و فطنته

الاستثنائية . دمر قوة مجموعة الأربعين و حاول زيـادة سـلطته . كـان الحرس المسلحون يحاصرون به و يهتفون " بسم الله بسم الله .... " عند ما كان يخرج من القصر إعلانا بحضوره . كان النبلاء يرتدون أزياء خاصة في البلاط و ينحنون أمامه و لم يكن يسمح لأحد أن يشرب الخمر و حتـى أن يبتسم أو يضحك في البلاط .

كان لديه جيش قوى و شبكة للجواسيس . و من أجل وقف التمرد في بعض المناطق قتل كافة الرجال و جعل الأطفال و النسوة أرقاء له . و كان الجميع يخافونه ، و لكنه حافظ على وحدة الإمبراطورية و على إدارة ذات كفاءة . أعاد تنظيم الجيش ، و شيد حصونا جديدة و قطع الغابات الكثيفة و جعل الطرق آمنة للسفر. أمكن للفلاحين أن يعيشوا عيشا هادئا و تطـورت التجارة والزراعة أثناء حكمه .

في 1285م توفى محمد الابن الأكبر لبلبن أثناء القتال ضـد المغـول فاصبح بلبن قلقا للغاية و يبكى في الليالي إلى أن توفى بعد عامين .

اخلاف بلبن

كان أخلاف بلبن ضعافا للغاية يدبرون المكايد البعض ضد البعض فوقعـت أحداث عديدة للقتل إلى أن استولى جلال الدين خلجي ، أحد النبلاء الأفغان على عرش الحكم بعد قتل كايامار – السلطان الطفل الذي كان يبلـغ مـن العمر ثلاث سنوات فقط .

الفصل الثاني والعشرون

ملوك السلالة الخلجية والسلالة التغلقية

كانت السلالة الخلجية و السلالة التغلقية سلالتين تاليتين حكمتا علـى الهنـد من العاصمة دلهي ، و بينما كان الملوك الأرقـاء أتراكـا البـربين كـان الخلجيون يتحدرون إلى الأصول الأفغانية من منطقة خلج فـي أفغانستان ، وانضم كثير منهم إلى جيش محمد الغوري و استوطنوا الهنـد . و كـان جلال الدين الخلجي واحدا من بينهم .

الملوك الخلجيون

جلال الدين الخلجى (1290 - 1296م)

كان جلال الدين قد بلغ من العمر 70 سنة عند ما استولى على عرش الحكم فسمح للنبلاء الأتراك بأن يبقوا في مناصبهم و عفا عن معظم أعدائه الذين كانوا يقاتلون من أجل العرش .

كانت موجة عدم الارتياح تسود أنحاء عديدة لمملكته ، فساعده ختنه و ابن أخيه علاء الدين في قمعها والدفاع عن المنطقة ضد حملات المغول.

و لكن علاء الدين كان يريد أن يجلس على العرش فقتل جلال الدين و ووضع رأسه على نصل الرمح و تجول به رجاله في سـائر الأقـاليم ليشهد الجميع أنه قد مات .

علاء الدين الخلجى (1296 - 1316م)

عند ما بدأ علاء الدين في الحكم أصبح النبلاء يـدبرون مكايـد ضـده و غمرت موجة التمرد سائر أنحاء البلاد و أعلنت الأقاليم استقلالها.

أكبر امبراطورية منذ أشوكا

بدأ علاء الدين فتوحه فانتصر على كوجرات ، رانثامبور ، سيوانا ، مالوا، شيتور ، جالور و بنجال . و قام جنراله مالك كافور بفتح ديفاجيرى و هزم حكام سلالات كاكاتيا ، ياداف ، باندیا و هويسالاز فى الجنوب . تم استرد الذهب و الجواهر من الجنوب و دفع ملوك الجنوب الجزية له. كانت مملكته أكبر أمبراطورية منذ عصر أشوكا .

أسس المغول إمبراطورية كبيرة للغاية امتدت من آسيا الوسطى إلى غزنة في غرب آسيا ، و حال علاء الدين دون غاراتهم ضد الهند .

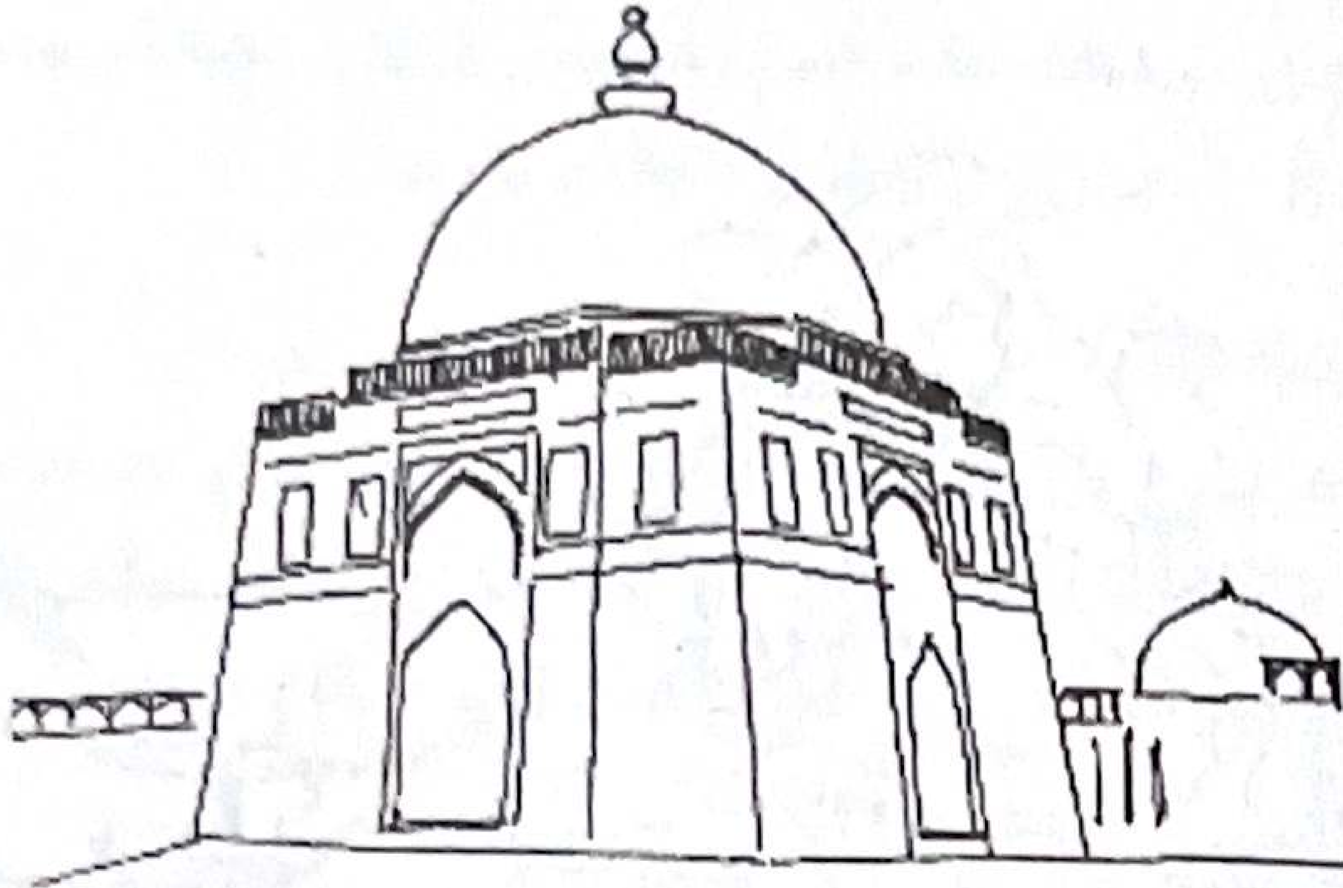
حظر تنظيم الحفلات

من أجل التقليل من صلاحيات النبلاء ألغى علاء الدين نظام منح القطعات الأرضية لهم و انتزع منهم الفائض من الثروة . و لم يسمح لهم بشرب الخمر و عقد الحفلات و الإختلاط أو ترتيب العلاقات الزواجية فيما بينهم، و كان قد عين الجواسيس لاطلاعه على نشاطاتهم . و كان النبلاء خائفين لحد أنهم كانوا يتحدثون عن طريق الهمس أو بلغة الإشارات لكي لا يسمع الجواسيس حديثهم .

إصلاحات أخرى

قام علاء الدين بإعادة تنظيم الجيش ، و عين الجنود مباشرا و حافظ على سجل أو كشف لأسمائهم و كان يدفع الرواتب لهم نقدا . كانت الأفراس توسم بالنار لتعيين هويتها بسهولة . و يقال أنه كان لديه جيش يضم ثلاثمائة ألف جندي .

أدخل علاء الدين تعديلات في نظام جمع الضرائب ، و تحكم في السوق و حدد الأسعار لكافة السلع .



ضريح غياث الدين تغلق في تغلق آباد

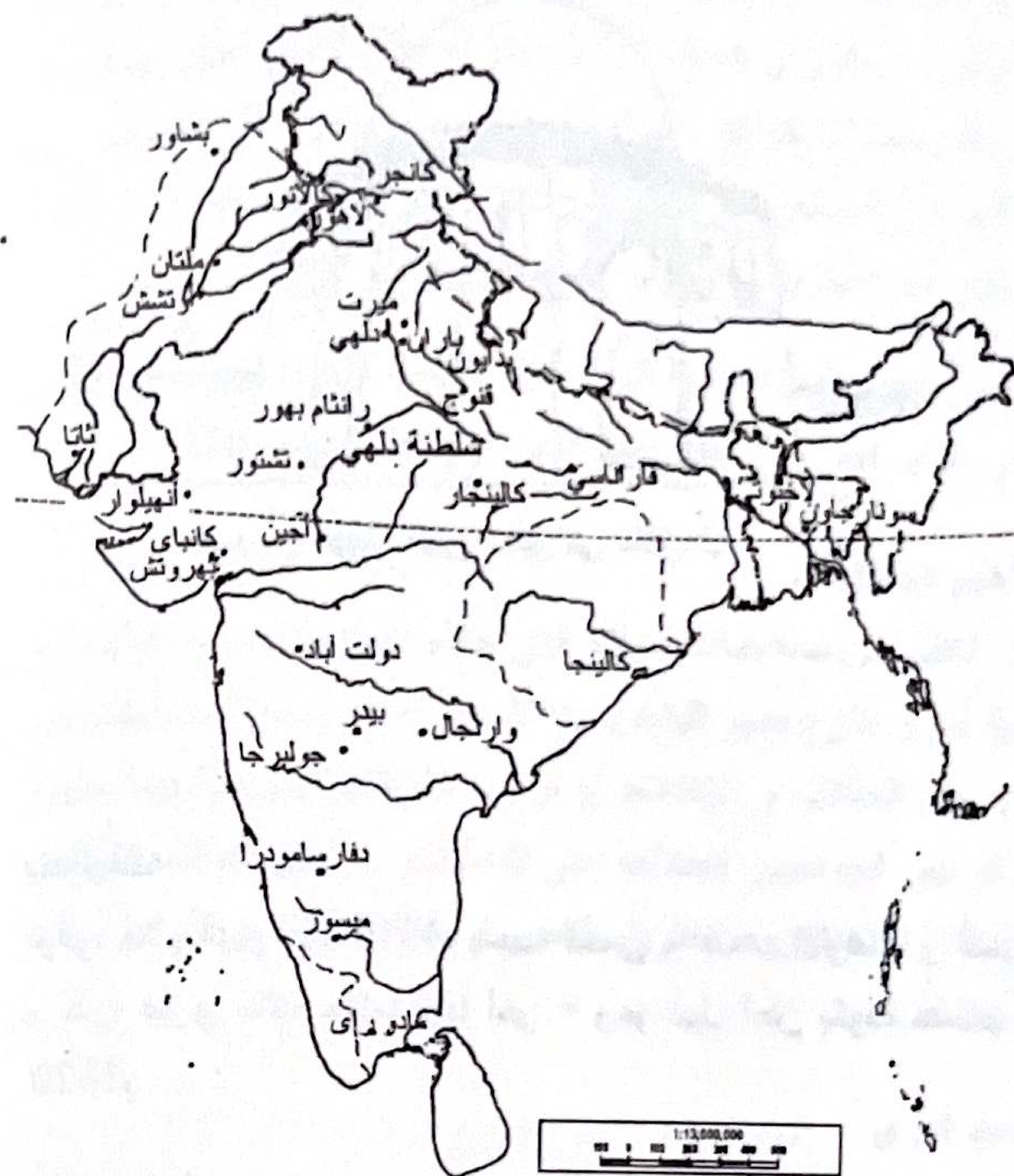
بعد وفاته

توفى علاء الدين عام 1316م بسبب الحمى ، فتردد الارتباك و التمرد ، و كان غازي مالك حاكما قويا آخر – وهو نبيل أعلن بكونه سلطانا عام 1320م .

ملوك سلالة تغلق

غياث الدين تغلق (1320 - 1326م)

اتخذ غازى مالك ، رقيق تركي لبلبن في البداية ، لنفسه لقب غياث الدين . مرة أخرى ثار النبلاء و أعلنت الأقاليم استقلالها .



سلطنة دلهي أثناء حكم محمد بن تغلق

نال الدعم من النبلاء مقابل السماح لهم بالبقاء في مناصبهم . و واصل العمل بسياسات علاء الدين بخصوص الجيش . كما قام بضم تلنجانا ، مابار (مادوراى) و شرق بنجال و جنوبها .

منصة خشبية

أعد اولوغ خان منصة خشبية للترحيب بغياث الدين عند عودته من بنجال، و لكن المنصة انهارت عند ما صعد إليه غياث الدين وأدى ذلك إلى وفاته . و لا يعرف أحد ما إذا فعل ذلك عن قصد أو كان الحادث أمرا إتفاقيا .

محمد بن تغلق (1325 - 1351م)

اتخذ ألوغ خان لنفسه لقب محمد بن تغلق .

الفتوح

فتح معظم انحاء الهند الى مادوراى فى الجنوب .

من دلهي إلى ديفاجيري

عمر مدينة جديدة في ديفاجيري و سماها بتسمية دولت آباد و أراد أن تكون عاصمة جديدة لمملكته لكي يتسنى له التحكم في الجنوب ، فطلب من سكان دلهي أن ينتقلوا إليها . و لكن كثيرا من الناس ماتوا أو أصيبوا بأمراض و شعر الملك بأنه لا يمكنه أن يتحكم في الشمال من هناك ، و لذا عاد الجميع إلى دلهي بعد بضع سنين . و كانت تلك رحلة امتدت على 1500 كيلو متر و كانت تستغرق في تلك الأيام 40 يوما أو أكثر .

يقول باراني أحد مؤرخي ذلك العصر في كتابه " تاريخ فيروز شاهي " إن كل واحد من الناس أرغم على الانتقال من دلهي إلى دولت آباد فتحولت دلهي إلى خراب بأسرها بحيث لم يبق فيها حتى قطة أو كلب .

الإصلاحات الزراعية

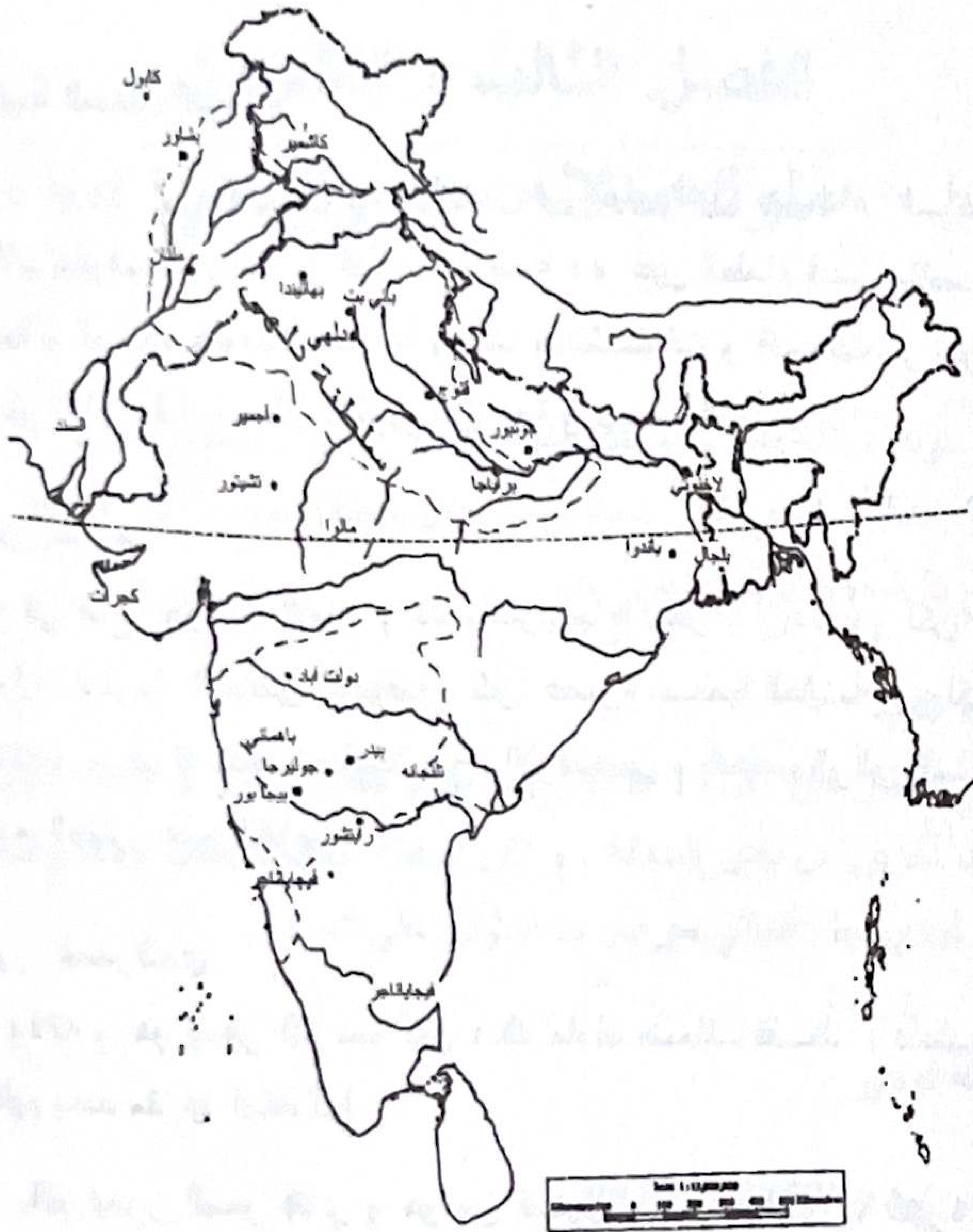
حاول تغلق زرع محاصيل جديدة و قام بتطوير الأراضي القاحلة و أراد أن ينفذ نظاما موحدا لجمع الإيرادات و طلب إلى أمراء الأقاليم أن يعدوا سجل الإيرادات و المصروفات . و لكن الضرائب كانت عالية جدا إضافة إلى تورط الكثير من المسئولين في الفساد مما أدى إلى فشل هذا النظام .

الصوفية و السيوف

كان تغلق يتصف بسعة الفكر و كان كثير المطالعة و أجرى مناقشات مع الصوفية المسلمين و القديسين الهندوس و علماء الديانة الجينية ، و لكنه في نفس الوقت كان قاسيا جدا إزاء أعدائه ، فكان يعاقبهم بالدس تحت أقدام الفيلات أو القذف في الهواء على أنياب الفيلات التي ركبت عليها السيوف . كما أبدع عقوبات شديدة و طرقا جديدة للتعذيب ، و صار النبلاء معارضين له بهذا السبب و أيضا بسبب أنه كان قد عين رجالا جددا و أهمل حقوقهم الوراثية . اصبح العلماء أيضا يعارضونه إذ أنه لم يكن يعتني بنصائحهم . فبدأ التمرد في كافة أرجاء المملكة . تمرد نبيل من كجرات اسمه تقي وعندما وصل السلطان إلى كجرات ذهب تقي إلى السند و توفى السلطان بسبب الحمى عند ما كان يزحف إلى السند .

فيروز شاه تغلق (1351- 1388 م)

استولى ابن عم تغلق فيروز شاه على العرش و أصبحت الإمبراطورية كبيرة لحد أنه لم يعد من الممكن التحكم فيها ، فأعلنت العديد من الأقاليم استقلالها و لم يبق هناك نبيل وفي بسبب سياسات محمد بن تغلق .



الهند في 1398م

سياسة السعادة للجميع

حاول فيروز أن يجعل النبلاء و الجيش و علماء الدين سعداء فأعطى النبلاء حقوقهم الوراثية و قطعات أرضية ، و عين العلماء في مناصب رفيعة و لم ينفذ عقوبات صارمة و انشأ مستشفيات و قنوات و بيوتا للاستراحة و بلدات و قام بتطوير الزراعة و توسعة التجارة

عصر السلام

نجح في قمع حركات التمرد و قام بإغارة جاج ناجر (أريسا) و لكن لم يحاول استرداد المناطق الجنوبية . كان عصره سلميا للغاية ، و لكن سلطته و سيطرته تقلصت نتيجة منح الأراضي و الحقوق الوراثية و أصبح الجيش عديم الكفاءة .

تيمور السمرقندي

بعد وفاته و هو يناهز 80 سنة كان هناك ملوك ضعاف فقط ، فأعلنت الأقاليم بعدد متزايد استقلالها .

قام تيمور السمر قندي و هو من المغول يملك إمبراطورية كبيرة من جنوب روسيا إلى إندوس بغزو الهند و أخذ الذهب و الفضة و الجواهر و ثروة وافرة و دمر المدن و قتل كثيرا من الناس . و يقال إنه بعد تدمير دلهي " لم يحرك طائر جناحيه لمدة شهرين " .

استمر ملوك التغلق فى الحكم حتى 1412م و لكن كافة الأقاليم كانت قد أصبحت مستقلة ، و يقال إن أراضيهم تكونت فقط من منطقة صغيرة " من دلهي إلى بالام " .

الفصل الثالث والعشرون

ملوك سلالة سيد ولودهي

كان ملوك سلالة سيد و لودهي آخر سلاطين دلهي . وبعد وفاة آخر ملك لسلالة لتغلق اصبح نبيل اسمه دولت خان سلطانا جديدا و لكن سرعان ما أطاح به شخص يدعى خضر خان .

أسرة السيد

بحكم خضر خان (1413-1421م) بدأ حكم سلالة سيد ، و تبعه ثلاثة ملوك آخرين من نفس السلالة . و لكن السلطة الحقيقية كانت بيد بهلول خان لودي نبيل أفغاني سرعان ما استولى على العرش .

سلالة لودي

سكندر لودي (1489 - 1517)

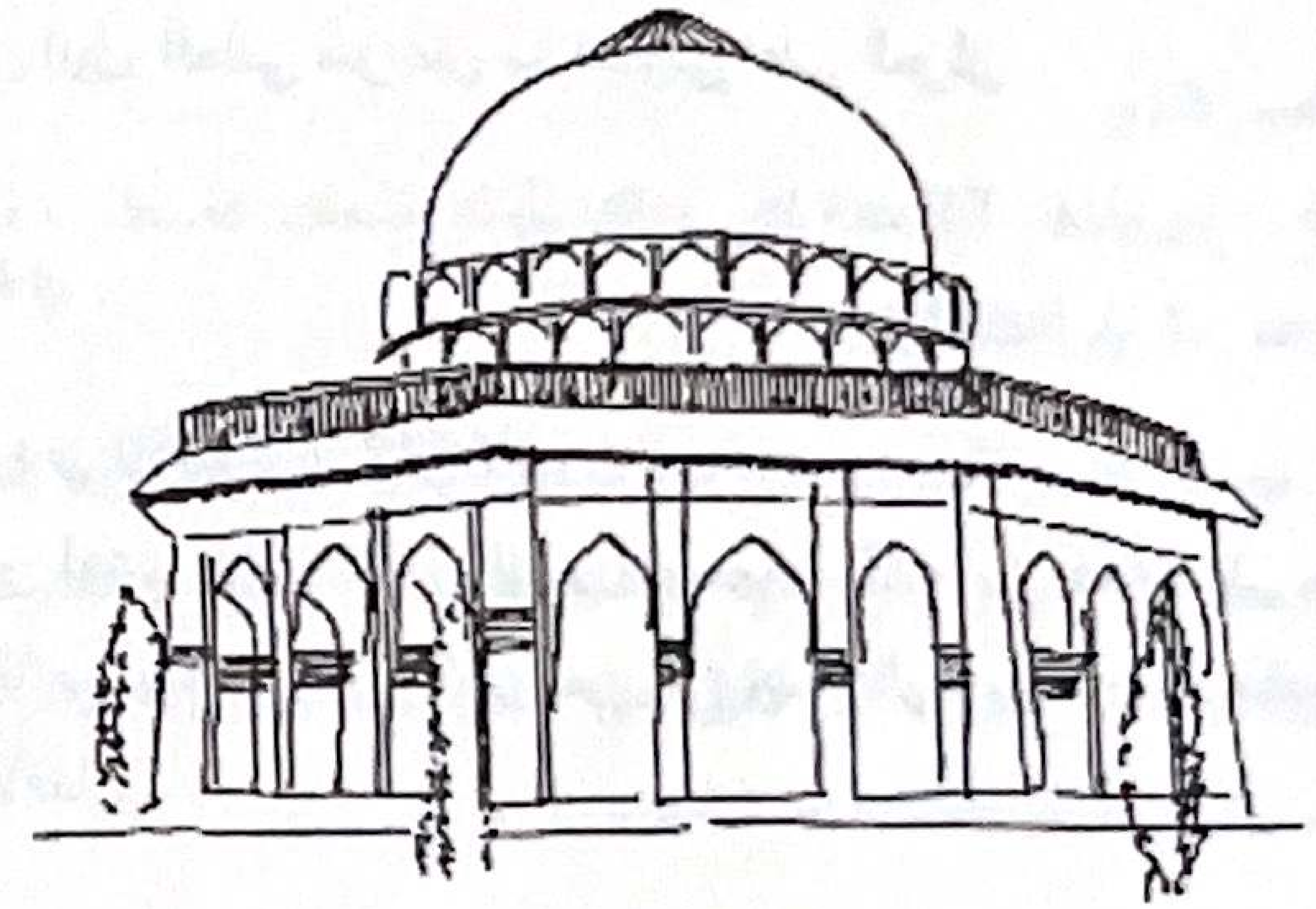
قام سكندر لودي خلف بهلول لودي بتوسعة مملكته من بنجاب إلى بيهار و أبرم اتفاقا مع بنجال وهزم كثيرا من الرؤوساء الراجبوت و قام بكبح جماح النبلاء الأفغان .

ابراهيم لودي (1517-1526م)

ماكان ابراهيم لودي بن سيكندر لودي رجلا محببا ، فقام بإهانة النبلاء . فدعا دولت خان لودي حاكم بنجاب آنذاك بابر لغزو الهند و هو الذي قتل إبراهيم لودي في باني بت في 1526م فيما يدعى أول معركة لباني بت .

سبب انحطاط السلطنة

أصبحت سلطنة دلهي كبيرة للغاية أثناء حكم محمد بن تغلق . كانت الحروب تندلع بصورة مستمرة و أصبحت الخزانة الحكومية خالية بسرعة. و دائما كان هناك تهديد للغارات من قبل المغول و كان النبلاء غير متحدين ، و كان هناك كفاح مستمر من أجل العرش ، و أعلن الحكام المحليون استقلالهم ، و أصبح عامة الناس في عزلة عن الحكام . عاش الفلاحون في حالة الفقر بينما عاش الملوك و النبلاء في غاية من الفخامة والأبهة.



قبة سيكندر لودي ، نيو دلهي

الفصل الرابع و العشرون

الحياة في عصر السلطنة

1200-1250م

السلاطين

عاش السلاطين في غاية من الأبهة . زار ابن بطوطه الهند ووصف الأوضاع في القرن الرابع عشر .

كان بلاط محمد تغلق يحتوى على قاعة كبيرة تستند على ألف عمود خشبي مصقول ، و كان السطان و أعضاء الأسرة المالكة يستعملون الذهب و الفضة و الأزياء المطرزة و الجواهر، و إن زوج حذاء للسلطان فيروز شاه تغلق كان يشترى بحوالي 70٫000 تنك بينما كانت خمسة تنكات فقط تكفى للعيش بالنسبة لأسرة عادية ذات طفلين لشهر كامل .

المسئولون

كان هناك عدد كبير من المسئولين لمساعدة السلطان ، و أهمهم كان الوزير . و كانت الإمبراطورية مقسمة إلى أجزاء تدعى الأقليم و الشيقات و البرجنا . و كان هناك نظام لإعطاء قطعات أرضية لقواد الجيش .

النبلاء

كان النبلاء و الوزراء و الحكام المحليون أيضا يسكنون في القصور الضخمة و يعيشون عيش الترف و التنعم الكبيرين . و كان دخل الوزيرالكبير يساوي دخل كافة العراق . أما الوزراء الآخرون فكانوا ينالون ما يتراوح بين 20000 و 60000 تنك سنويا .

التجار

كان التجار من المسلمين و الهندوس و الجينيين أثرياء لحد كبير و كـــانوا يسكنون في بيوت كبيرة و يرتدون أزياء حريرية و المجوهرات المصنوعة من الذهب و الفضة و الأحجار الكريمة . و بعضهم كان يركب الفــرس و يتبعه الخدم و هم يحملون سيوفا مزخرفة بالذهب و الفضة .

نظام الطوائف

استمر نظام الطوائف ، و ينص بعض الكتب الخاصة بالقوانين و الأعراف الهندوسية على أن أحدا يجب ألا يأكل مع رجل من طائفة شودرا أو يسكن معه في بيت واحد أو يسافر معه في نفس العربة ، غير أن عناصر طائفة شودرا نالت مكانة أفضل بفضل حركة " البهاكتي " (التفاني في العبادة) .

المرأة

استمرت ممارسة " ساتي " و حظر زواج الأرامل . بـــدأ نظـــام الحجـــاب للمرأة ، فكانت المرأة المسلمة ترتدى الحجاب مما تأثر به نساء الطبقـــات العالية من الهندوس .

الهندوس و المسلمون

كلمة " هندو " كلمة فارسية كانت تطلق على نهــر ســيندهو ، التســمية السنسكرتية لاندوس . في الأيام الأولى لم تكن هذه الكلمة " هندو " تستعمل بمفهوم ديني و كان الناس يعرفون بالطوائف التي ينتمون إليها و الأصـــنام المختلفة التي كانوا يعبدونها . و أصبحت تسعمل فيما بعد لجميع من كـــانوا يسكنون شرقا من نهر إندوس و هم ما كانوا مسلمين . قام بعض السلاطين بتدمير المعابد اثناء الحروب و فرضوا ضريبة (الجزية) على الهندوس . و

كان الهندوس من الطوائف العالية يعتقدون أن المسلمين هم أدنى منزلـــة إذ أنهم يأكلون اللحم و يمارسون عادات مختلفة.

اختلط الهندوس و المسلمون فيما بينهم لأغراض العمـــل و علـــى الصعيد الاجتماعي أيضا لحد ما . و في البداية لم تأت النسوة بعدد كبير مع الأتراك و الأفغان ، و لذا اختار بعضهم نساء هندوسيات جميلات ، و إن الزواج مع أميرة هندوسية ساعد حاكما في السيطرة على الإمارة التي جاءت منها.

الزراعة

كانت القطانيات والحبوب و الفواكه و الخضراوات و التوابل تنتج في كافة أنحاء الهند، وكان هناك موسمان للحصاد سنويا و ثلاثة مواسم في بعض الأحيان. امتدت الزراعة إلى أراض جديدة. كان أحد أثلاث المحصول الزراعي أو نصفه في بعض المنـــاطق يؤخـــذ كضـــريبة للأرض. بنيت البرك و الآبار و القنوات للري.

البلدات و الموانئ

يقول ابن بطوطه إن دلهى كانت أكبر مدينة في الدول الإسلامية الشرقية و كانت بهروتش و كامبي و ملتان و آجرا و قنوج و لكهنوتي و ســـورت و ديبال و كالي كوت و كيلون و سونارجاون من الموانئ و البلدات الأخرى. و يقال إن فيروز تغلق عمر 200 بلدة أثناء فترة حكمه .

التجارة

كانت التجارة داخلية و خارجية معا . بنيت طرق واســـعة مـــن بيشـــاور (باكستان) إلى سونارجاون(بنجال) و من دلهي إلى دولت آباد مـــع بيـــوت للاستراحة على امتدادها .

كان التعامل التجاري مع العراق و خراسان عن طريق هرمز في الخليج الفارسي . كانت جده (الآن في العربية السعودية) و عدن مينائين رئيسيين للتجارة على طريق البحر الأحمر ، و كان التعامل التجاري مع شرق إفريقيا و سومطرا و مليسيا و بورنيو و الصين في جنوب شرق آسيا أيضا.

قامت الهند بتصدير التوابل و خشب الصندل و العطور و النيل و الأحجار الكريمة و السكر و الأرز و الجوز الهندي و كان الذهب و الفضة و الأفراس العربية من الأشياء التي كانت تستوردها.

نظام البريد

كانت الرسائل تنقل عن طريق الأفراس أو السعاة الذين كانوا يسعون على القدمين . و يقول ابن بطوطه إنه تحت نظام نقل البريد بالأفراس كانت الأفراس توضع بعد كل 4 كوسات (كوس واحد كان يساوى 3 كيلومترات) و في نظام نقل البريد عن طريق السعاة كان السعاة ينشرون بعد كل ثلث من كوس واحد . و كان كل ساع حامل رسالة يعدو بسرعة فائقة و هو يدق جرسا و يأخذها ساع آخرمنه على الفور ، و كان هذا النظام يستخدم أيضا لنقل الفواكه من خراسان للسطلان . و قال ابن بطوطه " بنفس الطريقة كانوا ينقلون المجرمين الكبار فكانوا يضعون شخصا على نقالة ويسعون حاملين النقالة على رؤوسهم .

الفن و هندسة العمارة

ظهرت اتجاهات جديدة في هندسة البناء و تم انشاء المساجد و الضرائح واستخدمت فيها المحاريب و القبب . و عادة كان المسجد يحوى غرفة مركزية كبيرة حيث يتجمع عدد كبير من الناس بدلا من غرفة صغيرة

توجد في المعابد الهندوسية . و بما أن الاسلام لا يسمح استخدام الصور البشرية و الحيوانية استخدمت التصاميم الهندسية و تصاميم النبتات و الخطوط للتزيين .

دلهي

انشأ السلاطين هياكل عديدة في عاصمتهم - دلهي ، و في المناطق المجاورة لدلهي يمكن مشاهدة آثار تذكارية لذلك العصر حتى الآن و منها منارة قطب التي يبلغ طوله 71ر4 مترا و هو برج مدرج مصنوع من الأحجار الرملية الحمراء و البيضاء و الرخام واكمل بناؤه من قبل التمش في القرن الثالث عشر و على مقربة منه " علائى دراوزه " (باب علائى) بوابة محرابية الشكل بناها علاء الدين . و قام علاء الدين ببناء حصن سيرى بينما بنى غياث الدين و محمد تغلق الحصن القصر في تغلق آباد . و بنى فيروز شاه منتجعا و بحيرة كبيرة في حوض خاص و حصنا يدعى الآن كوتلا .

كانت هناك اشكال إقليمية لهندسة العمارة في جونبور و بنجال و كجرات و مالوا و أماكن أخرى .

الأدب

استمر تأليف الكتب بالسنسكرتية و اللغات المحلية . و في اللغة السنسكرتية ألفت كتب قانونية و كتب شبه تاريخية .

كتب تشاند بارداى " برثوى راج راسو " قصة غرامية عن برثوي راج تشوهان باللغة الهندية

كما ألفت الكتب باللغتين - العربية و الفارسية و كان أمير خسرو أفضل كاتب معروف باللغة الفارسية فكتب قصصا تاريخية و الشعر و كتب في اللغة الهندية أيضا .

و من بين كبار المؤرخين لذلك العصر ضياء الدين الباراني و عفيف و عصامي. ترجمت الكتب السنسكرتية إلى الفارسية و منها سالو هوترا - كتاب حول تربية الأفراس و كتب في علم الفلك و الموسيقى و الرقص.

الخامس والعشرون

المملكة الباهمنية ومملكة فيجايا ناجر

المملكتان

في دكن ظهرت مملكتان مستقلتان إلى حيز الوجود في القرن الرابع عشر أثناء حكم محمد بن تغلق . كانت المملكة الباهمنية تقع في الشمال و مملكة فيجاياناجر في الجنوب . و كانت الأولى تغطي أجزاء من إقليم مهاراشترا الحالي و شمال آندهرا براديش و كرناتكا بينما كانت الثانية تغطي جنوب آندهرا براديش و كرناتكا ، و خاضت المملكتان حروبا عديدة من أجل الاستيلاء على الموانئ و الأراضي الزراعية الخصبة .

المملكة الباهمنية

في دولت آباد في دكن بدأ النبلاء يثورون ضد محمد بن تغلق فهزمهم جميعا ولكنه ذهب إلى كجرات لاخماد حركة أخرى للتمرد فاختاروا اسماعيل موخ أحد النبلاء ملكا و لكنه كان شيخا طاعنا في السن فحول السلطة إلى نبيل آخر اسمه حسان فلقب نفسه علاء الدين باهمن شاه . حكم من 1347 إلى 1358 م و كانت جولبرجا عاصمة له و فتح جوا و دابهول و كولها بور و تلنجانا.

صراعات وزواج

أثناء حكم محمد شاه الأول (1358-1375) و هو ابن علاء الدين بدأ النزاع بين الدولة الباهمنية و مملكة فيجايا ناجر ، فقاتلت الاثنتان من

أجل الاستيلاء على المناطق الرئيسية التي كانت خصبة للغاية و تشتمل على بعض الموانئ الكبيرة اللازمة للتجارة . حارب ملوك الدولة الباهمنية أيضا ضد سلاطين دلهي و مالوا و كجرات و غيرها من الولايات . هاجم محمد شاه الأول فيجايا ناجر و نهب عاصمتها وانتزع جوا من حاكم وارنجل و لكنه لم يستطع مواصلة سيطرته على أراضي فيجاياناجر و قام بإبرام اتفاق للسلام . حاول مجاهد الحاكم التالي (1378 - 1375م) احتلال فيجايا ناجر مرتين و لكن فشل في ذلك . وحكم أربعة ملوك آخرين لفترات قصيرة حتى 1397م . و في عام 1397م تولى فيروز شاه الحكم و حكم لمدة 15 سنة . حقق فيروز شاه انتصارات مبدئية ضد فيجايا ناجرا و ارغم ديفارايا الأول للموافقة على زواج ابنته معه ، و لكنه خسر فيما بعد الأقاليم الشمالية و الجنوبية لمملكته فضمتها مملكة فيجاياناجر اليها . قام أحمد شاه (1436-1422م) و هو أخ فيروز شاه و الحاكم التالي بنهب فيجايا ناجر و احتلال وارنجل و مالوا و كونكان و نقل عاصمته إلى بيدر.

علاء الدين و همايون

بعد أحمد شاه تولى الحكم ابنه الأكبر علاء الدين الثاني ثم إبنه همايون ثم ابنان صغيران لهمايون و هما نظام شاه الذي كان يبلغ من العمر 8 سنوات و توفى بعد سنتين و أخوه محمد الثالث البالغ من العمر 9 سنوات .

الممالك الخمس

انقسمت الدولة فور ذلك إلى خمس دويلات صغيرة و هي بيجابور و أحمد ناجر و برار و جولكندا و بيدر.

فيجاياناجر

يقال إن الأخوين - هارى هارا و بوكا - أسسا مملكة فيجايا ناجر، و كانا وزيرين لدى حاكم كامبيلى فى كرناتكا . و بعد أن ألقى القبض عليهما أثناء غزو كامبيلي من قبل محمد بن تغلق تم تحويلهما إلى الإسلام و أعادتهما إلى كرناتكا لقمع التمرد فيها ، و لكنهما عادا إلى الهندوسية و اعلنا استقلالهما و أسسا مملكة فيجايا ناجر.

كرشنا ديفا راى

كان كرشناديفاراىا (1509 - 1529م) عضوا لسلالة تولوفا أكبر ملك لدولة فيجايا ناجر . و لكن الممالك الخمس - بيجا بور و احمد ناجر و برار و جولكندا و بيدر - تجمعت لهزم مملكة فيجايا ناحر فى معركة تاليكوتاعام 1565م أثناء حكم سدا شيفا راى .

استمرت مملكة فيجايا ناجرفى البقاء حتى 1672م تحت حكم أسرة أرافيدو بدون أن تستعيد مجدها السابق

الحياة في المملكة الباهمنية و مملكة فيجايا ناجر

أعطى كثير من السياح فكرة عن الحياة في هاتين المملكتين و من بينهم نيكتين تاجرروسي و نيكولو كونتي سياح إيطالي و نونيز سياح برتغالي .

على السرائر الفضية

كان الملوك و النبلاء يعيشون عيش الأبهة مثل نظائرهم في الشمال ، و قال التاجر الروسي نيكيتين الذي زار دكن في حوالي 1470م إن النبلاء في المملكة الباهمنية كانوا يخرجون جالسين على السرائر الفضية مع 20 فرسا في الأمام مزينة بالذهب و 300 رجل على ظهور الحصان و 500 رجل ماش على الأقدام . وقال عبد الرزاق سفير فارس إلى فيجايا ناجر إن

قصر الملك كان يشتمل على خلايا عديدة مثل الحياض المليئة بالذهب .

زواج ملكي

بمناسبة حفل للزواج الملكي كانت تعرض كافة الثروة الملكية ، و عندما جاء فيروز شاه باهمني إلى فيجايا ناجر للزواج من بنت ديفاراى تم نشر الذهب و أقمشة المخمل و الأطلس على الشارع بين بوابة المدينة و القصرو الممتد على عشرة كيلومترات .

مدينة فيجايا ناجر

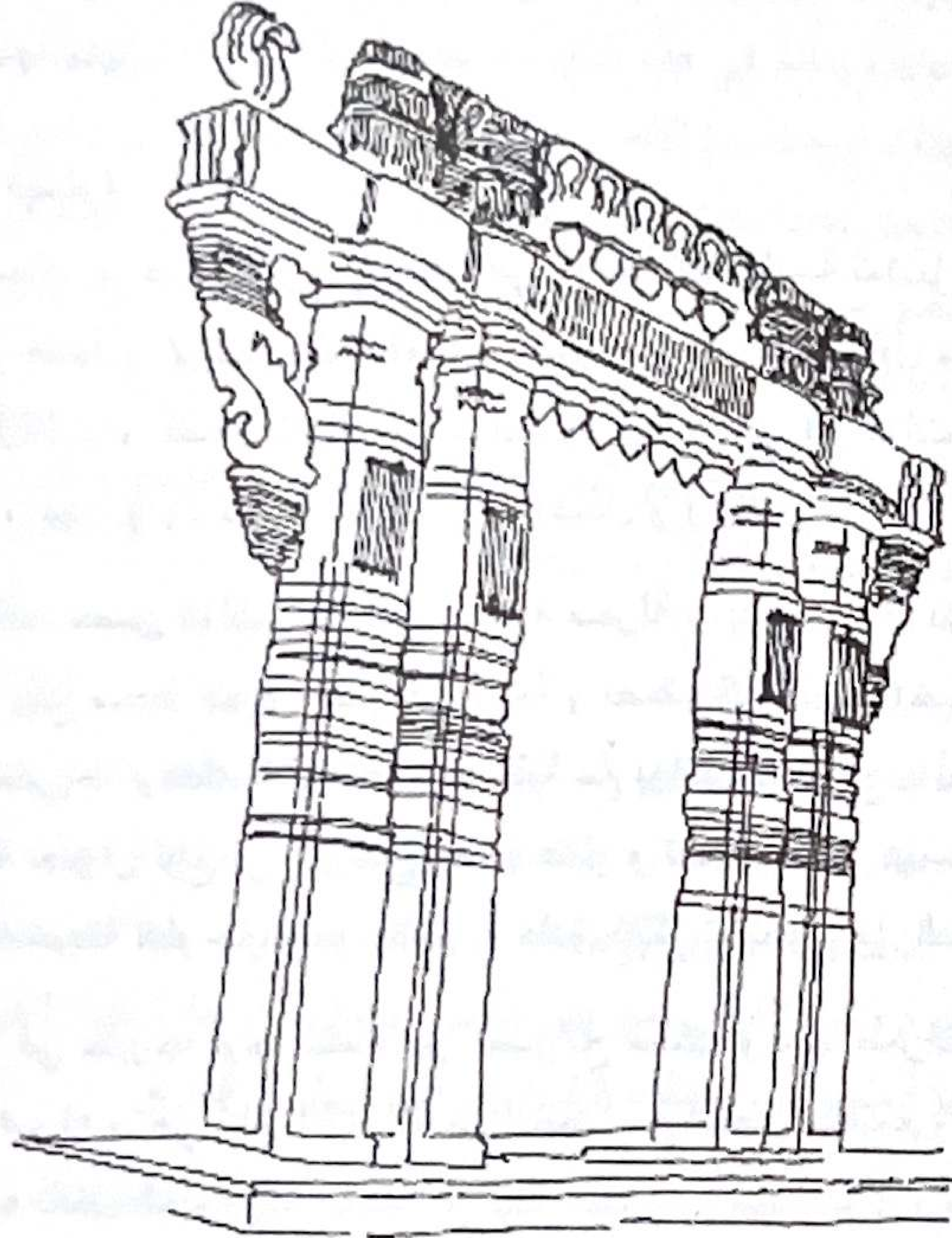
كانت مدينة فيجايا ناجر يمتد على 96 كم مع سبعة حصون و أربعة أسواق إلى جانب عدة جداول و انهار للماء مصنوعة من الأحجار المصقولة ، و قال أحد السياح إنها كانت أكبر من روما .

عامة الناس

كان عامة الناس فقراء مثل نظائرهم في أي مكان آخر. يقول نيكيتين إن الناس في البلاد (القرى) كانوا بائسين للغاية بينما كان النبلاء أثرياء للغاية.

الهندوس و المسلمون

في كلتا المملكتين كانت الأزواج الهندوسيات و من بينهن بنت ديفا راى الأول يختلطن مع المسلمين ، و كانت لدى فيروز شاه باهمني عدد من الأزواج الهندوسيات ، و فضلا عن الفارسية و العربية و التركية كان يعرف اللغات التيلجو و الكنرية و المراثية و كان يتحدث مع كل واحدة من أزواجه بلغتها. و كان قد عين مسئولين هندوس أيضا ، و البراهمنة الدكنيون كانوا يسيطرون على إدارته . و في مملكة فيجايا ناجر كان عشرة آلاف جندي مسلم في جيش ديفا راى الأول ، و عين ديفا راى الثاني



جزء من معبد مدمر — مملكة فيجاياناجر

2000 جندي مسلم و منح لهم الأراضي و أمر الجنود الهندوس أن يتعلموا فن الرماية منهم .

هندسة العمارة

بنيت مساجد و حصون و قبب عديدة في المملكة الباهمنية تمتزج فيها عناصر هندية و إيرانية . شيد المسجد الكبير في جلبرجا من قبل محمد شاه عام 1637 م ، كما بنيت حصون عديدة بما فيها ما بنى في دولت آباد و نارنالا و بيدر و وارنجل و جولكندا و مودجال و رايشور .

يقف حصن دولت آباد على صخرة منعزلة و يبلغ في الارتفاع 186 مترا و يبلغ محيط الجدار الخارجي أربعة و نصف كيلومتر و يحيط به خندق مائي ، وهناك ثلاثة جدران داخلية مع بوابات و أبراج . أما حصن بيدر فله جدران تبلغ في الارتفاع خمسة عشر و نصف متر بينما يبلغ محيطها خمسة كيلو مترات و يحيط به خندق ثلاثي مصنوع في الصخرة .

و في جلبرجا توجد سلسلة من الضرائح الملكية و منها ضرائح فيروز شاه و أسرته و هي تبلغ 48 x24 مترا حجما مع الجص اللامع و تصاميم مرسومة داخل الجدران .

كانت مملكة فيجايا ناجر حافلة بالمعابد و اشهرها معبد هزارا راما و معبد فيتالا في فيجاياناجر . و يشتمل الثاني على قاعة للرقص تحيط بها أعمدة موسيقية ، و عند القرع تخرج أصوات موسيقية من هذه الأعمدة مثل الآلات الموسيقية الأخرى .

مركز الحياة – المعبد

حتى ذلك الوقت لم تعد المعابد في جنوب الهند مكانا للعبادة فقط بل أصبحت مركزا للحياة حيث كانت تتيح فرص العمل لكثير من الناس . قام

المهندسون المعماريون و الحرفيون بتصميم و صنع هذه المعابد . كانت حفلات عديدة تنظم في هذه المعابد حيث يجتمع الناس و يتمتعون بالمهرجانات و مشاهدة الألعاب . بالإضافة إلى هذا كانت تستخدم المعابد كقاعة للاجتماعات حيث يناقش الناس القضايا المحلية أو يستمعون إلى تلاوة النصوص المقدسة . و كانت توجد مستشفيات ومدارس أيضا في محيط المعابد .

كان الناس ومن بينهم الملوك يقدمون الهدايا و المبالغ و الذهب إلى المعابد فأصبحت تملك ثروة هائلة .

التعليم و الأدب

زار الأجانب و رجال العلم المملكة . كان فيروز شاه باهمني خطاطا وشاعرا يهتم بعلم النبات و علم الهندسة والمنطق . نزح أصحاب العلم من دلهي و إيران و العراق إلى بلاطه ، و كان قد بنى مرصدا في دولت آباد. كان يحترم كافة الأديان ، و بنى محمود جاوان مدرسة (كلية) في بيدر وفد إليها العلماء من مختلف البلدان بما فيها إيران و العراق .

ألف كرشنا ديفا راى نفسه كتبا و شجع الكتاب و العلماء و يعد " أموكتا مالايادا " باللغة التاميلية من أهم أعماله و يحكى قصة حياة ناسك فيشنوى و عن الحب بين بنته بالرضاعة و الإلاه رنجاناثا . وأقام في بلاطه " أشتاديجاز " أو ثمانية شعراء .

الدمار بسبب الحروب

كانت هناك ثروة و الفن و العلم و الأدب و لكن الكثير من ذلك تدمر بسبب الحروب التي أدت إلى دمار المدن و القرى و قتل كثير من الناس و أشد تلك الحروب كانت معركة تاليكوتا عام 1565م فأودت بحياة اكثر من مائة

ألف شخص . و بعد هذه المعركة كانت الشوارع المؤدية إلى مدينة فيجايا ناجر مفتوحة أمام قبائل الغابة و اللصوص والعساكر الذين ، حسب قول سياح برتغالي ، دمروا المدينة بالنار و السيف و الفأس و العتلة ، فصارت المدينة الصناعية و الثرية خرابا و لم تنتعش أبدا .

هامبى

يمكنك أن تشاهد حاليا أيضا مدينة فيجايا ناجر التي تعرف الآن باسم " هامبي " حيث توجد منطقة ممتدة على 27 كم مربع في شكل آثار مدمرة للمدينة و يمكنك أن تمشى في الطرق العريضة التي بنيت قبل 400 سنة و أن تشاهد المراكز التجارية القديمة و بإمكانك كذلك أن تشاهد ميزانا كان الملوك يزنون به أنفسهم بالذهب و يوزعونه . ويبقى هناك مكان واحد فقط في المدينة القديمة قرب معبد فيروباكاشا حيث توجد سوق صغيرة . أما المناطق الباقية فقد تحولت إلى خرائب.

الفصل السادس و العشرون

المغول الأوائل

بابر

ورث بابر فرغانه ، إقليم في وسط آسيا ، من أبيه . خسر الملك الشاب أراضيه الأصل و لكن استولى على كابل و ماتبقى من أفغانستان عام 1504م

دعوة لتولى منصب الملك

أغار بابرعلى الهند عدة مرات بحثا عن الثروة . فكر دولت خان لودي الحاكم الأفغاني لبنجاب و رانا سانجا الحاكم الراجبوت لميوار في الحصول على مساعدة بابر للاطاحة بابراهيم لودي فدعاه لغزو الهند و القتال ضده و تولى منصب الملك و لعلهما لم يدركا أن بابر سينتصر .

فتح شمال الهند

في عام 1525م بدأ بابر يزحف نحو دلهي ، و في طريقه إليها أخضع دولت خان الذي كان قد أصبح معاديا له بالفعل ، ثم خاض ثلاث معارك كبيرة و بعض المعارك الصغيرة و فتح من خلالها معظم شمال الهند . و في عام 1526م الحق الهزيمة بابراهيم لودي في باني بت في شمال غرب دلهي و في عام 1527م هزم رانا سانجا في خانوا قرب آجرا . و في هذه المعركة نال رانا سانجا الدعم من العديد من الحكام الراجبوت و بعض الرؤساء الأفغان . و في عام 1529م هزم بابر الرؤساء الأفغان الآخرين و نصرت شاه حاكم بنجال

الذين تجمعوا تحت قيادة محمود لودي أخ ابراهيم لودي ، و كانت المعركة قد حدثت على ضفاف نهر غاجرا في شرق أتر براديش .

و فور ذلك توفى بابر عام 1530 عائدا في طريقه إلى كابول .

رجل يتصف بالقوة و الحماس و العلم

جاء بابر إلى الهند مع 12000 جندي فقط و بعضهم انضم إلى جيشه في الطريق في حين كان ابراهيم لودي يملك جيشا يضم مائة ألف جندى و رانا سانجا يملك جيشا أكبر من ذلك . انتصر بابر بفضل تقنية حربية أفضل و استخدام الرماة و الأفراس و البارود و المدافع . كما أنه قاد جنوده بوجه أفضل و كان يملك قدرا كبيرا من الحماس و القوة مما اكسبه الإعجاب لدى جنوده . و يقال إنه كان يستطيع أن يتأبط شخصا في كلا الجانبين و يسعى على متراس . شارك جنوده كل المصاعب و المتاعب و كان يعتبر أفضل قائد عسكري في عصره . وضع الأساس لإمبراطورية جديدة و لكن لم يجد الوقت لتنظيم المناطق التي فتحها .

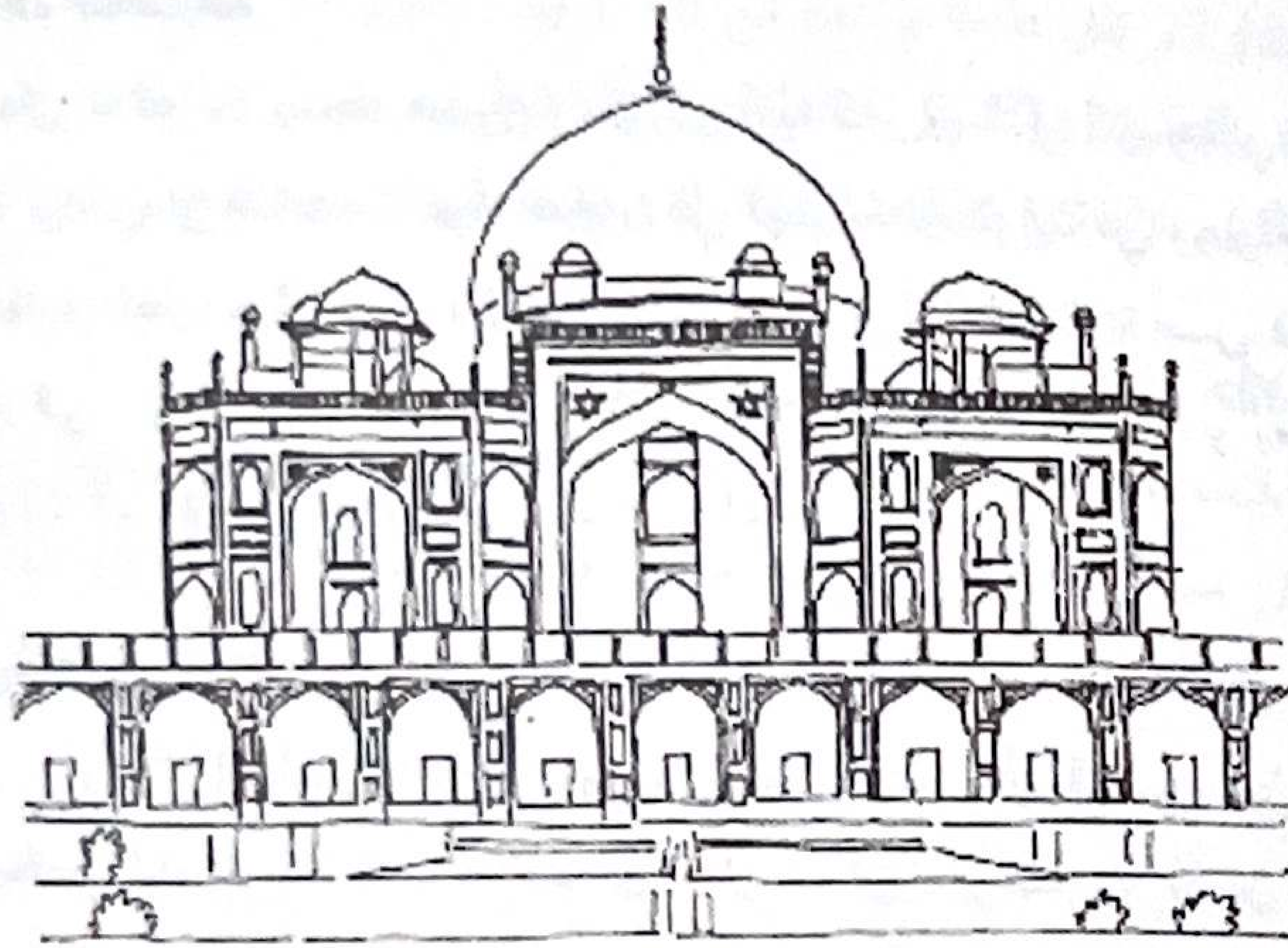
كان بابر رجلا مثقفا كتب ذكرياته التي تعطينا فكرة عن حياته إلىجانب نظم قصائد شعرية .

همايون (1530 - 1540 ، 1555م)

خاض همايون خلفا لأبيه بابر معارك عديدة للإبقاء على سيطرته على المناطق التي فتحها بابر و كان له منافسان كبيران و هما بهادر شاه حاكم كجرات و شير خان أفغاني الذي كان مقره في بيهار .

بهادور شاه

كان بهادور شاه يملك جيشا مجهزا بالبارود و المدافع ووظف لديه مدفعيين برتغاليين يقودهم ضابط تركي اسمه رومي خان . و بعد معارك عديدة دبر



ضريح همايون

همايون هزمه و الاستيلاء على كجرات و مالوا و ترك أخيه عسكري لإدارة المنطقة ، و لكن عسكري خسر سيطرته عليها و اصبح كجرات و مالوا مستقلتين و لكن بهادور شاه توفى في قتال على سفينة برتغالية .

شير خان

خاض همايون و شير خان معارك عديدة ومنها معركة في شاوسا قرب بنارس عام 1539م و في قنوج عام 1540م و دعم همايون أخويه عسكري و هيندال و لكن أصيب بهزيمة شديدة ، و قتل ألوف الجنود المغول في المعركة.

لا أحد للمساعدة

لم يكن هناك أحد يساعد همايون وحتى أن أخيه كامران الذي كان يملك جيشا قويا رفض أن يساعده . تجول همايون في الهند لبعض الوقت في محاولة لنيل التأييد و تنظيم جيش له . نهائيا ذهب إلى هرات و نال المساعدة من الملك الإيراني . و في عام 1545م عاد للاستيلاء على قندهار و كابول . و بعد عدة سنوات للنزاع ألقى القبض على كامران و أعماه.

في دلهي مرة أخرى

في عام 1555م احتل همايون دلهي مرة أخرى بعد أن الحق الهزيمة بسيكندر شاه سور ، أحد أخلاف شير خان ، في سيرهند . و لكن بعد سبعة أشهر سقط همايون من درجات السلم في مكتبته و توفى .

ملك كريم و لوكان ضعيفا

لم يكن همايون جنرالا أو قائدا جيدا. عمر مدينة جديدة في دلهي تدعى " دين بناه " و نظم المعارض و المهرجانات فيها بدلا من تنظيم جيشه . و لكنه كما يقال كان كريما و سخيا و كان يحب الرسم و نظم الشعر .

شير شاه سور

لقب شير خان نفسه بشير شاه بعد إلحاق الهزيمة بهمايون عام 1540م . حكم على المنطقة الممتدة من إندوس إلى بنجال ، و فتح مالوا و معظم راجستهان و لكن توفى أثناء محاصرة كالينجار في بونديل خاند عام 1545م في انفجار مدفعي .

خمس سنوات فقط

في فترة خمس سنوات فقط قام شير شاه بإعادة تنظيم نظام الإيرادات و

الإدارة و بنى طرقا واسعة مع 1700 بيت للاستراحة على امتداد الطرق التي جعلها آمنة للسفر ، كما قام بإعادة تنظيم نظام العدل و الجيش، والتغييرات التي نفذها شير شاه أصبحت أساسا للإدارة المغولية فيما بعد.

أخلافه

أخلاف شير شاه كانوا ضعافا فافسحوا المجال أمام همايون لاحتلال دلهي و لكن مهمة جعلها إمبراطورية مغولية قوية أنجزت على يد أكبر . كان بابر و أخلافه يعرفون كمغول في الهند و هم كانوا أتراكا مع الدم المنغولي.

الفصل السابع و العشرون

أكبر و جهانكير و شاهجهان

اكبر (1556-1605م)

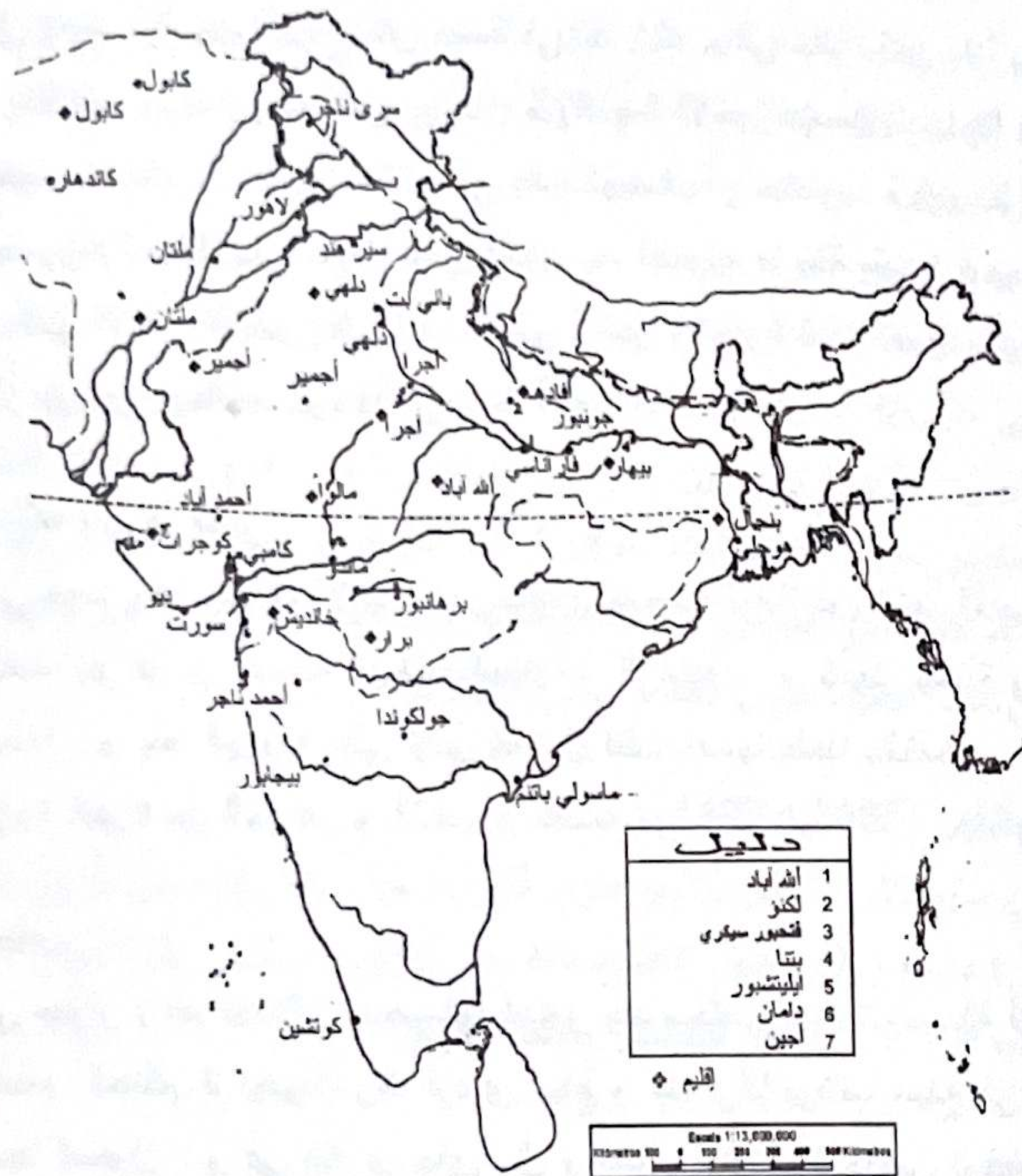
كان اكبر قد بلغ من العمر 13 سنة فقط عندما توفي أبوه همايون ، و في البدايه ساعده معلمه بيرم خان في إدارة الحكم . هزم بيرم خان هيمو في معركة باني بت الثانية عام 1556م . كان هيمو وزيرا لدى عادل شاه حاكم بنجال خلف آخر لشير شاه و حاول الاستيلاء على دلهي و آجرا. كما فتح بيرم خان أجمير و جواليار و جونبور و مناطق أخرى نيابة عن أكبر.

الحكم المستقل

سرعان ما أصبح بيرم خان مسيطرا و متكبرا للغاية . اعتزم أكبر أن يتخلص منه فألقى القبض عليه لتورطه في ثورة قصيرة و لكن عفاعنه. ذهب بيرم خان إلى مكة و لكن طعنه شخص بالخنجر و هو في طريقه. حاولت أم أكبر بالرضاعة " ماهام أناجا " و ابنها أحمد خان أيضا الهيمنة على أكبر . قتل أدهم خان وزير أكبر عن طريق قذفه على المتراس و اصبح أكبر يحكم الآن بصفة مستقلة .

الفتوح

فتح اكبر أراض من الشمال إلى دكن و من الغرب إلى الشرق .



الإمبراطورية المغولية في 1605م

باز بهادور و روب ماتي

كل واحد من هذه الفتوح كان قصة في حد ذاته . في مالوا كان باز بهادور و ملكته الجميلة روب ماتي يعشقان كل منهما الآخر عشقا شديدا فكانا يغنيان قصائد كل منهما للآخر في بلدة الهضاب – ماندو . لم يهتم باز بهادور بالحفاظ على جيش قوي فألحق به المغول هزيمة بقيادة أدهم خان، و ألقى الأخير القبض على روب ماتي و لكن الأخيرة قتلت نفسها، وأصبح باز بهادور فيما بعد موظفا في بلاط أكبر.

الملكة دورجا فاتى

في جوند وانا حكمت الأميرة دورجافاتى كوصية نيابة عن إبنها القاصر. و كانت بارعة في إصابة الهدف بالبندقية و الرماية ، و كانت جميلة و غنية أيضا . و بعد الهزيمة على أيدي المغول قتلت نفسها طعنا بالخنجر . أخذت ثروة كبيرة من الجواهر و الذهب و الفضة من عاصمتها .

شيتور

في ميوار رغم احتلال عاصمتها شيتور بعد محاصرة دامت ستة أشهر استمر الحاكم الراجبوت رانا اوداى سينغ و ابنه رانا برتاب سينغ فى القتال ضد المغول . و فى ذكرى جاى مال و باتا ، جنديين شجاعين توفيا دفاعا عن شيتور نصب أكبر تمثالين فى آجرا .

تشاند بى بى

في دكن دافعت الملكة تشاند بي بي عن أحمد ناجر و أبرمت اتفاقا مع المغول و لكن قتلت على أيدي نبلائها .

ملك عظيم

قام أكبر بمهمة قمع كثير من الثورات ، و على الرغم من كافة الحروب إلا أنه اكمل ووسع الإصلاحات الإدارية التي بدأها شير شاه . حكم أكبرعلى كافة رعاياه سواء بسواء فعين الراجبوت بمناصب رفيعة . كان بهاجوان داس و تودر مال و بير بال من بين الراجبوت البارزين في بلاطه . منح للحكام الراجبوت المحليين درجة من الاستقلال مع مواصلة الرقابة عليهم و ألغى ضريبة الجزية و أجرى مباحثات مع القديسين و النساك من كافة الأديان و قام بترويج دين جديد يدعى "دين إلاهي " الذي استعار أفضل العناصر من كافة الديانات . وأن الرقابة المركزية على الموانئ و الطرق ساعد كثيرا في التجارة . كانت أراضيه تتميز بتنظيم حسن و إدارة جيدة . كان ملكا عظيما بدون شك و توفى عام 1605م .

جهانكير (1605 –1627م)

كان سليم الابن الأكبر للإمبراطور أكبر قد خيب آمال أبيه عن طريق شن ثورة ضده و لكن أنجز الصلح معه عام 1605م . جلس على عرش الحكم بلقب نور الدين محمد جهانكير بادشاه غازي .

خسرو

بدأ خسرو وهو ابن جهانكير ثورة ضده و لكن لحقت به الهزيمة فأعمى و ألقي في السجن . كما قتل المعلم السيخي أرجون داس لصداقته مع خسرو.

ميوار

لقي أمار سينغ خلف رانا برتاب حاكم ميوار هزيمة في نهاية الأمر و لكن جهانكير عامله معاملة شرف و احترام و أعاد إليه شيتور و انتهى القتال بين المغول و ميوار بعد مائة سنة .

نور جهان

تزوج جهانكير من امرأة جميلة اسمها نورجهان و سبق أن تزوجت مع شير افغان حاكم بردوان في بنجال ، و عشقها جهانكير عند ما التقى بها في مركز تجاري .

يقول بعض المؤرخين إن نور جهان و أقاربها سيطروا على القوة الحقيقية خلف الستار خاصة بعد رداءة صحة جهانكير عام 1622م . توفى جهانكير عام 1627م و يقال إنه كان يشرب الخمر كثيرا .

شاهجهان (1628-1658م)

هزم الأمير خرم أخاه شهريار و احتل عرش الحكم عام 1628م و لقب نفسه بشاهجهان .

يعرف شاهجهان بحبه لممتاز محل و بإنشاء بنايات تذكارية عديدة و لكنه صرف مبالغ كثيرة في ذلك و في حملاته في شمال الغرب . و في عام 1657 أصبح مريضا و بدأ أبناؤه الأربعة يقاتلون فيما بينهم من أجل عرش الحكم .

الفصل الثامن والعشرون

أورنجزيب و انحطاط المغول

أبناء شاهجهان

كان دارا شكوه الابن الأكبر لشاهجهان محببا لديه أكثرمن غيره من الأبناء. و كان رجلا مثقفا و مولعا بالأفكار الصوفية . درس كتب الأبانيشد و ترجمها إلى الفارسية . وهزم أورنجزيب الابن الثالث لشاهجهان جميع إخوته و قتلهم وألقى أباه في السجن عام 1658م . توفى شاهجان عام 1666م .

أورنجزيب (1669 - 1707م)

الحروب و الثورات

أثناء حكمه قمع أورنجزيب عدة ثورات قام بها " الجات " و البنديلا و الساتنامي و السيخ و غيرهم ، و قتل المعلم السيخي التاسع - تيغ بهادور- و قاتل ضد المعلم العاشر جوبيند سينغ . كما قاتل ضد الراجبوت من حكام ماروار و ميوار .

أبرم أورنجزيب اتفاق الصلح مع ميوار و عين رانا جاي سينغ و هو من ميوار بوظيفة "منصب دار" (مسئول) و سمح له بالحكم بصفة مستقلة. و لكن القتال مع ماروار مازال مستمرا . كما قاتل ضد " آهوم" في شمال الشرق والقبائل المختلفة على الحدود الشمالية الغربية .

المراثا

خاض أورنجزيب عدة معارك ضد شيفاجي و غيره من المراثا في دكـن. واستمر المراثا في خلق المشاكل للمغول حتى بعـد وفـاة شـيفاجي عـام 1680م .

الدكن

في عام 1682م وصل أورنجزيب إلى أحمد ناجر و قام بضم بيجابور عام 1686 ثم اتجه نحو قلعة جولكوندا . و بعد محاصرتها لعدة أشهر نجح هو و جنوده في الدخول إلى جولكوندا بتقديم الرشوة إلى جنـدي مقابـل فـتح إحدى البوابات . لو أن أورنجزيب كان قد فتح أقاليم الدكن و لكن الحروب المستمرة مع المراثا نالت من قوة الإمبراطورية . أقام لمدة 25 سنة فـي الدكن خاض خلالها الحروب و توفى عام 1707م في أحمد ناجر .

امبراطور متدين و أرثوذكسي

كان أورنج زيب رجلا متدينا و أرثوذكسيا بكل معنـى الكلمـة . فـرض الجزية من جديد على غير المسلمين و دمر عدة معابد هندوسـية . يقـول بعض المؤرخين إنه فعل ذلك إذ أنه كان ضد الأديان الأخرى و كان يريـد إقامة دولة على أسس الشريعة الإسلامية بينما يقول البعض الأخر إن ذلـك ساعده في نيل الدعم من النبلاء المسلمين الأقوياء و كان يحتاج إليه للابقاء على حكمه. و على الرغم من أن علاقاته مع الراجبوت لـم تكـن جيـدة بالقدر الذي كانت علاقات المغـول الأوائـل معهـم إلا أن الـبعض مـن الراجبوت استمروا في شغل مناصب رفيعة لديه . ألغى الجزية في ميوار. ساعده جاي سينغ حاكم ،يوارفي اعتقال شـيفاجي . مـنح أورنـج زيـب معونات مالية لبعض الزوايا الهندوسية أيضا . و لكـن سياسـاته الدينيـة بالجملة جلبت له معارضة معظم الهندوس.

رجل متوحد و ممن

عاش أورنج زيب عيشا ساذجا وكان يصلي الصلوات الخمس يوميا و لم يكن يحب استعمال الخمر و الموسيقى أو الرقص لأن القرآن الكريم قد حرم كل ذلك ، و يقال إنه كان ينسخ القرآن و يخيط القلنسوات لجمـع المبالغ لكي تصرف في مراسيمه الجنائزية . و لم يكن يحب اسـتخدام أموال الدولة في ذلك و توفى وفاة شخص متوحد و كئيب و طاعن في السن .

امبراطوية واهنة

عند ما توفي كان الاقتصاد قد اصبح ضعيفا للغاية حيث صـرفت مبـالغ كثيرة أولامن قبل شاهجهان في انشاء مباني مهيبة ثم من قبل أورنج زيب نفسه في الحروب . وكانت فرق عديدة للراجبـوت و السـيخ و المراثـا تنتظرفرصة مناسبة لتعزيز قوتها و أصبحت شمال الغـرب بـدون دفـاع قوى، و أصبح من الصعب التحكم في إمبراطورية واسعة مثلهـا و كـان أخلاف أورنج زيب ضعافا جدا ، فتحول الأمر من السيئ إلى الأسـوأ . و سرعا ن ما أعلنت حيدرآ باد و بنجال و اودهـ و أريسا و بيهار استقلالها و كانت ممالك الراجبوت مستقلة بالفعل .

الغزاة

في عام 1739م قام نادر شاه بغزو الهند و تبعه أحمد شاه أبدالي ، و هـذه الغزوات كانت مدمرة حيث قتل نادر شاه الذي كان من فارس مالا يقل من 20 ألف شخص في دلهي، و حتى أنه أخذ معه عرش الطاؤوس الشـهير للإمبراطور شاهجهان و ماسة كوه نور. أما أبدالي فشن عـدة غـزوات و حتى أنه ألحق الهزيمة بالمراثا .

انتهاء إمبراطورية المغول

لم يول النبلاء في بلاط المغول اهتماما بارساء إدارة فعالة ، و في غضون ذلك بدأ التجار الأوروبيون في القتال من أجل الاستيلاء على الأراضـــي ، وحصل البريطانيون على القوة عند ما تعرض الحكم المغولي للانحطاط .

الفصل التاسع والعشرون

المراثا و السيخ

في عصر الإمبراطورية المغولية ظهرفريقان قويان على الساحة ، أحدهما في الدكن و الآخر في الشمال.

شيفا جي و المراثا

كان المراثا يسكنون في الدكن في منطقـــة مهاراشـــترا الحاليـــة و شـــمال كرناتكا، و لم يكونوا ينتمون إلى مجموعة خاصة ، و لكنهم كانوا يتحدثون بنفس اللغة ، و هي اللغة المراثية ، و كان في بيجابور جيش مكون من 30 ألف جندي مراثي .

ورث شيفا جي و هو مراثي أرضا قرب بونا عن أبيه شاه جي عـــام 1647م و فتح أيضا بعض الحصون المجاورة و استولى على مناطق كثيرة من مملكة بيجا بور و دبر قتل أفضل خان وهو مسئول من بيجا بور كـــان قد كلف باعتقاله .

أرسل شايسته خان الحاكم المغولي للدكن لهـــزم شـــيفا جـــي ولكـــن الأخيرهاجم معسكره ليلا فجرحه و قتل أبنه .

زيارة لأورنجزيب

ثم أرسل أورنجزيب راجه جاى سينغ لهزمه . ابرم راجا جاى سينغ اتفاقا مع شيفا جي واتفق الأخير على أن يذهب إلى بلاط أورنجزيـــب و لكنـــه شعر بالاهانة عند ما أهمله أورنجزيب فرفض أن يشغل وظيفة منصبدار و

لذا ألقى في السجن ، و لكنه رغم الحراسة المشددة فكر في خطوة للفرار من السجن . فبدأ يرسل سلات من الحلاوى و الفواكه إلى البراهمنة كل مساء لكي يدعو له الشفاء من المرض الذي تظاهر به ، و عند ما اصبح الحرس متعودين على مشاهدة ذلك ووقفوا فحص تلك السلات اختفى هو و ابنه في سلة فارغة و هربا من السجن .

رجل شهير يحظى بالشعبية

كانت تحكى قصص عديدة عن شيفا جي في البيوت المراثية ، و منها ما يتعلق بحماسه و شجاعته و قدرته للانتصار على أي شخص واحتياله ، فقال البعض إنه يملك قوة سحرية . جاء عدد من الناس للانخراط في جيشه بمن فيهم بعض الأفغان . و في عام 1674م قام بتنصيب نفسه ملكا لراج جاره و انتصر على جينجي و فيلور من بيجا بور و استولى على أراضى ايكوجي و هو أخ غير شقيق له . توفى شيفا جى عام 1680م بعد أن كان مريضا . انشأ نظاما جيدا للإدارة و قام بتنظيم جمع الضرائب و حشد جيشا قويا فعالا. كان يدعو نفسه حاميا للهندوس و كان متسامحا تجاه كافة الأديان و قام بتوظيف عدد من المسلمين . كان يحظى بشعبية لدى الناس .

شامبهاجى

شامبهاجى ابن شيفاجى لم يكن رجلا فعالا . أعطى اللجوء لابن أورنجزيب – أكبر– و لكن لم يساعده في القتال ضد أورنجزيب . و في عام 1689م قتل شامبهاجى على أيدي المغول ، فتم تنصيب أخيه الصغير راجا رام ، ملكا ، و بعد وفاة راجا رام عام 1700م قاتلت أرملته تارا باى و شاهو ابن شامبهاجى من أجل السلطة .

شاهو و بيشوا

في ظل حكم شاهو اصبح بيشوا أو كبار الوزراء أقوياء . قام بيشوا باجى

راو (1702 – 1740م) بنهب الأراضي حتى دلهي، و نال مالوا و قدرا كبيرا من المبالغ من الإمبراطور المغولي . و سرعان ما قام بيشوا بتوسعة سلطتهم من مالوا و كجرات إلى بونديل خاند . و حتى عام 1752 في عهد بيشوا بالاجى راو كان المراثا قد استولوا على الأراضي عبر الهند و ابرموا اتفاقا مع الإمبراطور المغولي احمد شاه . و كان لهم الحق في جمع الضرائب من كافة أنحاء الهند و مقابل ذلك كانوا يدعمون المغول عند احتياجهم لذلك .

معركة باني بت الثالثة

من جهة أخرى قام احمد شاه أبدالي الأفغاني بغزو الهند عدة مرات و دعمه في ذلك فريق من النبلاء . خاض المراثا معركة مع أبدالي في باني بت عام1761م و لم يتمكنوا من نيل الدعم من الراجبوت أو الحكام الآخرين لشمال الهند حيث أنهم كانوا يشعرون بالتهديد من المراثا . و ماكان الرؤساء المراثا أيضا متحدين ، فهزمهم أبدالي فيما يسمى المعركة الثالثة لباني بت . تقلصت قوة المراثا و جاء هذا أيضا كعامل مساعد في نهوض البريطانيين .

السيخ

كان السيخ يشكلون فريقا كبيرا آخر تحدى المغول و كانوا أصلا مجموعة دينية و لكن أسسوا دولة لهم تدريجيا .

اصبح السيخ مجموعة قوية

عاش المعلمون الأربعة الأوائل بأسلوب ساذج منهمكين في الدراسة و مستغرقين في التأمل . و لكن المعلم الخامس الجورو ارجون داس اراد أن يظهر أن المعلم هو زعيم ديني و دنياوي معا . و لذا بدأ يعيش بأسلوب فاخر و شيد مباني ضخمة في أمرتسار و ارتدى أزياء جيدة و امتلك أفراسا

تم إحضارها من آسيا الوسطى وكان يضع الخدم و الحراس قريبا منه و بدأ يجمع الأموال من السيخ .

حدث النزاع بينه و بين جهانكير عند ما دعم ابنه المتمرد خسرو.

بدأ السيخ في تنظيم جيش لهم ، فحشد هارجوبيند داس ابن المعلم ارجون داس جيشا صغيرا و هزم جيش المغول قرب امرتسار عام 1628م . قتل تيغ بهادور المعلم التاسع للسيخ من قبل أورنجزيب عام 1678م بسبب رفضه لتبديل دينه . انتصر الجورو جوبيند سينغ المعلم العاشر و الأخير في بعض المعارك ضد المغول و حكام الجبال ، و هكذا اكتمل التغير حتى عهد المعلمين التاسع و العاشر (الجورو تيغ بهادور و الجورو جوبيند سينغ) . امتلك السيخ بعض المناطق و جيشا قويا و خاضوا حروبا مع المغول و أيضا مع بعض الأقاليم الجبلية .

بعد المعلم العاشر

بعد وفاة الجورو جوبيند (1708م) انتقلت قيادة السيخ إلى تلميذه باندا بهادور و بعد ذلك في الفترة من 1765م و 1800 عند ما كانت الهند في حالة من الارتباك بعد غزوات نادر شاه و احمد شاه أبدالي استولى السيخ على مناطق بنجاب و جمون ، و نظموا أنفسهم في 12 فريقا . و في البداية كان جميع السيخ متساوين و لكن بدأ رؤساء أقوياء يظهرون فيما بعد تدريجيا .

رنجيت سينغ

سرعان ما أصبح رنجيت سينغ أقوى قائد و احتل لاهور، امرتسار، كشمير ، بيشاور و ملتان و تحكم في البنجاب . و يقال إنه كان لديه ثاني أفضل جيش في آسيا بعد جيش شركة إيست انديا الانكليزية ، شركة

تجارية أرست قاعدة لها في الهند ، و الناس من كافة أنحاء شمال الهند بمن فيهم المسلمون انضموا إلى جيشه و احترم كافة الأديان ، و يقال إنه كان يمسح قدمي القديسين المسلمين الذين كانوا يزورونه بلحيته الطويلة البيضاء .

و تدريجيا استولى البريطانيون على كافة الأراضي للسيخ و التي كانت في منطقة البنجاب غير المقسمة و في كشمير ، و تم الاستيلاء على بعضها حتى قبل وفاة رنجيت سينغ عام 1839م و على بقيتها بعد وفاته .

الفصل الثلاثون

الحياة في الهند في عصر المغول

الإدارة

قام أكبر بإعادة تنظيم الإدارة و استمر نظامه حتى انحطاط الإمبراطورية المغولية . وكان بعض الإصلاحات التي نفذها مبنية على أفكار شير شاه . كان هناك أربعة مسئولين رئيسيين متساوين في الأهمية ، و هم كالآتي :

- ديوان أو وزير و هو مسئول عن جمع الإيرادات
- مير – بخشي ، مسئول عن الجيش
- مير – سامان، مسئول عن المئونات و اعمال الأسرة المالكة
- قاضي أو رئيس نظام القضاء

منصبدار

كان المنصب يعنى وظيفة أو منزلة ، و حملة المناصب كانوا يحملون مراتب من عشرة إلى عشرة آلاف ، فمن كمان يحمل 10 مراتب كان مسئولا عن 10 فرسان و 10 أفراس و الذي كان يحمل مرتبة عشرة آلاف كان مسئولا عن عشرة آلاف فارس و فرس ، و كانت لكل منصبدار واجبات معينة ، فحملة 5000 إلى 10000 مرتبة كانوا يعدون نبلاء رفيعي المكانة و أمراء ملكيين . و كان معظمهم يكلفون بواجبات عسكرية و كانوا يحافظون على الأفيال و الجمال و الأفراس و الجنود . كان منصبدار مع مرتبة 5000 يتلقى 30000 روبية شهريا و يصرف نصف ذلك المبلغ

على الحيوانات و الجنود في منطقته ، و كان فارس (سوار) يتلقى 20 روبية شهريا . كانت الأفراس قد أحضرت من البلدان العربية و العراق . بدأ نظام وسم الأفراس من قبل علاء الدين الخلجي و استمر نظام تدوين سجل أو قائمة للجنود .

النبلاء

عاش الإمبراطور المغول و النبلاء في جو من الترف و الرخاء الكبيرين في بيوت فخمة ذات الحدائق و أشجار الفواكه و الجداول ، و كانوا يجلبون الفواكه من بخارا و سمرقند و يرتدون الملابس و الجواهر الثمينة الغالية .

الايرادات

تم إعادة تنظيم نظام الإيرادات مع دراسة دقيقة للأراضي و فرضت الضرائب حسب نوعية الأرض و كمية المحاصيل التي تنتج فيها .

الاقطاعيون

في القرى كان الإقطاعيون يتمتعون بحقوق الإرث فيما يتعلق بجمع ضرائب الأرض ، و كان الإقطاعيون يملكون جيوشهم الخاصة و يسكنون في الحصون أحيانا كثيرة .

الأقاليم

كانت الإمبراطورية مقسمة أيضا إلى أقاليم أو صوبا ثم إلى سركار و برجنا . و أثناء حكم اكبر كانت هناك 12 دائرة رئيسية تدعى " صوبا " و من بين المسئولين المحليين كان " فوجدار " و هو مسئول عن وضع القانون و النظام و " عمل كزار " المسئول عن جمع الإيرادات .

الفلاحون

مازال الفلاحون الكادحون في حالة الفقر حيث كان حوالي نصف المحاصيل يؤخذ منهم كضريبة الأرض .

أكبر من لندن

كانت هناك مدن كبيرة عديدة في ذلك الوقت . قال مونسيراتي كاهن برتغالي جاء إلى الهند في عهد أكبر إن لاهور كانت مدينة كبيرة تساوى حجما أي مدينة كبيرة في أوروبا أو آسيا ، و قال "رالف فيتش" رجل انكليزى جاء من لندن أثناء حكم أكبر إن آكرا و فتحبور سيكري كانتا اكبر من لندن . وكانت احمد آباد أيضا مدينة كبيرة مثل لندن بينما كانت دلهي مدينة كبيرة و مترفهة ، وكانت دكا و راج محل و ملتان من بين المدن الكبيرة الأخرى .

البلدات الأخرى

كانت هناك بلدات صغيرة كثيرة أخرى ظهرت حول بيوت الاستراحة التي بنيت على امتداد الطرق أو الأسواق المحلية .

كان تعداد السكان المحليين للهند حوالي 125 مليون نسمة بينما كان تعداد سكان بلدة مثل بتناحوالي مائتي ألف شخص .

الحرف و التجارة

قام التجار البرتغاليون و الهولنديون و الإنكليز بترويج أشكال جديدة للتجارة. كانت النيلة و المنسوجات والتوابل و خام الحرير والسكر و الملح الصخري من بين المواد التي كان يصدرها التجار الهولنديون و الإنكليز، و من بين هذه المواد كانت المنسوجات أكثرها أهمية ، و الهند لم تستورد السلع بالقدر الذي كانت تصدرها و بدلا من السلع كانت تتلقى كمية

ملحوظة من الذهب و الفضة وكان ذلك يستخدم من قبل الملوك و النبلاء الذين كانوا يعيشون عيش الرخاء و الترف فضلا عن استخدام تلك الأموال في الحروب . و في الوقت ذاته ارتفعت الأسعار في الهند . فحاول التجار الأجانب أن يبدعوا طرقا لكسب المال داخل الهند فأرادوا أن يتحكموا في أراضيها و إيراداتها للدفع عن صادراتهم من الهند نفسها . و نجحوا في ذلك بانحطاط الدولة المغولية .

الزراعة

تم توسعة الزراعة إلى أراض جديدة وبإنتاج محاصيل جديدة أيضا ، و لكن التقنية الزراعية لم تسجل تطورا جديرا بالذكر .

بالجملة كان الاقتصاد في حالة الازدهار في أوائل القرن السابع عشر،و حتى حلول القرن الثامن عشر تعرض للانحطاط و الركود و لم يعد معدل النمو سريعا للحد المطلوب .

الفن و هندسة العمارة

الحدائق

بنى المغول حدائق ذات جداول المياه الجارية و بعض تلك الحدائق وهي نشاط باغ في كشمير و شاليمار باغ في لاهور و غيرهما في بنجاب و دلهي مازالت تتواجد حتى الآن .

الحصون

قام شير شاه ببناء حصن يدعى اليوم القلعة القديمة في دلهي . استخدم أكبر الأحجار الرملية في بناء الحصون في آجرا و فتحبور سيكرى و كان الأخير مزينا بالقراميد الزرقاء المزججة ، و مدخله عبارة عن بوابة ضخمة تدعى

" بلند دروازه" (الباب الرفيع) و اكثر هذه الحصون شهرة القلعة الحمراء و بناها شاهجهان في دلهي و هي تحوى قاعتين كبيرتين مزينتين بصورة رائعة للاجتماعات العامة و هما ديوان عام و ديوان خاص .

و مازالت القلعة الحمراء تستخدم حتى الآن لغرض إقامة الجنود في بعض بناياتها .

المساجد

تعد المساجد التي بناها شاهجهان أجمل المساجد في الهند و منها جامع موتى في آجرا الذي بنى بالرخام الأبيض مثل التاج محل ومازال الجامع الكبير في دلهي يستخدم للعبادة حتى الآن وقد استخدمت الأحجار الرملية في بنائه .

الضرائح

بنيت ضرائح عديدة و منها ضريح همايون الذي شيد أثناء حكم اكبر في دلهي و التاج محل الذي بناه شاهجهان تذكارا لزوجته ممتاز محل في آجرا، واستخدم شاهجهان أحجارا شبه كريمة مرصعة في الحجر أو الرخام لصنع التصميمات على نطاق واسع في بناء التاج محل و البنايات الأخرى.

كان الضريح عادة غرفة كبيرة مربعة الشكل مع قبة على رأسها ومحراب في الجدار الغربي . و كان المحراب فجوة في الجدار وكان دائما في الاتجاه الغربي و هو اتجاه مكة المكرمة . أما قبر الشخص المختص فكان تحت الأرض ، و كانت الضرائح الكبيرة تحتوى على مساجد و تبنى في وسط الحدائق .

استغرق بناء التاج محل 22 سنة و كلف 30 مليون روبية أي ما يعادل 9 مليارات روبية في الوقت الحاضر .

عرش الطاؤس

صنع شاهجهان عرشا فخما أيضا ، و عند ما اصبح ملكا خصص كمية من الجواهر و الأحجار الكريمة البالغة قيمتها عشرة ملايين روبية لاستخدامها في العرش ، و ظل نخبة الحرفيين البارعين يعملون لسبع سنين طوال لصنع هذا العرش ، و كل جزء منه كان مرصعا بتصميمات مصنوعة من أحجار الياقوت و الزمرد و الماس وعلى رأسه طاؤس كبير مصنوع من الياقوت الأزرق و أحجار كريمة أخرى .

و أخذ نادر شاه معه ذلك العرش عند ما قام بغزو الهند .

مباني أخرى

"جول جومباز " (القبة المدورة) التي يبلغ قطرها 44 مترا بنى من قبل محمد على شاه حاكم بيجا بور ، و القبب المصنوعة في مملكة قطب شاهي و منها المنارات الأربع مع مداخلها المقنطرة الأربعة تعد من المباني الممتازة . و يمكن مشاهدة هذه المباني و قلعة جولكوندا في حيدرآباد و جوارها بولاية آندهرا براديش

الرسم

اللوحات التوضيحية المصنوعة للكتب و المنسوخة على أوراق النخلة أدت إلى تطور الرسوم الصغيرة . و هناك أنماط مختلفة لتلك الرسوم التي تصور الملوك و مشاهد البلاط و الصيد و المواسم والطبيعة والحيوانات وما إلى ذلك . و هذا النوع من الرسم تطور في مالوا و كجرات في القرن الخامس عشر و ازدهر أثناء حكم كل من أكبر و جهانكير و شاه جهان . ثم تطورت أنماط جديدة في راجستهان وجبال البنجاب و هماتشل براديش و جارهوال و توجد بها لوحات عديدة لرادها و كرشنا و الألحان و الموسيقى.

الموسيقى

تطور الأسلوب الهندوستاني للموسيقى و هو مزيج للأساليب الهندية و الفارسية . و ثمة قصص كثيرة عن تانسين اشهر الموسيقارين في بلاط الإمبراطور أكبر . و يقال إنه كان يقدرعلى اضاءة السراج أو جلب المطر أو إشعال النار من خلال ألحانه و غنائه . كيف أمكن ذلك يا ترى ؟ تقول النصوص القديمة إن لحنا يتميز بقدرة كهذه لو يتم أداؤه بمهارة استثنائية . فكان للحن " ديبك " (السراج) قدرة على إضاءة سراج و يبدو أن تانسين كان مغنيا بارعا للغاية .

المعرفة و الأدب

التعليم

كانت هناك مدارس عديدة توفر التعليم الأساسي في القراءة و الكتابة و الرياضيات. و كانت مراكز التعليم العالي و المدارس تنتشر عبر البلاد و كانت تدرس فيها مواد عديدة مثل الأدب و اللغة و القانون و الدين و الفلسفة والمنطق ، و لكن التكنولوجيا والعلوم كانت موضع إهمال ، و معظم النسوة كن أميات ما عدا بضعة من الطبقات العالية .

الأدب

ألفت كتب عديدة باللغة السنسكرتية و الهندية و اللغات الإقليمية و تطورت الأردية و هي مزيج من الفارسية و الهندية كلغة مستقلة في ذلك الوقت . و في الجنوب تطورت مليالم أيضا كلغة مستقلة .

بيانات تاريخية

تصف مجموعة ذكريات بابر و عنوانها " تزك بابري " كل ما شهده و فعله

بابر في الهند . و كتب أبو الفضل الذي عاش في بلاط الإمبراطور أكبر " أكبر نامه " و " آئين أكبرى " و صف فيهما الحياة كما كانت في عصر أكبر . و ألفت كتب أخرى حول همايون و شاهجهان و أورنجزيب و المغول المتأخرين و الممالك الإقليمية . و " تاريخ ألفى " باللغة الفارسية كتاب في التاريخ يغطي ألف سنة و كتبها عدة علماء و على رأسهم ملا احمد و آصف خان .

التراجم

ترجمت أعمال سنسكرتية في الفارسية و منها " مهابهارتا " و " رامايانا " و " الأبانيشاد " و" بهاجافاد جيتا ".

الكتب المؤلفة باللغة الهندية

عاش علماء اللغة الهندية و شعراؤها في بلاط أكبر، و منهم بيربل و راجا مان سينغ و بهاجوان داس و غيرهم . و كان عبد الرحيم خان خانان وهو إبن بيرم خان و تربى تحت رعاية اكبر شاعرا جيدا .

و في ذلك الوقت كتب تلسي داس " راماشاريت ماناس " حول حياة راما ، كتاب في التصوف ، و كان هناك قديسون آخرون ينتمون إلى حركة البهاكتي أو الذين كانوا يؤمنون بالوصول إلى الله من خلال التفاني في العبادة و هم كتبوا و تحدثوا في اللغات الإقليمية .

نهاية عصر

كان ذلك عصرا غنيا مزدهرا لو أن أواخره شهدت حروبا كثيرة و حالات من الفوضى ، و بدأ عصر جديد بظهور الحكم البريطاني في الهند .

الفصل الحادي والثلاثون

التطورات الدينية الرئيسية في الفترة بين 1200 و 1750م

السيخية

كلمة السيخ مشتقة من الكلمة السنسكرتية " شيشيا " أو الكلمة البالية "سيكها " و التي تعني الحواريين ، و إن السيخ حواريون أو اتباع للمعلمين العشرة و كان أولهم الجورو نانك .

الجورو نانك و المعلمون الآخرون للسيخ

ولد الجورو نانك في تالوندي قرب لاهور (حاليا في باكستان) عام 1469م وأعلن دينا اصبح يعرف فيما بعد بالسيخية . و عرف اتباع نانك بتسمية "نانك بانثي" ، و كان الله عند الجورو نانك سرمديا غير متغير و بدون شكل و من لا يمكن معرفته . و استعمل أسماء إسلامية و هندوسية معا لله و هي الله ، خدا ، راما و جوفيندا ، و لكن الاسم الحقيقي(نام) عنده كان في قلب الإنسان . و إنه جمع بين الأفكار الصوفية و أفكار البهاكتي و كان من اتباعه الهندوس و المسلمون . كان هناك تسعة معلمين آخرين للسيخ بعد الجورو نانك وهم الجورو انجاد ، الجورو أمر داس ، الجورو رام داس ، الجورو ارجون داس ، الجورو هارجوبيند ، الجورو

هارراى ، الجورو هار كيشان ، الجورو تيغ بهادور و الجورو جوبيند سينغ . توفى المعلم الأخير عام 1708م و تم جمع تعليماتهم في كتاب اسمه "الجورو جرانث صاحب " . قال الجورو جوبيند سينغ إنه يجب ألا يكون هناك معلم آخر بعده و لكن هذا الكتاب سيكون معلما . و توجد فيه 6000 بيت و هو لا يحتوى على كلمات المعلمين فقط بل يحتوى على كلمات القديسين الآخرين أيضا مثل كبير و رام داس .

الإسلام

الإسلام دين للمسلمين و هي كلمة عربية تعني الاستسلام أمام مشية الله ، و أعلن هذا الدين من قبل محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي ولد في مكة في شبه الجزيرة العربية في حوالي 570 م و تلقى رسالة من الله وعرضه أولا على زوجته ثم نشره بين الآخرين .

أثر الإسلام في الهند منذ أن وصل العرب أولا إلى السند . يؤمن المسلمون بالله الواحد و كان محمد (ص) رسولا له ، و تعاليم الإسلام محفوظة في القرآن الذي يحتوى على قوانين الحياة للناس . يعتبر كافة الناس متساوين في الإسلام وهولا يميز بينهم على أسس طائفية أو طبقية ، و لا توجد فيه طقوس أو عبادة التماثيل و الأصنام . تدريجيا ظهرت هناك فرقتان رئيسيتان وهما أهل السنة و الشيعة ، و الفارق الرئيسي بينهما يتمثل في وجهة نظرهما حول مسألة الخلافة بعد وفاة النبي محمد (ص) ، فيرى أهل السنة أن الخليفة يجب أن يكون من قبيلة قريش (قبيلة للعرب في مكة كان الرسول ينتمي إليها) ، و لكن الشيعة يعتقدون أن على(رض) و أخلافه فقط هم خلفاء حقيقيون . كان على (رض) ابن عم محمد (ص) و ختنه أيضا . كان معظم الملوك المغول من أهل السنة بينما حكام الدكن كانوا من الشيعة ، وكانت تحدث نزاعات بين الفرقتين من

حين لآخر .

الصوفية

ظهرت في الإسلام فرقة أخرى تدعى فرقة الصوفية ، و هم كانوا يعتقدون بالحب و التفاني أو البهاكتي كطريقة للوصول إلى الله و حاولوا تحقيق نقاء باطني و الوحدة الباطنية مع الله . كانوا متسامحين تجاه كافة الأديان . كانت هناك فرق مختلفة للصوفية أيضا . جاء كثير من الصوفية القديسين إلى الهند و منهم الخواجه معين الدين شيشتى (الذي استوطن أجمير) و نظام الدين أولياء ، و يوجد ضريحاهما في أجمير و دلهي على وجه الترتيب . و هم كانوا يحترمون من قبل كافة الطوائف و يزور ضرائحهم ألوف الهندوس و المسلمين يوميا ، و كانت أفكارهم مماثلة لأفكار القديسين المنتمين إلى حركة البهاكتي .

حركة البهاكتي

استمرت حركة البهاكتي في النمو و التطور ، و اختار بعض القديسين ميزة معينة لله لغرض الحب و العبادة . فعبد رامانندا في شمال الهند راما و سيتا ، و قام تشيتانيا من بنجال و ميرا باى من راجستهان بعبادة كرشنا بينما كان توكا رام من مهاراشترا يعبد فيثوبا و هو شكل من أشكال فيشنو . و تحدث الأخرون مثل كبير من الشمال و دادو من كجرات عن أحدية الجميع . لم يكن كبير يؤمن برحلة دينية أو الحج أو زيارة المعابد أو المساجد و قال إن الله الحقيقي هو في باطن الإنسان و اعتقد كذلك بالأحدية.

قبل القديسون من حركة البهاكتي بجميع الناس بصرف النظر عن خلفيتهم . فكان توكا رام من طائفة شودرا و ناموديف خياطا و لصا تحول

فيما بعد إلى قديس لهذه الحركة . أما كبير فكان حائكا .

التقاليد

مازال البراهمنة الأورذكسيون موجودين و استمر نظام الطوائف و الطرق التقليدية للعبادة في هذا العصر أيضا . فكان الناس يعبدون فيشنو و شيفا و بالى و دورجا و الآلهة و الالاهات الأخرى . و في المعابد كان البراهمنة يؤدون الطقوس و العبادة . و لكن كانت هناك طرق مختلفة لفهم الإلاه.

الفصل الثاني والثلاثون

وصول الأوروبيين

على أثر انحطاط الإمبراطورية الرومية الأخيرة في القرن التاسع عشر الميلادي أصبحت التجارة الهندية مع أوروبا خاضعة لسيطرة العرب. كانت السلع تمر بمدينة القسطنطينية التي احتلها الأتراك العثمانيون عام 1453م. فاوقفوا التجارة عن طريق أوروبا واضطر التجار الأوروبيون للبحث عن طرق جديدة إلى الهند.

البرتغاليون

في عام 1948م نجح فاسكو دي جاما وهو من البرتغال في البحث عن طريق بحري إلى الهند و امتد نفوذ البرتغاليين على اكثر من 19000 كم من الخط الساحلي للهند . و لكن البرتغاليين خسروا معظم أراضيهم سوى جوا حتى نهاية القرن السابع عشر و حل محلهم الهولنديون و البريطانيون.

الهولنديون

استولى البريطانيون على المستوطنات الهولندية تدريجيا.

البريطانيون

قام البريطانيون بتكوين شركة تجارية للتجارة مع الهند في 31 ديسمبر 1600م تدعى شركة ايست انديا.

كما بنوا حصونا حول مناطق بومباى و مدراس و كلكتا .

كانت بومباى جزيرة ذات مستنقعات استأجرتها الشركة مقابل 10 جنيهات سنويا من الملك تشارلز الثاني . و كان الملك تلقاها كمهر عند ما تزوج من أخت ملك البرتغال . أما مدراس و كلكتا فكانتا قريتين . وظهرت

مجموعات من المستوطنات البريطانية حول هذه المناطق المحصنة.

الفرنسيون

انشأت شركة ايست انديا الفرنسية أولا مصنعا في سورت عام 1667م . و في عام 1742م تم تعيين دوبلكس موظف لشركة ايست انديا الفرنسية حاكما لبونديشري و كان يعتزم بناء امبراطورية في الهند . و كان الفرنسيون منافسين رئيسيين للبريطانيين في الهند .

الحروب البريطانية الفرنسية

في القرن السابع عشر حاول البريطانيون تمديد أراضيهم و تعزيز قوتهم و لكنهم لقوا هزيمة على يد أورنجزيب . كان البريطانيون و الفرنسيون يريدون توسعة قوتهم . وفي عام 1742م بدأت حرب في أوروبا بين انجلترا و فرنسا و سرعان ما امتدت إلى الهند . و في عام 1754 خاض البريطانوين و الفرنسيون حربا أخرى فيما بينهم في الهند .

حرب ثالثة

في عام 1756م هزم البريطانيون جيشا فرنسيا قويا كان يقوده جنرال فرنسي(كاونت دىلالي La) فطردت السفن الفرنسية من المياه الهندية . و في عام 1760م ألحق الجنرال البريطاني (إيركوتي) الهزيمة بالفرنسيين في واندي واش عام 1760م وتم احتلال بونديشري عام 1761م. و بعد ذلك خسر الفرنسيون معظم قوتهم في الهند .

وفاة كاونت دى لالي

ظل كاونت دى لالي سجينا في إنجلترا لعامين . ثم أعيد إلى فرنسا حيث جرت محاكمته و قتل بسبب هزيمته على أيدي البريطانيين . كان دي لالي في الواقع جنديا شجاعا و بعد مضى وقت على وفاته قامت فرنسا بتكريمه.

الثالث و الثلاثون

توسعة الاستيلاء البريطاني بفتح أراض جديدة

حتى هذا الوقت كانت بريطانيا قد هزمت معظم منافسيها الأوروبيين و بدأت في توسعة أراضيها

بنجال

سمح الإمبراطور المغولي فرخ سير لشركة إيست انديا عام 1717 م بالتجارة في بنجال بدون دفع الضرائب ، فنالت الشركة الرخصة لنقل السلع مجانا ، و تسبب ذلك في خسارة مالية لبنجال . استخدمت الشركة تلك الرخصة للتجارة الخاصة ، ثم قامت بتحصين كلكتا بدون إذن من نواب بنجال و فرضت الضرائب على دخول السلع الهندية إليها .



سراج الدولة

احتلال كلكتا

استولى سراج الدولة ، نواب بنجال، على المصنع البريطاني في قاسم

بازار و احتل "فورت وليم" عام 1756م .



روبرت كلايف

معركة بلاسي

بدأ البريطانيون في تدبير المكايد في بلاط سراج الدولة و قدم روبرت كلايف الرشوة إلى مسئولي سراج الدولة و أجبره على توقيع مايسمى "اتفاق على ناجر" و الذي نص على إعادة حقوق البريطانيين التي كانوا يتمتعون بها فيما سبق ، و لكنه كان يعرف أن سراج الدولة سوف لا يترك البريطانيين في حالة السلام و الهدوء و عليه وضع خطة لتنصيب مير جعفر ، نبيل قوي ، فتح كلايف كلكتا عام 1757م و قدم مطالب مستحيلة إلى سراج الدولة و اتهمه أيضا بخرق اتفاق على ناجر و عقد تحالف سرى مع الفرنسيين ، و لم يكن لهذا الاتهام أساس من الصحة ولكن كلايف أجبر سراج الدولة على خوض معركة . التقى الفريقان في بلاسي قرب مرشد آباد في يونيو 1757م . لم يكن ذلك معركة في المعنى الحقيقي للكلمة إذ أن معظم جيش نواب كان يقوده الخونة الذين تآمروا مع البريطانيين . و بينما خسر البريطانيون 29 شخصا خسر



مير جعفر

النواب 500 شخص . و ألقى القبض على النواب و قتل على أيدي الخونة.

ميرجعفر و مير قاسم

اختار البريطانيون مير جعفر ليجلس على عرش الحكم في بنجال و نالوامقابل ذلك الحق في التجارة الحرة في بنجال و بيهار و أريسا و حق الإقطاعية بمديرية 24 برجنا قرب كلكتا . دفع مير جعفر لهم 17 مليون و سبعمائة ألف روبية إضافة إلى الرشوة ، و استلم كلايف نفسه مليوني روبية بينما جمعت الشركة و موظفوها 30 مليون روبية بالجملة . و لكن استمرار الشركة في طلب مزيد من المبالغ أثار الغيظ لدى مير جعفر، و في عام 1760م تم الإطاحة به و تنصيب مير قاسم محله . كان مير قاسم والد زوجة مير جعفر و نبيلا قويا آخر ، فأعطى البريطانيين مزيدا من المبالغ وحق الإقطاعية في ثلاث مديريات أخرى قرب كلكتا مقابل تنصيبه.

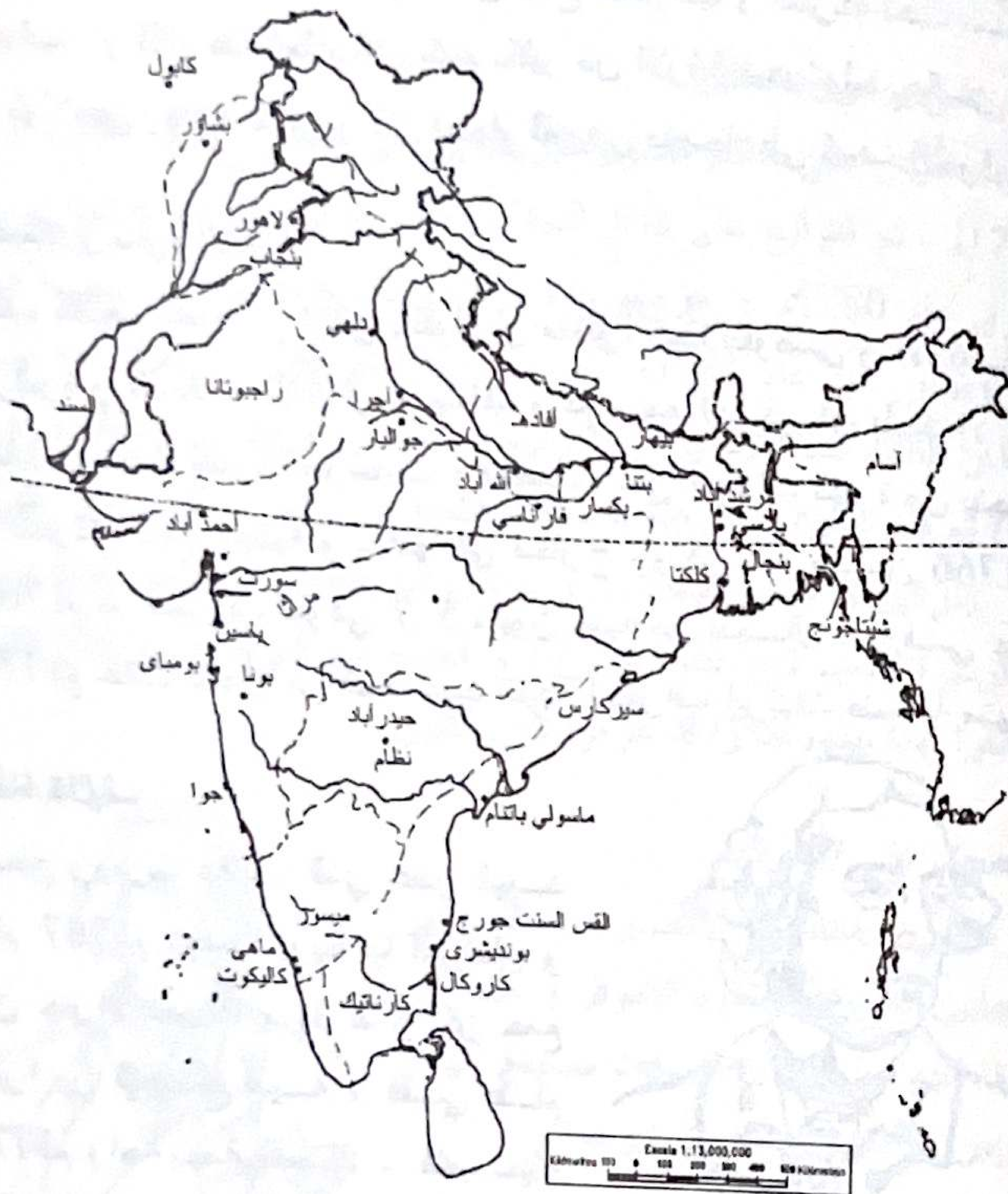
معركة بكسر

ازدادت الشركة طمعا و أجبرت المسئولين و الإقطاعيين الهنود على إعطاءها مزيدا من المبالغ و مارست الظلم ضد الفلاحين و الحرفيين . فقرر مير قاسم أن يقاتلهم ، و بعد هزيمته لبضع مرات ذهب إلى أفاده (أتر براديش) عام 1763م حيث عقد تحالفا مع شجاع الدولة نواب أفاده و الإمبراطور المغولي شاه عالم الثاني و قاتل ضد البريطانيين في بكسر في أكتوبر 1764م و لكنهم جميعا لقوا الهزيمة . هرب مير قاسم من المكان و لم يسمع عنهم أحد شيئا بعد ذلك . أما شجاع الدولة فأخذ اللجوء في روهيلخاند بينما أبرم شاه عالم اتفاقية السلام مع البريطانيين .

فتح بنجال

اضطر النواب لحل جيشه و إدارة بنجال عن طريق مسئول معين من قبل

البريطانيين . أعطى شاه عالم الثاني الشركة الحق في جمع الضرائب في بنجال و بيهار و أريسا و بالمقابل أعطته الشركة مديريتي كورا و الله آباد في إقليم أفاده و مبلغا كمعاشات التقاعد ، فعاش في حصن الله آباد لمدة ست سنوات . أما شجاع الدولة فدفع للشركة خمسة ملايين روبية .



الهند في 1765م

و في بنجال سيطرت الشركة على الإدارة بوجه غير مباشر و تحكمت في جمع الضرائب بوجه مباشر ، و هكذا أصبحت تملك صلاحيات بدون مسئولية.

حكومة ازدواجية

كان هذا النظام يدعى الحكم الإزدواجي . فكان كلايف يتحكم في السياسة الخارجية والجيش و الخزانة بينما كان جمع الضرائب و الشركة تحت سيطرة النواب . و لكن هذا النظام كان يتسم بكثير من الارتباك حيث لم يكن أحد مسئولا عن رفاهية الناس و كان اهتمام الفريقين منصبا على كسب الأموال .

الفساد و سوء الإدارة

كتب كلايف نفسه : " اكتفى بالقول إن منظرا كهذا للفوضى و الارتباك و الرشوة و الفساد و الابتزاز لم يشاهد و لم يسمع أبدا في أي بلد إلا في بنجال . فعلت الشركة ما شاءت ، فحصلت على إيرادات كبيرة من بنجال و اشترت السلع الهندية و باعتها في الخارج . و في الفترة بين 1766م و 1768م تم استنزاف حوالي 7, 5 مليون جنيه من بنجال . و في عام 1770م عانت بنجال من قحط شديد نتيجة استنزاف إيرادات ضخمة منها .

وفاة كلايف

اصبح روبرت كلايف الذي غادر الهند عام 1767م عضوا بريطانيا للبرلمان و كان جنرالا شجاعا و بارعا و لكن جمع كثيرا من المبالغ لديه ، ففي عام 1773م واجه تهمة الفساد ، فاصابته الكآبة الشديدة و قتل نفسه بقطع حنجرته بسكينة جيبية .



وارن هاستينجز

وارن هاستينجز

في غضون ذلك اطلع البرلمان في انجلترا على نشاطات الشركة و تورطها في الفساد فاقر قانونا تنظيميا عام 1773م فوض بذلك الشركة لإدارة الأراضي . تم تعيين وارن هاستينجز حاكما عام 1772م و نال لقب الحاكم العام عام 1774م و بقي في ذلك المنصب حتى عام 1785م .

حيدرعلي و تيبو سلطان

حارب حيدر علي حاكم ميسور البريطانيين في الفترة من 1766 إلى 1769م . تم التوقيع على اتفاق للسلام و لكنه بدأ يحارب البريطانيين مرة اخرى عام 1780م و هزمهم عدة مرات و لكنه أصيب بهزيمة في بورتونوفو في عام 1781م . و بعد وفاته عام 1782م واصل ابنه تيبو سلطان القتال ضد الإنكليز . وقع تيبو سلطان و البريطانيون اتفاقا عام 1784م قام الطرفان بموجبه بإعادة ما فتحاه من أراض . كان حيدر على و تيبو جنرالين و جنديين ممتازين ، و لكن البريطانيين استخدموا الدبلوماسية و الرشوة لكسب تأييد نظام حيدرآباد و الصلح مع المراثا ، ولو كان الثلاثة تحالفوا فيما بينهم لكانوا قد هزموا البريطانيين .

الحصول على الأموال

أكره وارن هاستينجز الأمراء و النوابين المحليين على أن يعطوه الأموال و هكذا أخذ مبلغا كبيرا من الأمير شايت سينغ أمير بنارس و أميرة افادهـ و غيرهما .



اللورد كورن واليس

أسرة روهيلا

دعم وارن هاستينجز نواب افادهـ و شجاع

الدولة في هزم أسرة روهيلا و مقابل ذلك دفعه شجاع الدولة حوالي أربعة ملايين روبية .

اللورد كورنواليس
(1786-1793م)

اصبح اللورد كورنواليس الحاكم العام الثاني ، فقام بتنفيذ إصلاحات إدارية و خاض حربا أخرى ضد تيبو سلطان .

الحرب الثالثة بين ميسور و الانكليز

بدأت الحرب عام 1789و قاتل تيبو سلطان بشجاعة بالغة و لكنه لاقى الهزيمة عام 1792م . و بحكم اتفاق سيرنجاباتام خسر تيبو نصف أراضيه و دفع ثلاثة ملايين روبية للبريطانيين ، فاصبح البريطانيون القوة الرئيسية في الجنوب.

الرابع و الثلاثون

توسعة متزايدة من ويلزلي إلى دلهوزى

تحالف فرعى

اصبح اللورد ويلزلي حاكما عام 1798م فقرر إخضاع أقصى ما يمكن من المناطق للحكم البريطاني و من أجل ذلك عقد تحالفا فرعيا يسمح بموجبه حاكم إقليم هندي بنشرجنود بريطانيين في إقليمه و قدم مبلغا يصرف عليهم . و كان مندوب بريطاني يقيم في الإقليم لتامين أن الحاكم يتمسك بالسياسات التي يريد تنفيذها البريطانيون . و عمليا خسر الحاكم استقلاله تماما لو أن الجنود البريطانية كانت موجودة هناك نظريا لحماية الحاكم المحلى . و لم يكن ممكنا له أن يعارض بريطانيا إذ أن الجيش الهندي كان قد تم حله ، فخسر الجنود الهنود وظائفهم و صار الكثيرمنهم لصوصا ، وهكذا أمكن للبريطانيين أن يحافظوا على جيش كبير بدون أي تكاليف .

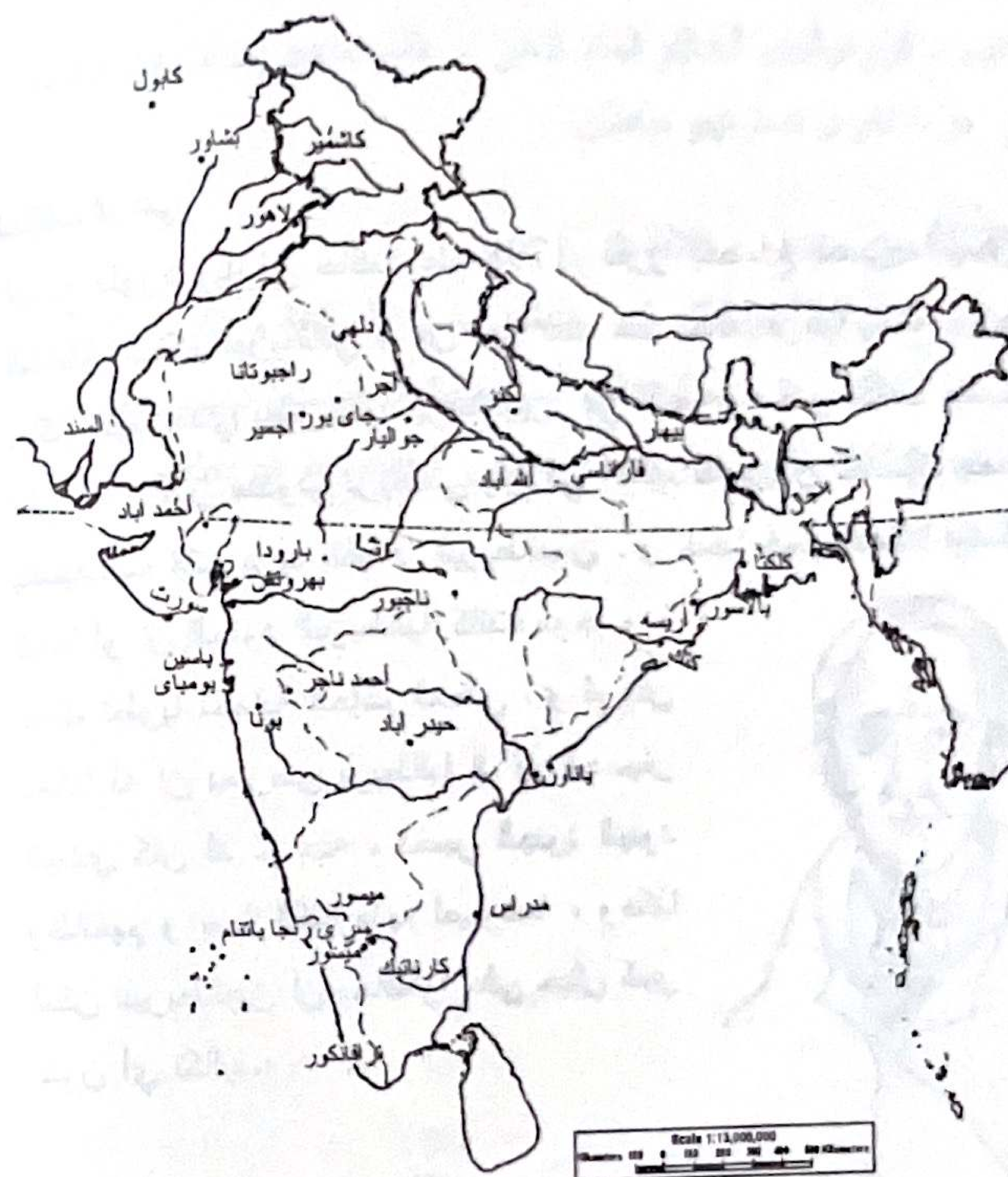


اللورد ويلزلي

الاستيلاء على مزيد من الأقاليم

تم التوقيع على أول اتفاق للتحالف مع نظام حيدرآ باد عام 1798م . و أجبرنواب افاده

للتوقيع على اتفاق مماثل عام 1801م و لكن تيبو سلطان رفض التوقيع على أي اتفاق و مات و هو يقاتل في سيرنجاباتنام عام 1799م و تعرضت عاصمته للنهب و وزعت أراضيه بين النظام و البريطانيين . تمت السيطرة على الأقاليم الأخرى أيضا .



الهند في 1805م

أسرة المراثا

بعد ذلك تحول اللورد ويلزلي نحو المراثا ، و كان هناك خمسة رؤساء كبار لهذه الأسرة : بيشوا فى بونا و جايكواد فى بارودا و سينديا فى جواليار و هولكار فى اندور و بهونسلى فى ناجبور . جرت معارك عديدة بين هولاء الرؤساء و البريطانيين .

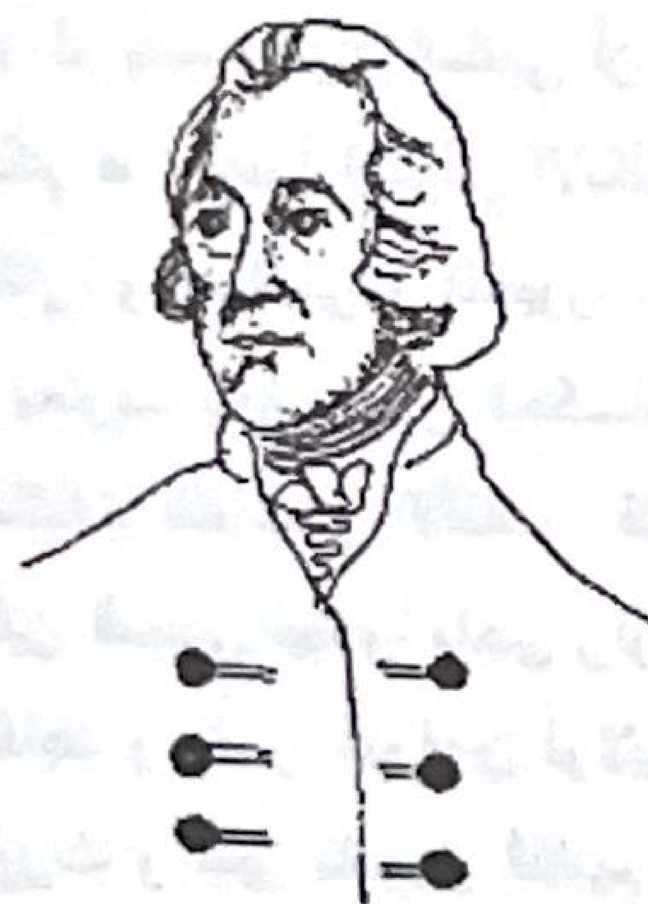
آخر محاولة

في نهاية الأمر قام المراثا بتوحيد صفوفهم و هاجموا مقر المندوب السامي في كل من بونا و ناجبور. و لكن الحاكم العام التالي اللورد هاستينجز هزمهم جميعا و صارت الهند كلها عدا بنجاب و السند خاضعة لسيطرة الإنكليز عام 1818م .

السند

خشي البريطانيون أن الروس سيغزون الهند عن طريق أفغانستان ، فقرروا الاستيلاء على السند من أجل زيادة سيطرتهم على أفغانستان .

في عام 1843م ضم السير تشارلز نابير السند و جعلها جزءا للإمبراطورية البريطانية .



اللورد هاستينجز

بنجاب

كان رنجيت سينغ قد دبر الحفاظ على أراضيه في بنجاب ، و لكن بعد وفاته شن الإنكليزحربا ضد بنجاب عام

1845م . و لو أن كافة عناصر الجيش من الهندوس و المسلمين و السيخ قاتلوا بشجاعة ضد الانكليز كان هناك قواد خونة بينهم ، و هذا ما تسبب في انتصار البريطانيين فنشروا جنودهم في بنجاب و حكموا الإقليم عن طريق مندوب بريطاني . و في عام 1848م ضم البريطانيون إقليم بنجاب بتهمة محاولات ثورية .

مبدأ سقوط الحق

حتى عام 1848م سيطر الإنكليز بوجه مباشر أو غير مباشر على كافة أنحاء الهند ، و لكن اللورد دلهوزى الحاكم العام في الفترة 1848 إلى 1856م أراد إخضاع مزيد من الولايات للحكم البريطاني، فقام بتنفيذ ما يعرف بمبدأ سقوط الحق . و بموجب هذا المبدأ إذا كان حاكم يموت بدون ابن طبيعي له فان حقه في الولاية يسقط أو يستولي عليها الإنكليز . و لم يسمح للولد المتبنى أن يرث الولاية . و بحكم هذا المبدأ استولى الانكليز على ولايات ساتارا و جهانسى و ناجبور . كما أن دلهوزى لم يعترف بحق بعض الحكام الأسبقين في معاشات التقاعد و الألقاب . فلم ينل نانا صاحب الابن المتبنى لبيشوا باجى راو الثانى معاشات التقاعد و خسر النوابون لولايات كرناتكا و سورت و أمير تانجور ألقابهم .



اللورد دلهوزي



بشوا باجي راو

أفادهـ

كان دلهوزى يريد الاستيلاء على افادهـ و لكن الإقليم لم يكن خاضعا لمبدأ سقوط الحق . بالإضافة إلى هذا كان نواب افادهـ حليفا للبريطانيين منذ معركة بكسر عام 1764م . و لكن دلهوزى كان عاقد النية على ذلك ، فاستولى على الإقليم بحجة سوء ادارته ، وانتزع كذلك برار من نظام حيدر آباد عام 1853م .

الحروب مع الأقاليم المجاورة

خاض البريطانيون حروبا مع نيبال و بورما و أفغانستان و سيكيم و بهوتان.

الخامس و الثلاثون

تغييرات إدارية و اقتصادية

فضلا عن خوض الحروب و تحقيق الانتصارات قام البريطانيون بتنفيذ إصلاحات إدارية و تغييرات اجتماعية و اقتصادية أيضا.

من التجار الى الاداريين

بداية كانت شركة إيست انديا شركة تجارية فقط و لكن تولت فيما بعد دورا إداريا ، فجاء اللورد كلايف على سبيل المثال إلى الهند كمساعد مكتب و لكن عند ما رجع إلى إنكلترا و هو يناهز 34 سنة كان يملك من الثروة و الأملاك ما يجلب له دخلاسنويا قدره 40000 جنيه سنويا .

المال بالنسبة للحكومة البريطانية

عند ما أصبحت الشركة غنية شعرت الحكومة البريطانية بالتهديد و خشيت بأن الموظفين الأغنياء قد يشترون المقاعد في البرلمان البريطاني بما يمكنهم من التحكم في بريطانيا أيضا . ففي عام 1767م اقر البرلمان قانونا بدأت الشركة بموجبه تدفع للحكومة البريطانية 400000 جنيه سنويا.

الاستيلاء على الشركة

وفقا لما يسمى قانون " بيتس إنديا " لعام 1784م عينت الحكومة البريطانية حاكما عاما في الهند و مجلسا إداريا للشركة و مجلس التحكم للحكومة البريطانية - السلطات الثلاث المسئولة في الهند- بدون أن يكون مواطن هندى عضوا فى أى واحد منها.

الخدمات المدنية العالية

بدأ اللورد كورنواليس نظام الخدمات المدنية العالية عام 1786م لتطوير الإدارة ووضع حد للفساد . و كانت رواتب عالية تدفع لمن يتم تعيينهم بهذه الوظائف ، إضافة إلى ذلك وضعت قوانين شديدة لقمع الرشوة و الفساد و التجارة الخاصة .

الجيش

قام البريطانيون بإعادة تنظيم الجيش ، و من بين 311400 عضو للجيش بلغ عدد الهنود 265900 عضو . و لكن الهنود لم يشغلوا منصبا أعلى من " صوبيدار " (منصب أدنى من ضابط) .

الشرطة

أدخلت تغييرات في النظام العادي للشرطة و حلت محله قوة نظامية للشرطة تكونت بوجه رئيسي من الهنود ويرأسها ضباط بريطانيون . نجحت الشرطة لحد ما في احتواء الجرائم و القضاء على قطاع الطريق الذين كانوا يعبدون الإلاهة " كالي" و ينتظرون لعلامات معينة قبل نهب المسافرين ، فإذا كانت العلامات مناسبة كانوا يهاجمون مسافرا من الوراء و يخنقونه باستعمال عملة ملفوفة بمنديل أبيض .

و يقال إن الشرطة أيضا كانت تتصرف مثل اللصوص و كان الناس يخشونها و يتجنبون إبلاغها بمثل هذه الجرائم .

نظام جديد

أسس نظام كامل للعدل مع محاكم جنائية و مدنية و وضعت قوانين جديدة تقوم أساسا على النظام البريطاني .

و في هذه المجالات لم يكن مواطن هندي يعين في منصب رفيع ، و في الواقع كان الهند تحكم من قبل البريطانيين من أجل منفعة البريطانيين .

منافع اقتصادية للبريطانيين

من 1600 إلى 1757م انتفعت الهند بتواجد التجار البريطانيين ، فنالت السلع و الذهب و الفضة مقابل المنسوجات و التوابل و ما إليها . كانت المنسوجات الهندية موضع إعجاب في بريطانيا لحد أنها أثارت الحسد لدى صانعي المنسوجات البريطانيين ، ففي عام 1720م أجبروا الحكومة على حظر المنسوجات الهندية ، فإذا كانت إمرأة في بريطانيا توجد و هي تحمل منديلا هنديا كان عليها أن تدفع غرامة قدرها 200 جنيه .

حاكة بنجال

بعد 1757 م تمكنت الشركة من السيطرة على بنجال فاشترت كافة القطن الخام و أجبرت الحاكة على شرائه بأسعار عالية و بيع السلع الجاهزة بأسعار أدنى . و اكتسبت الشركة مبالغ ضخمة من بنجال ، و لكن المشكلة الحقيقية بدأت بالثورة الصناعية عند ما بدأ البريطانيون في إنتاج السلع بالماكينات .

القماش من مانشستر

بداية أجبر أصحاب المصانع البريطانيين في مانشستر شركة إيست انديا على تصدير مصنوعاتهم القطنية إلى الهند ، و في عام 1794م صدرت بريطانيا ما تبلغ قيمته 156 جنيه فقط من المصنوعات القطنية إلى الهند ، و حتى عام 1813 بلغت صادرات القطن إلى 110000 جنيه . و بعد الإذن الخاص بالتجارة الحرة لم تقتصر التجارة على شركة ايست انديا بل اصبح الأمر أسوأ ، فصدرت بريطانيا المصنوعات القطنية إلى الهند بقيمة 6300000 جنيه عام 1856م .

حاكة القطن

كيف كان هذا يتم يا ترى ؟ كان أفضل القطن جميعه يرسل إلى إنجلترا حيث تصنع منه الأقمشة بالماكينة و تعاد إلى الهند ، وكانت هذه الأقمشة أرخص في السوق مقارنة مع الأقمشة المصنوعة باليد في الهند . و تدريجيا تدمرت صناعة المنسوجات الهندية ، ذلك لأن الحاكة اضطروا لاستخدام القطن الأدنى جودة و الذي كان اكثر كلفة . و لذا لم يكن هناك أحد يتقدم لشراء منسوجاتهم إذ أنهم كانوا يطلبون ثمنا اكبر منه للمنسوجات البريطانية ، و نتيجة لذلك تعرض الحرفيون لحالة المجاعة و خسروا فرص العمل . و عانت المصانع الأخرى أيضا بنفس الشكل . كما فرضت ضرائب عالية على السلع الهندية المصدرة إلى إنجلترا.

واجهت المدن المترفهة حالة الانحطاط ، و حتى أن البريطانيين شاهدوا حالة الشقاء التي و جد فيها الحرفيون أنفسهم . كتب اللورد وليام بنتينك ، الحاكم العام في الفترة بين 1828 و 1835م ، في عام 1834م : " أن عظام منتجي القطن تبيض سهول الهند " و اضطر الحرفيون للموت جوعا أو التحول إلى الزراعة .

سياسات الضرائب

غير اللورد كورنواليس طريقة جمع الضرائب حيث حدد مبلغ الضريبة الأرضية بوجه دائم و جعل الإقطاعيين ملاكا للأراضي ، و سار مفعول هذا النظام بصفة رئيسية في بنجال و بيهار و أريسا، و في الجنوب و جنوب الغرب نفذ نظام يسمى " ريوتوارى " ويقضى بأن يدفع الفلاح الضريبة مباشرا للحكومة البريطانية . و في المناطق الأخرى أدخلت تعديلات في هذه النظم .

المرابون و الدين

و لما كان الفلاحون لا يقدرون على دفع الأجور العاليـة أنهـم اقترضـوا المبالغ من المرابين و ازدادوا فقرا و خسروا أراضيهم و اضطروا للعمـل بدون مقابل . لم يحاول البريطانيون تطوير الزراعة و الري إذ أنه لم يكن أمرا ذا فائدة لهم . فكانت هناك حالات مكررة للمجاعة .

نزوح الثروة

كان الحكام السابقون في الهند بمن فيهم المغول يصرفون الأمـوال التـي يجمعونها من الضرائب في البلاد ، ذلك في الحروب و إنشـاء المبـاني الضخمة الخرافية أو في أعمال مفيدة بينما صرف البريطانيون قـدرا مـن مبالغهم لمنفعتهم الخاصة ، و لكن معظمها أرسل خارج الهند إلى بريطانيا و يدعى هذا " نزوح الثروة " و هكذا ازدادت الهند فقرا .

الطرق و السكك الحديدية

قام البريطانيون بترويج السكة الحديدية بعد عام 1853م و بتحديث النظـام البريدي و بدأوا خدمات التلغراف ، و بفضل الطـرق و نظـم الاتصـال المطورة تمكنوا من إرسال البضائع إلى كافة أنحاء الهند و إرسـال خـام المواد المطلوبة خارج الهند .

الإصلاحات الاجتماعية

نفذت إصلاحات اجتماعية بسبب الضغوط من قبل بعـض الهنـود و بعثات تبشيرية مسيحية و منها وقف ممارسة " ساتي " من قبل اللورد بينتنك و تشريع قانون ضد قتل الصبية و قوانين أخرى تسمح بزواج الأرملة .

التعليم

صرف بعض المبالغ على التعليم و إنشـاء المـدارس الإنكليزيـة و رأى البريطانيون أنه إذا كان هناك فريق من الناس هندى في الـدم و اللـون و انكليزي فى الميل و الفكر و الأخلاق و الفطنة فان ذلك سيسـاعدهم فـي إدارة البلاد . غير أن التعليم التقني كان موضع إهمال .

التغيير

لأي سبب لم يحاول الهنود تغيير الأمور ؟ حـاول بعـض الهنـود تنفيـذ إصلاحات اجتماعية و تربوية في حين انتهى استياء الآخرين بثـورة عـام 1857م .

الفصل السادس و الثلاثون
المصلحون الهنود الأوائل

رام موهن روى

يعد رام موهن روى أول زعيم عظيم للهند الحديثة اعتزم إصلاح الهندوسية لكي تتحررمن المساوي الاجتماعية و تحويل الهند إلى بلد عصري . كان يعرف أكثر من 12 لغة بما فيها السنسكرتية و الفارسية و العربية و الإنكليزية و الفرنسية و اللاتينية و العبرانية و اليونانية . و كان قد درس كتب الفيدا و الأبانيشاد و القرآن و الكتاب المقدس .



رام موهان روى

براهمو سماج

أراد أن يجمع بين ما هو الأفضل في الثقافة الهندية و المنطق و العلوم . و في عام 1829م أسس جمعية جديدة تدعى براهمو سماج وكانت تقوم أساسا على هذه الأفكار . وحاول أن يطور وضع المرأة و تصدى لتقليد ما يسمى " ساتي " و يرجع الفضل إلى تأييده في نجاح اللورد بنتينك في حظر ذلك .

نشاطات أخرى

انشأ مدرسة إنكليزية و كلية فيدانتا لتعليم العلوم الغربية و الهندية . كما عمل على ترويج اللغة البنجالية وترجم أعمالا كثيرة إليها وألف كتابا في نحو هذه اللغة .

حركة بنجال للشباب

قام هنري فيفيان ديروزينو و هو هندي إنكليزي بالتدريس في كلية هندو في مدينة كلكتا(أسسها دافيد هاري) في الفترة بين 1826 و 1831م . كان شابا ذكيا شن حركة بنجال للشباب و كان أول شاعر قومي . و في عام 1827م كتب قصيدة عن انحطاط الهند :

بلادي ! في أيام مجدها الماضي
هالة جميلة تحيط بالجبين
معبودة كنت مثل إلاه
فاين ذلك المجد و أين تلك الألوهية الآن ؟

توفي ديروزيو و هو يناهز 22 سنة فقط ، و كتب طلابه أيضا قصائد شعرية عن شقاء الهند الذي كان شديدا للغاية ذات مرة .

دبندرا ناث طاغور

دبندراناث طاغور ، والد رابيندراناث طاغور واصل نشاطات براهمو سماج.

إيشور تشاندرا فيديا ساجر

كان إيشور تشاندر فيدا ساجر المولود في 1829م عالما كبيرا ، و أنه أيضا حاول الجمع بين ما هو الأفضل في الشرق و الغرب . كافح من أجل حقوق المرأة و قام بتنظيم زواج الأرامل . كما حاول وضع حد لزواج الطفولة و أقام مدارس للبنات.

الفصل السابع و الثلاثون

ثورة عام 1857م

الثورات

انفجرت ثورات صغيرة عديدة ضد البريطانيين ولكن أكبر ثورة و أوسعها حدثت عام 1857م .

الأمراء و الطبقات العالية

كانت فرق عديدة للناس غير راضية عن الحكم البريطاني ، فالأمراء لم يحبوا مبدأ " السقوط " و ضم الإمارات . لم يكن أحد من الهنود يعين في منصب رفيع في الإدارة البريطانية ، و الهنود الذين كانوا إداريين في الإمارات خسروا وظائفهم ، و لم تكن هناك وظائف ملائمة لعناصر الطبقات المتوسطة و العالية .

التجار و الفلاحون

خسر التجار دخلهم و تعرض الحرفيون للدمار و ازداد الفلاحون فقرا.

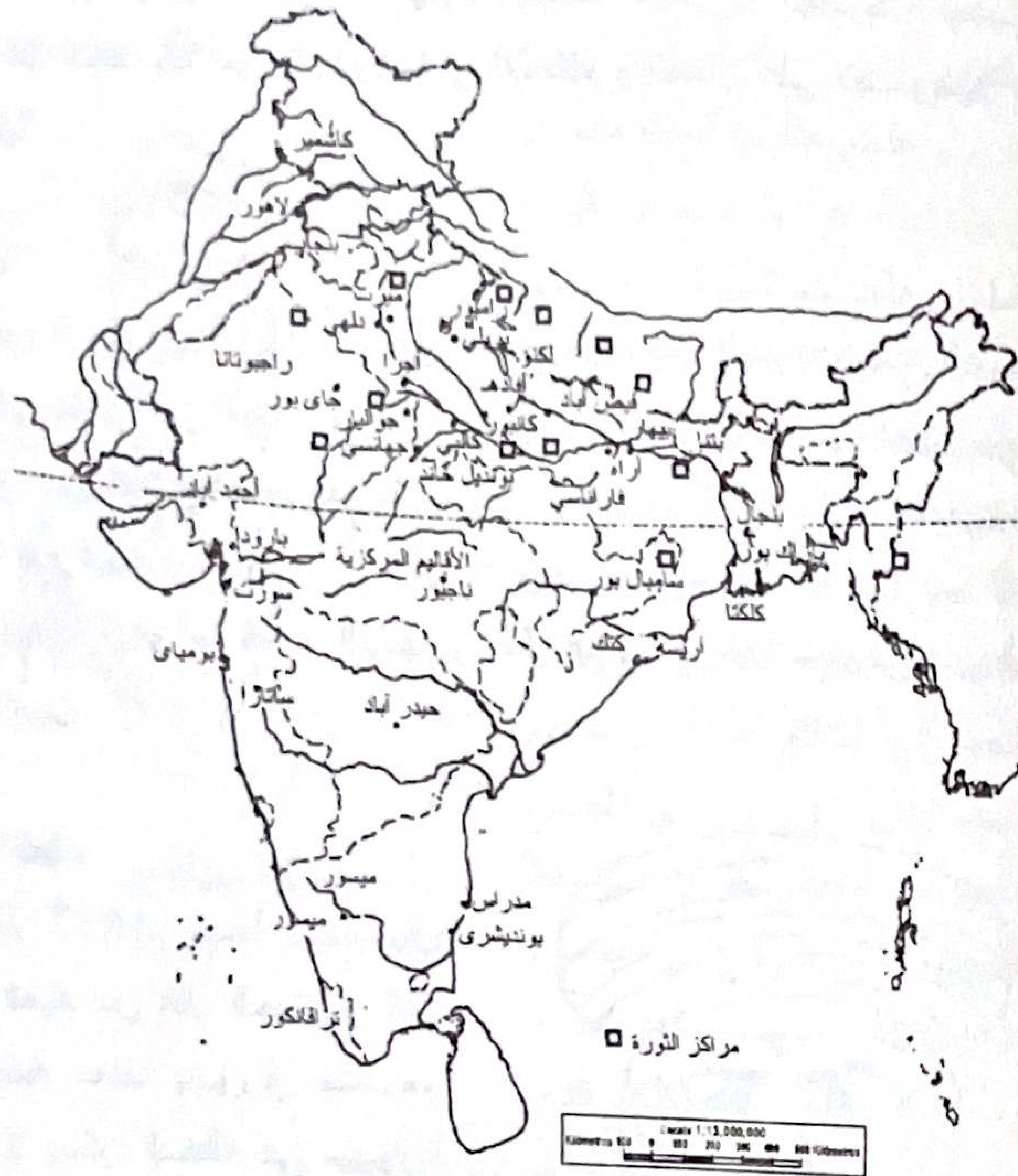
أجبر الفلاحون العاملون في مجال إنتاج النيلة في بيهار و بنجال على إنتاجها و بيعها بأسعار أدنى .

العدالة أو انعدام العدالة

أدى النظام المعقد للقضاء والمحاكم إلى نجاح الغني ضد الفقير في كل قضية.

الفنانون و الكتاب و القديسون

خسر الكثير من الفنانين و الكتاب و القديسين دخلهم بينما كانوا يدعمون من قبل الحكام الهنود فيما سبق .



الهند في 1857م

مركب الاستعلاء

شعر البريطانيون بفضلهم على الهنود فلم يكونوا يختلطون على الصعيد الإجتماعي حتى مع رجال الطبقات العالية ، و هذا ما خلق الشعور بالإهانة لدى الهنود . لم يحب الهنود البعثات التبشيرية المسيحية أيضا إذ أنها كانت تنتقد كلا من الهندوسية و الإسلام و تعمل على تحويلهم إلى المسيحية .

الجيش

بدأت ثورة عام 1857 بالتمرد في الجيش حيث ثار الجنود ضد الضباط الذين لم يكونوا من الهنود و كانوا يعاملون معاملة القسوة و يدعون بتسمية الخنزير من قبل الضباط البريطانيين رغم كونهم أقل خبرة و أصغر سنا مقارنة مع الجنود الهنود . و حتى أن رواتبهم كانت أقل من رواتب الجنود البريطانيين ، و ما كانت أديانهم و تقاليدهم و أعرافهم تحترم من قبل البريطانيين

بنادق انفيلد

في عام 1857م بدأ استعمال بندقية انفيلد من قبل الجيش و كان خرطوشه مغلفا بورق مشحم بحيث لا يمكن إدخاله في ماسورة البندقية إلا بازالة ذلك الغطاء الورقي بالأسنان . و بلغ الجنود أن المادة المستعملة في ذلك ليست إلا شحم البقرة و الخنزير ، الأمر



نانا صاحب

الذي كان مهينا للمعتقدات الدينية لكل من الهندوس و المسلمين . و من المعروف أن الهندوس لا يأكلون لحم البقرة بينما المسلمون لا يأكلون لحم الخنزير .

نحو دلهي

في مارس هاجم جندي اسمه مانجال باندى ضباطه عند ما قدموا إليه الخراطيش فأعدم شنقا . و في أبريل رفض فريق يضم 90 جنديا في مدينة ميرت استخدام الخراطيش، فالقوا في السجن ، و أعلنت عقوبتهم في 9 مايو . و في 10 مايو قتل جنود آخرون ضباطهم و نجحوا في إطلاق سراح زملائهم و توجهوا إلى دلهي . و في دلهي قام مزيد من الجنود بقتل ضباط بريطانيين و انضموا إلى جنود ميرت و سيطروا على المدينة و أعلنوا بكون بهادور شاه ظفر الذي كان قد اصبح بدون قوة و سلطة إمبراطورا للهند .



ملكة جهانسي

آخر إمبراطور مغولي

و الآن انضم الجنود من كافة أنحاء الهند إلى الثورة .

و انضم إليهم كل من نانا صاحب ، الولد المتبنى لبيشوا ، تانتيا

توب، جنراله ، أميرة افادهـ و رانى لاكشمى بـاى أميـرة جهانسـى ، وحارب الهندوس و المسلمون معا عدوهم المشترك

الأرغفة و زهور النيلوفر

يقول بعض المؤرخين إن الثورة كانت قد خططت منـذ بعـض الوقـت ، وكانت الرسائل ترسل داخل الأرغفة و زهور النيلوفر . و بينما كان اليوم المحدد للثورة 31 مايو أنها بدأت قبل موعدها و قبـل أن تكتمـل عمليـة التخطيط لها .

النهاية

في البداية حقق الهنود انتصارات عديدة ، و لكن بريطانيا نجحت في نهاية الأمر في قمع الثورة ، و في 20 سبتمبر تم احتلال دلهي من جديد ، و نقل بهادور شاه ظفر إلى رنجون بعد أن قتل أبناؤه أمام عينيه . غير أن جنوب الهند و بومباى و غرب بنجاب و معظم اجزاء بنجال لم تشارك في الثورة، كما لم يشارك فيها العديد من الجنود الهنود .

ما كان قادة الثورة متحدين و لم تكن الحركة الثورية بالجملة منظمـة بصورة جيدة بينما كان البريطانيون يملكون أسلحة أفضـل إلـى جانـب جنرالات اكثر براعة و تنظيم أحسن .

و لم تكن لدى الهنود خطة واضحة عما يجب أن يفعلوه عندما استولوا على مراكز القوة .

نقطة تحول

على الرغم من فشلها إلا أن الثورة كانت نقطة تحول ، فظل الهنود يكـافحون لمدة التسعين سنة التالية من أجل توحيد صفوفهم و تنظيمها و الاستقلال .

بعد الثورة

بعد الثورة استولى التاج البريطاني على الإدارة الهندية تحت رئاسة الملكـة البريطانية فيكتوريا و البرلمان البريطاني مما وضع حدا لحكم شركة إيست انديا ، فوعد الحكم البريطاني حقوقا متساوية لجميع الهنود و معاملة مماثلة للأوروبيين و منح لهم الحرية في ممارسة أديانهم المختصة .

نال الحاكم العام لقب "وايس روى " أي نائب الملك و تم تكوين مجلس هندي و إنشاء وظيفة سكرتير الدولة في بريطانيا للإشراف على الشـؤون الهندية .

كما أعيد تنظيم الجيش و تم توظيف مزيد من البريطانيين فيه .

الفصل الثامن والثلاثون

ظهور القومية

عند ما تم تبديل حكم شركة إيست انديا بالحكم البريطاني فبدا كأنه بداية جديدة و لكن الحكومة البريطانية واصلت نفس السياسات .

القومية

غير أن المواقف الهندية بدأت تتغير، فظهر الوعي تجاه المشاكل مع شعور وطني جديد بالانتماء إلى الهند و بضرورة جعل الهند بلدا متحدا قويا و حرا . وكلمة أخرى لهذا الشعور الجديد للهوية هي القومية . و بعد عام 1857م بدأ هذا الشعور يتنامى و يتزايد ، و كانت الأفكار القومية قد ظهرت فعلا في الأنحاء الأخرى للعالم خاصة فرنسا و إنجلترا و إيطاليا .

سبب نمو القومية فى الهند

أكثر الأسباب أهمية وراء نمو القومية في الهند هو أن البريطانيين كانوا أجانب بكل معنى الكلمة و أن تواجدهم لم يكن ينفع الهند ، و تدريجيا أصبحت كافة شرائح المجتمع الهندي واعية بأن الهند لن تحقق تقدما و نموا مادام البريطانيون موجودين فيها ، و لذا عم شعور مضاد للبريطانيين كافة الشعب الهندي .

و مما ساعد الأفكار القومية في النمو أن الهند كانت قد أصبحت بلدا واحدا من الناحيتين – الاقتصادية و السياسية – فكانت هناك إدارة واحدة ومجموعة واحدة للقوانين و كانت البلاد مرتبطة من الشمال إلى الجنوب

بالسكك الحديدية و الطرق و خدمات البريد و التلغراف مما يسر الاتصال بمختلف أنحاء البلاد .

كان الشعب كله يعانى من نفس المشكلة الاقتصادية . استمر البريطانيون في منع نمو الصناعة الهندية . كانت خام المواد ترسل إلى إنجلترا و السلع المصنوعة منها تأتى إلى الهند . لم يكن الهنود يعينون في مناصب رفيعة إضافة إلى البطالة الشائعة .

الحرية و المساواة

جاء التعليم الغربي بأفكار جديدة للهنود ، فعلموا بالثورة الفرنسية و القيادات الوطنية في إيطاليا و أيرلندا ، و قرأوا أعمال الفلاسفة الغرب ، و جذبتهم فكرة بلد حر و تساوى المواطنين . و قامت هذه الفرقة الصغيرة لمن تثقفوا بالثقافة الغربية بنشرمثل هذه الأفكار بين الأخرين .

المصلحون

أراد كثير من المثقفين الهنود أن يخلصوا الهند من المشاكل العديدة مثل التمييز الطائفي و تقليد " ساتي " و المعتقدات الخرافية و أن يجعلوا الهنود شعبا فخورا في بلادهم .

الصحافة

أدت الصحف و الكتب المختلفة دورها في نشر الأفكار الحديثة و نقد البريطانيين . كما شجعت الصحف الناس على الاتحاد و العمل في مصلحة البلاد .

الإمارات الهندية

بقيت الإمارات الهندية بعيدة عن الحركة القومية لبعض الوقت ، و الأمراء في الحقيقة لم يكونوا مستقلين بل كانوا خاضعين للمندوب البريطاني ، و لكنهم كانوا يملكون الثروة و قدرا من السلطة ، فكانوا يتخوفون من أنهم سيخسرونها بدون مساعدة البريطانيين . و بعد مضى وقت انضم الناس في هذه الإمارات إلى الحركة القومية .



اللورد ريبون

اللورد ليتون – نعمة مخفية

اصبح اللورد ليتون نائبا للملك عام 1876 ، فأنفق مبالغ ضخمة في الحرب الأفغانية الثانية و أيضا في عقد اجتماع كبير في دلهي في حين كانت المناطق العديدة للهند تعانى من حالة المجاعة و وباء الطاعون . كما قلص حرية الصحافة بإقرار قانون الصحافة الخاص باللغات المحلية . و هذا القانون منع الصحف الصادرة في تلك اللغات من كتابة أي شئ ضد الحكومة . و بحكم قانون الأسلحة منع الهنود من وضع السلاح لديهم.



دادا بهاى نوروجي

وأثارهذان القانونان موجة استياء حيث كانا يطبقان على الهنود فقط و يعنى هذا أنه كانت هناك قوانين مختلفة للهنود و البريطانيين .

تم خفض رسوم الإنتاج على المنسوجات البريطانية التي كانت تدخل الهند . كما تم تخفيض النهاية الأعلى للسن المطلوب للمشاركة في امتحانات الخدمات المدنية العالية من 21 سنة إلى 19 سنة .

كتب سورندرانات بنرجي أحد مؤسسي الحركة الوطنية عن اللورد ليتون : " الحكام الفاسدون يصبحون في أحيان كثيرة نعمة مخفية ، فيساعدون في تحريك شعب إلى الحياة ."

قانون البرت لعام 1883م

حاول اللورد ريبون النائب التالي للملك إقرار قانون في صالح الهنود ينص على أن يسمح للقضاة الهنود بمحاكمة الأوروبيين . و بينما أيد الهنود هذا القانون أنه لقي المعارضة لدى البريطانيين .

هذا ما جعل الهنود يدركون كم كان البريطانيون يشعرون بمركب الاستعلاء و كم كانوا يكرهون الهنود .

تنظيمات أولية

بدأ الهنود يشكلون تنظيمات لهم بصورة تدريجية لمناقشة مشكلاتهم و تقديم مطالبهم . فقام دادا بهاى نوروجى و هو تاجر بارز من بومبا ى بتشكيل جمعية بومباى و جمعية إيست انديا . و أسس سورندرا نات بنر جي الجمعية الهندية في كلكتا . و في عام 1883م نظم مؤتمرا قوميا لعموم الهند في كلكتا .

المؤتمر القومي الهندي

في عام 1885م تم تشكيل المؤتمر القومي الهندي من قبل ايه . او . هيوم، موظف مدني بريطاني متقاعد ، فقال لنائب الملك اللورد دوفرين إنه إذا لم يكن هناك وسيلة للهنود للتعبير عن مشكلاتهم فقد تحدث هناك ثورة أخرى.

دعا هيوم شخصيات بارزة هندية للانضمام إلى منظمته . فانضم إليها الهنود بكل فرح و سرور حيث اعتقدوا بأنهم قد يستخدمون المؤتمر لتقديم مطالبهم و إيجاد تغييرات مفيدة في الهند .

الفصل التاسع و الثلاثون

الاعتداليون و المتطرفون

يمكن تقسيم السنوات الأولى للمؤتمر القومي الهندي إلى مرحلتين كبيرتين و هما مرحلة الإعتداليين ومرحلة المتطرفين .

الاجتماع الأول

عقد أول اجتماع للمؤتمر القومي الهندي في بومباى في ديسمبر 1885م حضره 72 شخصا . أراد المؤتمر إيجاد الوحدة بين الناس من ذوى أفكار قومية و أراد كذلك أن يشجع الناس علىالإتحاد و أن يشعروا بأنهم جميعا هنود حتى و لو كانوا ينتمون إلى الطوائف و الأديان و المناطق المختلفة.

الاعتداليون (1885-1905)

تعتبر السنوات العشرون الأولى للمؤتمر القومي الهندي فترة الإعتداليين ، فكان جميع زعماء هذه الفترة ذوى أهداف اعتدالية و هم لم يكونوا يريدون التعجيل بالإطاحة بالحكم البريطاني ، بل كانوا يريدون تنفيذ تغييرات تدريجية بدون خرق أي قانون للحكومة . و كانوا يعتقدون أنه إذا شرحوا مشاكلهم أمام البريطانيين فانهم سيحاولون حلها ، و كان دادا بهاى نوروجي و فيروز شاه



سوريندرا ناث بنرجي

مهتا و سوريندرانات بنرجى و جوبال كرشنا جوخالى و القاضي رانادى من بين كبار الزعماء الإعتـداليين لتلـك الفترة .



جي – كيه – جوخلي

بداية جيدة : *قانون المجالس الهندية لعام 1892م*

هولاء الزعماء طالبوا بنصيب أكبر في الحكومة . و نتيجة مطـالبتهم بـذلك ازداد عدد الهنود بحكم قانون المجالس الهندية لعام 1892م و لكنهم مع ذلك لم يكونوا يتمتعون بقدر يذكر من الصلاحيات ، غير أن الزعماء الإعتـداليين الكبار مثل فيروز شاه مهتا و جوخلى جلسـوا فـي المجـالس و نقـدوا السياسات البريطانية .

مطالب أخرى

طلب الزعماء الإعتداليون من البريطانيين تعيين مزيد مـن الهنـود فـي الوظائف الإدارية و فصل نظام القضاء عن السلطة التنفيذيـة . و طـالبوا بإقامة مزيد من المدارس و المستشفيات و تطوير الزراعة و الصـناعة و تأمين نظام عادل للشرطة . كما كافحوا من أجل حرية الصحافة و الحق في التعبير عن وجهات نظرهم في الصحف .

شرح طبيعة الحكم البريطاني

كان أهم انجازاتهم أنهم نجحوا في شرح طبيعة الحكم البريطاني في الهنـد أمام الهنود و أيضا أمام الناس في بريطانيا .

شرح دادا بهاى نوروجي كيف كانت الثروة القومية تستنزف خـارج البلاد و كيف أن ذلك يؤثر على الهند ، ذلك في كتابه " الفقر و الحكم غير البريطاني في الهند " . و قال إن الناس يعتقدون أن الأملاك و الحياة آمنـة في الهند ، و ربما يعيش الناس عيشا خاليا من الحـروب و اللصـوص، و لكن ليس هناك أمن بالمعنى الحقيقي للكلمة . وبدون إظهـار مـا يفعلـون يستهلك البريطانيون أملاك الهند بمعدل 30 مليون إلى 40 مليـون جنيـه سنويا . و قال إنه لم يكن هناك عنف تحت الحكـم البريطـاني ، فـالهنود يموتون جوعا في السلام و يبيدون في السلام تحت ظل النظام و القانون" .

كشف نوروجي عن كيفية اسـتخدام السـكك الحديديـة و خـدمات التلغراف لمساعدة البريطانيين في نزوح مزيد من الأموال خارج الهنـد و منع الحرف والصناعات من النمو و ازدياد الفقر لدى الفلاحين .

وصف جي . كيه . جوخاى كيفية معاناة الهنود من مركب النقص و كيف أنهم خسروا الثقة في قدرتهم للإدارة و الحكم ومعرفتهم بطرق ذلك .

الولاء لبريطانيا

استمر الاعتداليون في ولائهم للبريطانيين ، و لكنهم سرعان مـا رأوا أن البريطانيين ليسوا راغبين في الاعتناء بمشاكلهم أو تغيير الأمور بما ينفـع الهند . و حتى عام 1905-1906م بدأ جـوخلى و دادا بهـاى نـوروجي يطالبان بالحكم الذاتي و شعرا بأنه سوف لا يتغيـر أي شـئ إذا اسـتمر البريطانيون في الحكم في البلاد ، فقام بال جنجا دهر تـيلاك و آخـرون بشن نوع جديد من الحركة ضد البريطانيين.

المتطرفون (1906-1908م)



اللورد كرزن

في الفترة بين 1905م و 1908م ازداد المتطرفون أو القوميون المناضلون أهمية مقارنة مع الاعتداليين . و أهمهم كان بال جنجا دهار تيلاك و بيبين تشاندرا بال و لالا لاجبت راى ، و كانوا يعرفون عامة باسماء بال و بال و لال ، و كان أوروبيندوغوس متطرفا آخر.

لا ثقة في البريطانيين

لم يكن المتطرفون يثقون بالبريطانيين و كانوا يعتقدون أن المواطنين الهنود يجب أن يتحدوا و يرغموا البريطانيين على إعطاء الهنود ما يطلبون و أن عليهم أن يملكوا الشجاعة ويقدموا تضحيات كبيرة في سبيل الحرية .

بال جنجادهار تيلاك (1856-1920)



بال جنجا دهر تيلاك

ولد تيلاك عام 1856م في مهاراشترا و هو الذي بدأ مهرجان شيفاجي عام 1895م باعتباره مثالا للشجاعة و البطولة و كانت المناسبة تستخدم لإلقاء الخطب و إنشاد الأغاني الوطنية . و في الفترة 1896-97م نظم حملة ضد الضرائب في إقليم مهاراشترا حيث

كان الفلاحون يموتون جوعا بسبب حالة المجاعة ، فحثهم على الامتناع من دفع الضرائب ، و لأجل ذلك ألقي في السجن لمدة 18 شهرا .

دعنا ندفع البريطانيين إلى البحر

في عام 1905 لحقت الهزيمة بروسيا على أيدي اليابانيين مما بعث الأمل لدى الهنود فبدأوا يتساءلون : إذا كان بلد أسيوى صغير مثل اليابان تمكن من إلحاق الهزيمة ببلد كبير مثل روسيا فهل الهنود لا يستطيعون أن يهزموا البريطانيين ؟ . كتبت صحيفة صادرة في كراتشي : " دعنا ندفع البريطانيين إلى البحر و نحتل مكاننا جنبا للجنب مع اليابان بين القوى الكبرى للعالم " .

تقسيم بنجال

استمر البريطانيون في وضع السياسات و القوانين بدون أن يأخذوا بالاعتبار رغبات الهنود . في عام 1905م قرر اللورد كرزن نائب الملك أن يقسم إقليم بنجال ، و كانت المنطقة تضم آسام و بيهار و أريسا فأراد تقسيم السكان الناطقين باللغة البنجالية اعتقادا بأن ذلك سيسئ إلى الحركة القومية في بنجال ، و أراد كذلك التفريق بين المسلمين و الهندوس . فقال للمسلمين إنهم سيشكلون الأغلبية في إقليم على حدة لشرق بنجال بما سيعود بالنفع عليهم .

يوم للحداد

لم يكن معظم الناس في بنجال يودون تقسيم الإقليم ، وكانت القيادات الاعتدالية و المتطرفة للمؤتمر تعارض التقسيم ، و رغم ذلك قام البريطانيون بتنفيذ خطتهم . في 16 أكتوبر 1905م عند ما قسمت بنجال أعلنت القادة يوما للحداد ، فتجمع الناس بألوف و هم يتغنون أغان وطنية و

منها " بندى ماترم " و عبر الحدود الجديدة شد الناس خيطا رمزيا بعضهم على معصم البعض تعبيرا عن مشاعر الوحدة و التضامن .

سواديشي و المقاطعة

قرر قادة بنجال تنظيم ما يسمى " سواديشي و المقاطعة والاحتجاج ضد التقسيم ، و كلمة سواديشى معناه استعمال مصنوعات البلاد بينما المقصود من المقاطعة عدم استخدام المصنوعات الأجنبية ، و كان الهدف وراء ذلك إلحاق خسائر اقتصادية بالبريطانيين . و سبق أن استخدمت هذه الطريقة للاحتجاج من قبل بال جنجا دهر تيلاك فى مهاراشترا.



اللورد مينتو

اختلاف الآراء

في أول الأمر كان الاعتداليون و المتطرفون متحدين في حركة سواديشى و المقاطعة و لكن سرعان ما ظهرت الخلافات ، فأراد المتطرفون نشر الحركة في كافة أنحاء الهند من أجل الحصول على الحرية بدلا من مجرد إعادة توحيد بنجال ، و فكروا كذلك في توسعة المقاطعة لكي لا تقتصر على السلع الأجنبية بل تشمل كل ما له صلة بالحكم البريطاني و يعنى ذلك وقف التعلم في المدارس و الكليات الحكومية أو استخدام المحاكم القانونية أو أي خدمات حكومية . أما الاعتداليون فهم أيضا كانوا يرغبون في الحرية و لكن المتطرفين في رأيهم كانوا يطالبون بأشياء كثيرة و بسرعة كبيرة .

الانشقاق في سورت

سوى الفريقان خلافاتهما لسنة واحدة و لكن حدث الانفصال بينهما في اجتماعهم السنوي في سورت عام 1907م .

انتصار صغير للبريطانيين

حاول البريطانيون الآن مد يد الصداقة إلى القيادة الاعتدالية و قمع القيادة المتطرفة و التخلص منها ، و نجحت السياسة البريطانية في ذلك حيث وعد البريطانيون أمام القيادة الاعتدالية اجراء إصلاحات و أقروا قانون المجالس الهندية عام 1909 و هي تدعى أيضا إصلاحات مورلى مينتو وزاد هذا القانون من عدد الأعضاء المنتخبين في المجالس التشريعية ، و على الرغم من ذلك إلا أن الهنود لم يملكوا صلاحيات حقيقية .

السجن و الزاوية الروحية

اعتقل المتطرفون الذين انضموا إلى حركة المقاطعة و قامت الشرطة بقمع المظاهرات و الاحتجاجات . ألقى تيلاك في السجن لمدة ست سنوات ، و ترك أوروبيندو غوش السياسة بعد سجنه لفترة قصيرة و أقام زاوية أوروبيند و الروحية في بونديشرى .

حركة شعبية

كانت حركة سواديشى و المقاطعة بداية مشاركة شعبية واسعة النطاق في الحركة القومية .

المقاطعة

أحرق الناس الأقمشة الأجنبية و أعادو الهدايا المقدمة بمناسبات الزواج إذا كانت تشمل سلعة أجنبية . و كان الضيوف لا يحضرون الحفلات التي

يستخدم فيها الملح و السكر الأجنبيان ، و أغلقت المحلات التجارية التي كانت تبيع السلع الأجنبية ، و خرج الطلاب من المدارس و الكليات و انضموا إلى الحركة .

سواديشى

أقيمت مصانع هندية جديدة للغزل و النسج و علبة الكبريت و الصابون إلى جانب المصارف و شركات التأمين القومية . كما أنشئت المعاهد التعليمية الهندية. كتبت أغان و كتب جديدة . كتب الشاعر المعروف رابيندراناث طاغور (1861-1941م) و هو ابن ديفندرا ناث طاغور أغان جميلة عديدة ، و أغنيته " أمار سونار بنجلا " (أرضى بنجال الذهبية) كانت تغنى في ذلك الوقت و ألهمت سكان بنجال بالحب و العشق لأرضهم .

قاعدة للمهاتما غاندى

كانت حركة عدم التعاون التي شنتها المهاتما غاندى في وقت لاحق مبنية على نفس المبادئ التي قامت عليها حركة سواديشى و المقاطعة . و بعد عام 1908م فقدت الحركة القومية حيويتها لبعض الوقت .

الفصل الأربعون

المصلحون المتأخرون

1858 - 1920

شهدت الفترة بين 1858 و 1920م حركات إصلاحية أخرى شجعت القومية بوجه غير مباشر.

براهمو سماج

بعد عام 1866م واصل كيشوب تشاندرا سين نشاطات براهمو سماج . و مازالت أفكار هذه الجمعية مبنية على تعاليم الفيدا و الأبانيشاد و التفكير المنطقي و العقلانية ، و رأى سين في الهند " أمة ساقطة ".

فيفيكا ننددا

كان سوامى فيفيكا ننداحواريا لقديس حركة البهاكتي راما كرشنا باراما هانسا ، و مثل معلمه اعتقد أن جميع الأديان تملك نفس الروح . اتبع فيدانتا و عارض التمييز الطائفي و الطقوس و الرسميات الفارغة والمعتقدات الخرافية. ووصف الهند ببلد ساقط حيث يتعرض الناس للظلم و الاضطهاد الممارس من قبل إخوتهم المواطنين و أيضا من الدول الأجنبية بدون أن يكون لهم أمل أو



سوامي فيفيكا ننددا

ماض أو مستقبل . أسس بعثة راما كرشنا التي أقامت بدورها مـدارس و مستشفيات و دورا للأيتام . و طلب من الهنود المثقفين أن يعملوا من أجـل الهند و قال " إنه مادام ملايين الناس يعيشون حالة الفقر و الجهل اعتبر كل مثقف خائنا إذ أنه قد تلقى التعليم على حساب هولاء الملايـين و لكـن لا يعنى بشؤونهم إطلاقا . "

ألف فيفيكا ننda عددا من الكتـب أيضا و شرح الهندوسية و فلسفتها في المؤتمر العالمي للأديان في شـيكاجو عام 1893م مما جلب الاحترام لـدى المزيد من الناس تجاه الهندوسية .



سوامي ديانند

آريا سماج

شن سوامى دايـا ننـد ساراسـواتي (1824-1883م) حركة آريا سـماج عام 1875م بهدف إصلاح الهندوسية، و قال إن كتب الفيدا هي مصدر كـل معرفة ، و ألف كتابا تحت عنـوان " ساتيارث براكاش " و كان معارضا للتمييز الطائفي و المعتقدات الخرافية و هيمنة البراهمنة . أقام ديانند مدارس و كليات إنكليزية- فيدية عبـر الهنـد للجمع بين علوم الفيدا و الأفكار العلمية الغربية . عملت حركة آريا سـماج أيضا على تطوير وضع المرأة .

الجمعية الثيو صوفية

تم تكوين هذه الجمعية في نيو يورك عام 1875م من قبل السيدة اتش . بي بلافاتسكي امرأة روسية و العقيد اتش . اس . أولكوت. أقامـت الجمعيـة مكاتبها الرئيسية في أديار في مدراس . جاءت انى بسانت ، امرأة انكليزية ، إلى الهند و انخرطت إلى الجمعية عام 1803 و هـي تـؤمن بعظمـة الهندوسية الحقيقية ، فحاولت أن تغرس شـعور الاعتـزاز فـي نفـوس الهندوس و غيرهم من الهنود بماضـيهم. و سـميت المدرسـة و الكليـة الهندوسية المركزية فيما بعد بتسمية جامعة بنارس الهندوسية .

شاركت أنى بسانت في حركة التحرير و شنت حركة الحكم المحلـي في الهند أثناء فترة الحرب العالمية الأولى . و كان ألان اوكتافيـان هيـوم أيضا " ثيو صوفيا " و هو الذي قدم فكرة المؤتمر القومي الهندي .

شن المسلمون و السيخ و البارسيون أيضا حركات إصلاحية .

المسلمون

بدأ سيد أحمد خـان (1817-1898م) حركة إصلاحية للمسلمين في عليجاره ، فشجع المسلمين لدراسة العلوم العصرية وتلقى التعليم الغربـي . أثـر الشـاعر العظيم محمد إقبال (1876-1938م) في نفوس كل من الهندوس و المسـلمين و ناشد الناس أن يعملوا على تغيير الأمور بدلا من الخضوع سلبيا أمام القضـاء و القدر .



سيد أحمد خان

بالجملة حاولت الحركات الإصلاحية التخلص من العادات المبتذلة إلى جانب نشر التعليم و تطوير مكانة المرأة و تشجيع الناس على بذل جهود من أجل تغيير الظروف التي كانوا يعيشونها .

الفصل الحادى والأربعون

الرابطة الإسلامية

كان الهندوس و المسلمون قد حاربوا الإنكليز معا عام 1857م و شاركوا في حركة سواديشي ومقاطعة السلع الأجنبية ، و كان هذا الاتحاد خطرا للغاية بالنسبة للحكم البريطاني ، و لذا حاول البريطانيون الإيقاع بين الطائفتين و اقنعوا المسلمين بأن الهندوس يشكلون تهديدا لهم و بأن حياتهم ستكون عرضة للخطر إذا غادر الإنكليز الهند .

سيد أحمد خان

بدأ سيد أحمد خان و هو ماهر تربوي عظيم حركة ضد حزب المؤتمر لو أنه كان مؤيدا للوحدة ، و بعد وفاته أسس أتباعه الرابطة الاسلامية لعموم الهند في الفترة بين 1906 و 1907م .

الحزب الجديد

كان هدف الرابطة الإسلامية تشجيع المسلمين على الولاء للبريطانيين و حماية حقوق المسلمين و تقديم مطالبهم إلى الحكومة . و في الوقت ذاته كان من أهداف الحزب أن يعمل على إحتواء المشاعر المعادية تجاه الطوائف الأخرى .

نفس المشاكل

في الحقيقة كان الهندوس و المسلمون يعانون من نفس المشاكل ، فكان الفلاح الهندوسي و الفلاح المسلم يشاطران أمورا كثيرة و عان الجميع

تحت الحكم البريطاني . كانت نسبة المثقفين بين المسلمين أدنى منهم بين الطوائف الأخرى ولذا كان لهم من الصعب الحصول على الوظائف بينما كان الولاء للحكم البريطاني يزيد من إمكانية الحصول على الوظائف الحكومية .

شعر المسلمون أيضا بكونهم بمعزل عن بعض الجوانب للحركة القومية . كان شيفا جي و رانا براتاب يعدان من الأبطال الوطنيين الذين حاربوا " المسلمين الأجانب "، و كان استخدام رموز هندوسية في الحركة القومية إضافة إلى السياسات البريطانية يعتبر تهديدا لدى المسلمين .

دوائر انتخابية على حدة

في إطار إصلاحات مورلي مينتو خصصت للمسلمين دوائر انتخابية على حدة ، و يعنى ذلك أنه في دائرة انتخابية مسلمة لا بد من انتخاب مسلم لاغيره .

القادة الوطنيون كانوا يرغبون في الوحدة

كان جميع القادة الوطنيين الأوائل يرغبون في الوحدة بين الهندوس و المسلمين و لم يدركوا أن بعض سياساتهم سيخلق شعورا بعدم السلامة في نفوس المسلمين .

الفصل الثاني و الأربعون

اتجاهات جديدة فى الفترة بين 1908 م و 1919م

جاءت المرحلة التالية في حركة الحرية في الفترة بين 1908م و 1919م و تزامنت مع الحرب الأولى و ظهور حركة الحكم المحلى ، و شهدت نفس الفترة حركة ثورية كبيرة تدعى " حركة غدر " (التمرد).

المؤتمر : 1908 - 1914م

لم يقم المؤتمر بنشاطات كثيرة في الفترة بين 1908 و 1914م . في عام 1911 م قام البريطانيون بالتوحيد بين شرق بنجال و غربها من جديد و جعلوا من بيهار و أريسه إقليمين على حدتين ، ذلك بهدف إرضاء الاعتداليين . كما نقل البريطانيون مركز حكمهم من كلكتا إلى دلهي .

الحرب العالمية الأولى

في عام 1914م بدأت الحرب العالمية الأولى و هي كانت حربا كبيرة تورط فيها العديد من بلدان العالم . وعد القادة الهنود الولاء لبريطانيا أثناء الحرب أملا بأنها ستعطيهم حق الحكم الذاتي بعد انتهاء الحرب ، و لكن لم يدركوا أن بريطانيا و البلدان الأخرى كانت تحارب في الحقيقة بهدف الحفاظ على مستعمراتها .

حركة الحكم الأهلي

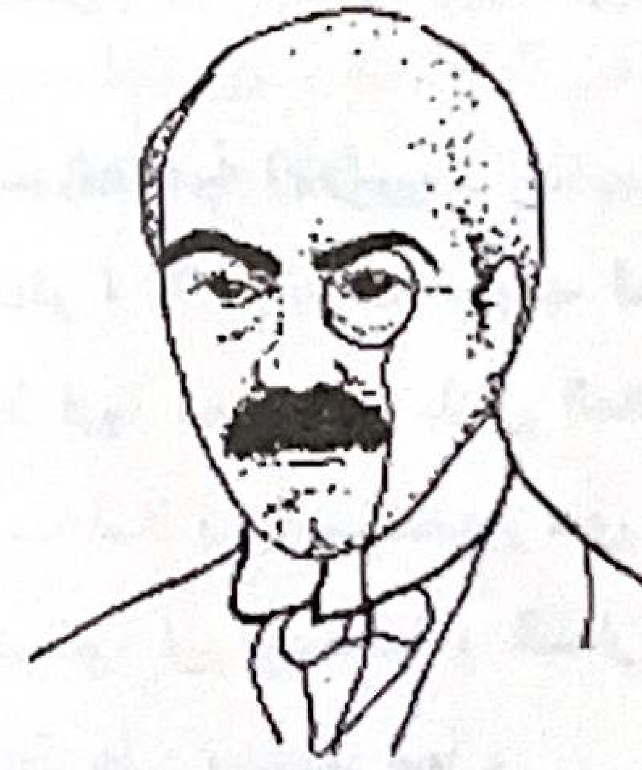
في الفترة بين 1915 و 1916م بدأ تيلاك و انى بسانت حركة الحكم الأهلي قائلين إنهما ليسا مضادين للحكومة البريطانية و لكن يريدان الحصول على مزيد من الصلاحيات للهنود . و قال تيلاك إن الهند مثل ولد قد نشأ و على والده (بريطانيا) أن يعطى ابنه شيئا من الاستقلالية . و كان الزعيمان يطالبان بحكم ذاتي داخل الإمبراطورية البريطانية مثل الحكم الذي حصلت عليه كندا و أستراليا.

الاخوة يلتقون بالاخوة

اجتمع المؤتمر القومي الهندي في لكناو عام 1916م و أدرك قادة المؤتمر أن عدم الوحدة لم تكن مساعدة لهم فرحبوا بعودة تيلاك و غيره من المتطرفين إلى المنظمة . و قال رئيس الجلسة ايه . سى . مازومدار " إنه بعد عشر سنوات للمفارقة الأليمة التقى الاخوة بالاخوة في نهاية الأمر . "

اتفاقية بين المؤتمر و الرابطة

حان الوقت للوحدة الكبيرة حيث وقع المؤتمر و الرابطة أيضا على اتفاقية و قدما مطالبهما إلى بريطانيا . و حتى ذلك الوقت نشأ فريق للشباب في الرابطة لم يكن مؤيدا لبريطانيا ، و طالب بإصلاحات سياسية مبنية على الدوائر الانتخابية المستقلة للمسلمين .



اللورد مونتاجو

الأمل الجديد

قام الناس جميعا بالعمل معا من أجل الحكم المحلى . و عند ما اعتقلت انى بسانت عام 1917م قدم المزيد من الزعماء تأييدهم للحركة ، و أثار اللورد مونتاج أملا جديدا لدى الهنود بوعده بأن الحكومة البريطانية ستمنح الهند الحكم الذاتي تدريجيا .

نهاية الحرب

حتى عام 1918م انتهت الحرب و أصبحت حركة الحكم الأهلي في حالة الجمود . حارب الهنود في بلدان نائية أثناء الحرب و ماتوا من أجل بريطانيا . والآن و بعد انتهاء الحرب ارتفعت الأسعار و شاعت البطالة في الهند و سرعان ما خاب الأمل في الحكم الذاتي .

إصلاحات مونتاج - شيلمسفورد

إصلاحات مونتاج - شيلمسفورد جاءت تحت اقتراح نص على أنه سيكون هناك عضوان منتخبان آخران في المجلس الإمبريالي و المجالس التشريعية الإقليمية ، و في إطار نظام جديد نالت الحكومات الإقليمية مزيدا من الصلاحيات ، فاصبح الوزراء يتحكمون في شئون معينة و منها التعليم و الصحة بينما بقيت الشئون الأكثر أهمية مثل المالية و القانون تحت سيطرة الحاكم . ومازالت الصلاحيات الحقيقية لدى الحاكم العام



اللورد تشلمسفورد

و مجلسه التنفيذي . و أبدى المؤتمر استياءه إلى هذه المقترحات في أغسطس 1918م .

قانون رووالت

في مارس 1919م أقرت الحكومة قانون رووالت ، ووفقا لهذا القانون كان يجوز إلقاء أي هندي في السجن بدون محاكمة و التفتيش في بيته بدون رخصة رسمية . و أدى هذا القانون إلى أحداث مدمرة اتخذت الحركة القومية بعدها اتجاها جديدا ، و أصبح موهنداس كرم تشاند غاندى الذي لقب فيما بعد بالمهاتما غاندي قائدا جديدا للحركة .

الحركات الثورية

الثوريون الأوائل

كانت هناك اتجاهات أخرى في الهند في ذلك الوقت ، و اعتقد البعض أن المقاومة السلمية سوف لا تكون ذات فائدة بل يجب أن تقابل القوة بالقوة . و في عام 1904م كون في . دي . سافاركار جمعية ثورية سرية . و كتب الثوريون في الصحف - ساندهيا و يوجانتار و كال- أن الطريقة الوحيدة للتخلص من بريطانيا هي الإرهاب ، فتم تكوين جمعيات سرية أخرى و أشهرها كانت " أنوشيلان ساميتى " . حاول هولاء الثوريون الأوائل اغتيال المسئولين البريطانيين , و حتى أنهم القوا قنبلة على نائب الملك - هاردينج - عام 1912م و لكنه أصيب بجروح فقط .

حزب غدر

شهدت فترة الحرب (1914-1918م) جهدا واسع النطاق لإخراج البريطانيين من الهند . و كان حزب غدر أهم الفرق الثورية و تم تكوينه من قبل المهاجرين الهنود في الولايات المتحدة و كندا في محاولة للعودة إلى الهند بينما كانت بريطانيا منهمكة في الحرب العالمية الأولى .

الراتب - الموت

بدأوا إصدار صحيفة باسم غدر (التمرد) و طلبوا فيه من الجنود الشجعان أن يبدأوا حركة للتمرد في الهند ، وجاء في إعلان :

الراتب - الموت

الثمن - الاستشهاد

معاشات التقاعد - الحرية

ساحة القتال - الهند

انضم كثير من الهنود إلى الحركة و جاءوا إلى الهند و انضمت إليهم بعض الكتيبات الهندية و الثوريون المحليون ، و لكن البريطانيين إطلعوا على خطتهم فهزموهم و ألقوهم في السجن أو قتلوهم .

كافة الأديان

كان حزب غدر يضم السيخ و الهندوس و المسلمين فقاتلوا جميعا صفا واحداً بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية و تحت قيادة لالا هرديال و بابا جورموخ سينغ و بهاى برماننـد و محمد بركت الله و غيرهم .

باغا جاتين

كان جاتين موخرجى الملقب بباغا جاتين ثوريا كبيرا آخر من بنجـال ، و مات و هو يقاتل الشرطة ، و لكن الإرهابيين الثوريين لم يحاولوا القيـام بدور كبير في الحركة القومية و ينقصهم التنظيم الجيد فضلا عن عدم إقبال الكثير من الناس على الحركة الإرهابية .

الفصل الثالث و الأربعون

المهاتما غاندي و عدم التعاون

ولد موهن داس كرم تشاند غاندي في بور بندر في إقليم كجرات في 2 أكتوبر 1869، و ذهب إلى إنجلترا لدراسة الحقـوق ، و فـي عـام 1893م ذهب إلى جنوب إفريقيا ليعمل محاميا ، و سـرعان مـا بـدأ الكفاح ضد حكومة البيض نيابة عن الآسيويين و الأفارقة الذين كانوا قد يتلقون منها معاملة سيئة .

ساتيا جراها

شن غاندي نوعا من المقاومـة يـدعى ساتياجراها ، و الكلمة تعنى استـخدام الصدق و عدم العنف لمحاربة الظلم ، و قال غاندي إن على المرء أن يقـاوم جميع أشكال الظلم بصـورة علنيـة و سلمية و بدون خوف ، و عندما عـاد إلى الهند عام 1915م كان قـد اصـبح معروفا بالفعل بسبب أعماله في جنوب إفريقيا .



المهاتما غاندي

في الهند

أقام غاندي " سابر متي آشرم " (الزاوية الروحية) في احمد آباد و جرب " ساتياجراها " لحل بعض المشاكل المحلية في شمبارن بولاية بيهار و خيدا و احمد آباد في كجرات . أما الحركة القومية فلم يتول قيادتها إلا في عام 1919م .

مجزرة جليان والا باغ بمناسبة" بيساخي "

على أثر إقرار قانون رووالت نظمت المظاهرات الاحتجاجية عبر الهند و دعا المهاتما غاندى لإضراب عام في جميع أنحاء الهند في 6 أبريل 1919م مصحوب بالإمساك عن الأكل و تنظيم الأدعية الجماعية . و لكن أحداث العنف بدأت تقع في مختلف أنحاء البلاد . في ولاية بنجاب اعتقل زعيمان . و في أحداث العنف هذه قتل موظفان و أصيبت امرأتان بريطانيتان بجروح . حظر اللواء الجنرال داير الذي كان ضابطا في الجيش البريطاني و مقيما في أمرتسار كافة الاجتماعات ، و لكن مئات الناس تجمعوا في 13 أبريل بمناسبة احتفالات "بيساخي " في جليان والا باغ بمدينة أمرتسار لحضور اجتماع عقد لاستنكار إجراء الحكومة البريطانية لاعتقال قادتهم . أمر الجنرال داير جنوده بفتح النار على الناس العزل بدون إنذارهم قبل إصدار ذلك الأمر ، فراح مئات الناس ضحايا لرصاصات الجنود حيث لم ينالوا مهربا من ذلك المكان الذي كانت تحيط به أسوار عالية .

و بعد 13 ابريل أنزلت عقوبات رهيبة و غريبة على الناس في أمرتسار فضربوا بالسياط و اجبروا على الزحاف على الشارع حيث

جرحت النساء البريطانيات و قيدوا بالسلاسل معا و نقلوا إلى الأقفاص الموضوعة في شاحنات مكشوفة . و أجرى التحقيق فيما بعد في بريطانيا و أرغم الجنرال داير للاستقالة ، و لكن مجلس اللورد في البرلمان البريطاني أيد الاجراء الذي اتخذه داير فى جليان والا باغ . و ناشدت صحيفة بريطانية " دى مورنينج بوست " قراءها التبرع لمساعدة الجنرال داير فتم جمع حوالي 930000 روبية له .

حركة الخلافة

بدأ المسلمون الوطنيون حركة في تأييد تركيا و كانت قد لقيت الهزيمة على يد بريطانيا أثناء الحرب . و خطط البريطانيون احتلال آسيا الصغرى و ثراس و تقليص قوة تركيا ، الأمر الذي عارضه المسلمون الهنود .

موعد للوحدة

في ذلك الوقت كان جميع الناس في الهند متحدين ضد قانون رووالت و الأحداث التي وقعت في بنجاب . و في عام 1920 بدأ المؤتمر و حركة الخلافة حملة مشتركة لعدم التعاون بهدف إكراه بريطانيا على تدارك الظلم الذي مارسته في بنجاب و أيضا ضد الخلافة العثمانية و الكفاح من أجل " سواراج " أي الاستقلال .



موتي لال نهرو

عدم التعاون

دعي الناس لعدم استعمال الأقمشة و السلع

الأجنبية و مقاطعة المدارس و الكليات الحكومية و المحـــاكم و المجـــالس التشريعية و أيضا لتعلم غـــزل و نســـج القماش المحلي و الاعتماد على الذات. و كانوا مطالبين بالازدراء بقوانين الحكومة مع التمسك بالسلام و بدون اللجوء إلـــى العنف. و مازال أعضاء مـــن المـــؤتمر يفضلون التصرف في إطار القانون و لم يوافقوا على مبدأ عدم التعاون ، فخرجوا من المنظمة و كان من بينهم انى بسانت و محمد على جناح و بي. سي. بال.


سي آر داس

المدارس و الكليات و المحاكم

في الفترة بين 1921 و 1922م حققت حركة عدم التعاون نجاحا كبيرا ، و يقال إن 90 ألف طالب تركوا المدارس و الكليات الحكومية ، و أقيمت معاهد تعليمية هندية جديدة بلغ عددها 800 معهد . و توقـــف بعض المحامين البارزين و منهم سي .آر. داس و موتى لال نهرو و آصف علي من حضور المحاكم القانونية .

إحراق الأقمشة الأجنبية

نظم عمل إحراق الأقمشة الأجنبية في كل مكان ، و هبطت قيمة الواردات من الأقمشة الأجنبية من مليار و 20 مليون روبية عـــام 1920-21م إلـــى 570 مليون روبية عام 1921-22م ، و أدى ذلك إلـــى خســـارة بالنســـبة للبريطانيين الذين كانوا يكتسبون المبالغ باستيراد الأقمشة في الهنـــد . بـــدأ

كثير من الناس يستعملون القماش المحلي " خادي " .

المال و العضوية

تبرعت النساء بما كان لديهن من حلى ومجوهرات ، و تم جمع اكثر مـــن 10 ملايين روبية ، و ازداد عدد أعضاء المؤتمر إلـــى خمســـة ملايـــين ، ووجه النداء إلى جميع الهنود لوقف العمل للحكومة .

العنف

في فبراير 1922م نظم المؤتمر و حركة الخلافة مسيرة في شـــاوري-شاورا في جورخبور بولاية أتر براديش حيث لاحـــق النـــاس رجـــال الشرطة و أحرقوا 22 شخصا منهم داخل مركز للشـــرطة ، فـــأدرك غاندى أن الناس ليسوا مستعدين لحركة " ساتياجراها " السلمية فطلـــب منهم وقف حركة عدم التعاون.

النتائج

كانت حركة عدم التعاون ناجحة بوجه خاص في بنجال و بنجاب و بومباى و أتر براديش و بيهار و أريسا و آسام . و كاد المؤتمر أن يبدأ العصـــيان المدني أو عدم دفع الضرائب عند ما قرر غاندى وقف الحركـــة ، و كـــان زعماء آخرون للمؤتمر و منهم موتى لال نهرو و سى . آر . داس يريدون مواصلة عدم التعاون و لكنهم احترموا قرارغاندي لوقف كافة الأنشطة التي تنطوي على خرق القانون بصفة مؤقتة .

اعتقال غاندي

اعتقل غاندي في مارس 1922م و حكم عليه بعقوبة الســـجن لمـــدة ســـت

سنوات ، و سرعان ما انتهت حركة الخلافة حيث قام كمال باشا بتحديث تركيا و ألغى منصب الخلافة . أما حركة عدم التعاون فلم تتوقف تماما و لكنها أصبحت بطيئة .

الفصل الرابع و الأربعون

السنوات المتوسطة

1922-1929م

أثناء هذه الفترة ظهر فريقان من كوادر المؤتمر : فريق مكون من اتباع غاندي عمل في الزوايا الروحية ، و فريق آخر لمن انتخبوا للمجالس التشريعية و عارضوا سياسات بريطانيا من داخل الحكومة. و ظاهرة مؤسفة لهذه الفترة كانت انعدام الوحدة بين المنظمات الدينية المختلفة .

عمال الزوايا

أطلق سراح غاندي عام 1924م نظرا لرداءة صحته ، و أقيمت مئات الزوايا تحت قيادته في كافة أنحاء البلاد حيث تلقى كوادر المؤتمر التدريب و تعلموا غزل و نسج القماش " خادي " و دعوا الناس لمقاطعة الأقمشة الأجنبية و ارتداء القماش المحلى و استمروا كذلك في مقاطعة المعاهد و المؤسسات و عملوا من أجل الوحدة بين الهندوس و المسلمين و نشر التعليم بين الطوائف الأدنى و القبائل و تدربوا في ممارسة مبادئ "ساتيا جراها" .

حزب سواراج (الاستقلال)

قرر فريق آخر في المؤتمر تحت قيادة موتي لال نهرو و سي آر داس لخوض المعركة الانتخابية للمجالس التشريعية و اعتزموا لمكافحة الحكومة من الداخل فكونوا حزب

سواراج (الاستقلال) و لكن لم يخرجوا من المؤتمر .

مؤيدون و معارضون للتغييرات

أصبح أعضاء حزب سواراج يدعون مؤيدين للتغيير أي الذين غيروا طريقة العمل بينما دعي عمال الزوايا بمعارضي التغيير، و كان هناك اختلاف بسيط في آراء الفريقين ، و لكن غاندي دبر منعهما من الانفصال .

لجنة سيمون و تقرير نهرو

في عام 1927م عينت بريطانيا لجنة أو فريقا للناس لتقرير مزيد من الإصلاحات في الهند ، و كان يرأسها السير جون سيمون زعيم سياسي بريطاني ، وكان الهنود معارضين لتلك اللجنة بناء على كون أعضائها جميعا من البريطانيين . و كانوا قد أدركو أن أي إصلاحات حقيقية لا يمكن تنفيذها بدون مشاركة الهنود في الحكم . و لذا اجتمع الزعماء الهنود من كافة الأحزاب و قرروا تقديم دستور أو خطة لحكومتهم . و قامت لجنة تحت رئاسة موتي لال نهرو بوضع هذه الخطة التي أصبحت تدعى تقرير نهرو . و طالب هذا التقرير بمكانة الدومينيون للهند أي حكومة الهنود مع كون البريطانيين حكاما بالجملة ، و لكن بضعة أعضاء شباب للمؤتمر مثل جواهر لال نهرو و سوبهاش تشاندرا بوس كانوا ضد الخطة و طالبوا بالاستقلال التام .

« اذهب يا سيمون »

عند ما وصلت لجنة سيمون في بومباي في فبراير 1928م نظم إضراب عام عبر الهند ، و حيثما ذهب سيمون و

رجاله استقبلوا برأيات سوداء و المظاهرات و الإعلانات القائلة " اذهب يا سيمون " و في لاهور ضرب لالا لاجبت راي و هو يقود مظاهرة ضد سيمون بالعصي و توفى فيما بعد.

« بورنا سواراج »

اجتمع المؤتمر القومي الهندي في لاهور في ديسمبر1929م و بدأ الاستعداد لحركة جديدة و أعلن أن " بورنا سوراج " (الاستقلال التام) كان غايته . و اختار علما ذا ثلاثة ألوان - البرتقالي و الأبيض و الأخضر - كعلم للحرية و حدد 26 يناير يوما لرفع ذلك العلم عبر البلاد في كل سنة ، و ادعوه يوم الاستقلال و تم تعيين جواهر لال نهرو رئيسا لتلك الجلسة للمؤتمر . و تجمعت كافة فرق المؤتمر تحت قيادة غاندي لشن حركة العصيان المدني ، و أصبح الناس مغمورين بالأمل و الحماس و التطلع ليكونوا أحرارا .

الاتجاهات الأخرى بين 1922-1929م

الإرهاب الثوري

أثناء هذه الفترة تجدد الإرهاب و كان الإرهابيون الآن يستلهمون الثورة الروسية و الأفكارالشيوعية والاشتراكية ، فبدأوا في أعمال النهب للحصول على الأموال و القذف بالقنابل و اغتيال الناس . و في 17 أكتوبر 1928م قتل بهاغت سينغ و تشاندرا شيخار آزاد و راجكورو الشرطي الذي كان قد هاجم لالا لاجبت راى بالعصي و إسمه ساوندرس . و كان آزاد و راجكورو عضوين للجمعية الجمهورية الهندوستانية (أو الجيش) التي كانت تؤمن بتحقيق الحرية بالقوة أو النضال المسلح . و بعد قتله قالوا إننا

نتاسف على قتل شخص و لكنه كان شريكا في نظام غير إنساني و ظـالم يجب القضاء عليه . و استهدفت الجمعية شن ثورة واسعة النطاق و قلـب نظام الحكم .

الفصل الخامس و الأربعون

العصيان المدني : 1930-34م

قال غاندي : " إن الحكم البريطاني في الهند قد سبب دمارا ماديا و ثقافيا و روحيا لهذه البلاد ، وأني اعتبر هذا الحكم لعنة و اعتزم لتدمير هذا النظام للحكم " و فكر غاندي في إبادة الحكومة بخرق قوانينها بصورة سلمية " .

إنتاج الملح في داندي

قرر غاندي أن يبدأ حركته بخرق قانون الملح و سار مشيا على الأقدام إلى 320 كيلو متر من سابرمتي إلى داندي على امتداد شـاطئ البحـر فـي كجرات في مارس / أبريل 1930م ، و انضمت إليه حشود من الناس في الطريق . و في داندي قام غاندي و زملاؤه بإنتاج الملح . و في تاميل نادو نظم تشاكرا فارتي راجاجولا أتشاري مسيرة ملح مـن تريشـنوبولي إلـى فيدارانيام ، وكان سكرتيرا عاما للمـؤتمر القـومي الهنـدي عـام 22 – 1921م و عضوا للجنة العاملة للمؤتمر .

خدائى خدمتجار (خد ام الإلاه)

في إقليم الحدود الشمالية الغربية شن خان عبد الغفار خان و أتباعـه مـن الثوريين السلميين – (خدائي خدمتجار) حركة للعصيان المدني .

الإغارة على دهاراسانا

سرعان ما اعتقل عدة زعماء و من بيـنهم غانـدي و لكـن الحركـة

استمرت فقادت سروجني نائيدو إغارة على مصانع الملح في دهاراسانا التي كانت تتحكم فيها الحكومة البريطانية . تقدم الناس صفا صفا نحو مصانع الملح و تعرضوا للضرب الشديد بالعصي من قبل الحراس ، و لكن أحدا منهم لم يحاول أن يتراجع . وصف "ويب ميلر" صحفي أمريكي ذلك المنظر قائلا : " لا أحد من الزاحفين رفع سلاحا دفاعا عن نفسه من ضربا ت العصي ... سمعت أصوات ضربات العصي الباعثة للاشمئزاز على الجماجم غير المصونة ... كانت الأرض مغطاة بالأجسام البشرية مع بقعات كبيرة للدماء على ملابسهم . " و في هذا الحادث أصيب 320 شخصا بجروح و توفى شخصان .

نشاطات أخرى

فضلا عن الملح المنتج في المصانع البريطانية شملت المقاطعة الأقمشة و الخمور الأجنبية . و في شرق الهند توقف الناس عن دفع الضريبة الخاصة بالحراس و التي كانت تشكل مصدرا لرواتبهم وكانت تؤخذ من كل قرية . توقف القرويون من دفع هذه الضريبة خاصة لأن الحراس كانوا يعملون كجواسيس للحكومة البريطانية ، و في مهاراشترا و الهند الوسطى قام الناس بخرق القوانين الخاصة بالغابة التي منعت القرويين من جمع الحطب من الغابة. و في أتربراديش بدأت حملة للامتناع من دفع أجرة الأرض حيث طلب قادة حركة العصيان المدني من ملاك الأراضي ألا يدفعوا الضرائب للإدارة البريطانية وطلبوا من المستأجرين أو الفلاحين ألا يدفعوا الأجرة لملاك الأراضي ، و بينما توقف الفلاحون من دفع الأجرة مازال معظم ملاك الأراضي موالين لبريطانيا و استمروا في دفع الضريبة .

حاول الناس في كل مكان أن يرفعوا العلم الوطني و سار الأطفال الصغار في الشوارع مرتدين ملابس ذات الألوان الثلاثة للعلم الوطني .

شارك في هذه الأنشطة الأطفال و الطلبة و النسوة و سكان الأرياف واعتقل 90 ألف شخص و ألقوا في السجن . هبطت الواردات البريطانية و بالتالي كان هناك هبوط في الدخل الحكومي . و حاول البريطانيون إيجاد حل وسط عام 1931م .

اتفاق غاندي - اروين

نظم البريطانيون مؤتمرا يدعى مؤتمر المائدة المستديرة للزعماء الهنود و عقد ذلك في الفترة بين نوفمبر 1930م و يناير 1931م . و لم يحضر المؤتمر القومي الهندي ذلك المؤتمر . و لكن أبرم اللورد اروين اتفاقا مع غاندي في مارس 1931م يعرف باتفاق غاندي - اروين اتفق البريطانيون بموجبه على إطلاق سراح المعتقلين السياسيين الذين لم يتورطوا في أعمال العنف . و مقابل ذلك أوقف غاندي حركة العصيان المدني و اتفق علي أن المؤتمر القومي سيشارك في المؤتمر التالي للمائدة المستديرة . غير أن الحكومة لم تتفق على الإفراج عن بهاغت سينغ و الإرهابيين الثوريين الآخرين وحتى على تجميد عقوبتهم للإعدام . و لذا فان العديد من قادة المؤتمر عارضوا توقيع الاتفاق من قبل غاندي . و اعدم بهاغت سينغ و سوخ ديف و راجكورو شنقا في 31 مارس .

المؤتمر الثاني للمائدة المستديرة

ذهب غاندي إلى إنجلترا في سبتمبر 1931م لحضور المؤتمر الثاني للمائدة المستديرة ، و لكن المؤتمر انتهى بمفاوضات عقيمة ، فعاد غاندي في يناير1932م و استأنف حركة العصيان المدني.

اعتزم نائب الملك الجديد اللورد ويلينجتون لقمع الحركة فاعتقل مائة ألف شخص من عناصرها فضلا عن انتزاع أملاك كثيرة و تعذيب كثير

ن الناس بمن فيهم نسوة . و تدريجيا صارت الحركة ميتة ، فقام المؤتمر القومي بتجميدها في مايو 1933م و سحبها في مايو 1934م

سوريا سين و ثوار آخرون

في الفترة بين 1930 و 1933م استمر الإرهاب الثوري ، فنظم سوريا سين في بنجال إغارة على مستودع الأسلحة في تشيتاجونج ، و أصبحت كثيرة من النسوة الشابات إرهابيات و قامت طالبتان للمدرسة بقتل القاضي الإداري للمديرية رميا بالرصاص ، و لكن معظم الثوريين اعتقلوا و القوا في السجن أو قتلوا . و قتل تشاندرا شيخار أزاد رميا بالرصاص من قبل البوليس عام 1931م بينما اعتقل سوريا سين في فبراير 1933م و أعدم شنقا .

غاندي و الهاري جان (المنبوذين)

بعد عام 1933م ازداد غاندي قلقا من وضع الهاري جان (المنبوذين) و اهتماما بضرورة التخلص من المنبوذية . في عام 1932م عند ما خصصت الحكومة دوائر انتخابية مستقلة للمنبوذين بدأ غاندي الإضراب عن الأكل حتى الموت و هو في السجن ، و كان تخصيص دوائر إنتخابية للمنبوذين يعنى اعتبارهم طائفة مختلفة عن بقية الهندوس ، و أنهى الإضراب عن الأكل عندما تم حجز المقاعد للمنبوذين بدلا من تخصيص الدوائر الانتخابية . و أثناء الإضراب أقيمت عدة معابد و حفرت الآبار للمنبوذين .
و في الفترة بين 1933 و 1934م تجول في كافة أنحاء الهند ضمن حملة ضد المنبوذية .

الفصل السادس والأربعون

أول حكومة هندية: 1935-1939م

تم انتخاب الهنود لتشكيل الحكومة في معظم الأقاليم الهندية التي كانت تحت سيطرة بريطانيا في الفترة بين 1935 و 1939م ، كان ذلك نتيجة لقانون حكومة الهند لعام 1935 الذي سمح للهنود بتشكيل نوع من حكومة ممثلة .

حكم المؤتمر 1937-1939م

فاز المؤتمر في سبعة أقاليم من جملة 11 إقليما و شكل الحكومة فيها بوحده بينما شكل حكومة ائتلافية في إقليمين آخرين .

لم يكن المؤتمر يملك صلاحيات كافية لتغيير كل شئ و لكن إخلاصه و أمانته ألهمت الشعب الهندي حيث عمل على تطوير التسهيلات التعليمية و الطبية و أقر القوانين لمنفعة الفلاحين و أفسح المجال لنشاطات النقابات العمالية . كما أطلق سراح العديد من الأسرى السياسيين و منح الحرية للصحافة . كان الناس سعداء على أنهم يحكمون الآن من قبل زعمائهم الذين كانوا في السجون .

الأفكار الاشتراكية

في ذلك الوقت استمرت الأفكار الاشتراكية في النمو حتى داخل حزب المؤتمر و طلب جواهر لال نهرو من المؤتمر أن يقبل بالاشتراكية كهدف له و يتقرب إلى الفلاحين و العمال . كان سوبهاش تشاندرا بوس زعيما

اشتراكيا آخر في المؤتمر ينتمى إلى أريسا و كان قد انضم إلى الخدمات المدنية العالية عام 1920م و لكن ترك الوظيفة الحكومية ملهما بشخصية غاندي و شارك في حركة الحرية عام 1921 م فصاعدا . غير أن أفكاره كانت تتصف بتطرف متزايد فكان يريد بدء نضال في كافة أنحاء البلاد ، و عند ما عارضه غاندي خرج هو و زملاؤه من المؤتمر و شكل حزبا جديدا سماه بالكتلة التقدمية عام 1919م .

المطالبة بباكستان

فيما يخص الرابطة الإسلامية فلم يكن أداؤه جيدا في الإنتخابات الإقليمية . حاول محمد علي جناح إدخال الذعر و الخوف في نفوس المسلمين بهدف الحصول على مزيد من التأييد من الأقلية المسلمة قائلا إن الأقلية المسلمة سوف لا تتمتع بحقوقها إذا بقيت تتعايش مع الأغلبية الهندوسية . في عام 1940م تبنت الرابطة الإسلامية مشروع قانون يقضي بدولة على حدة تدعى باكستان .



محمد علي جناح

و جاء في القرار أن المناطق التي يشكل فيها المسلمون غالبية السكان ستحول إلى دولة مستقلة تتمتع وحداتها بالحكم الذاتي و السيادة . غير أنه لم يكن من الواضح ما إذا كانت الرابطة تطالب ببلد منفصل أو بدولة تكون جزءا لإتحاد فدرالي مرن . و قالت منظمة هندو مهاسبها و العناصر الطائفية الهندوسية الأخرى أيضا إن الهند أرض للهندوس .

الحرب العالمية الثانية

في غضون ذلك بدأت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939م ، و إنها كانت حربا كبيرة أخرى تورط فيها العديد من دول العالم .

الفصل السابع والأربعون

الهند أثناء الحرب العالمية الثانية

عند ما بدأت الحرب العالمية الثانية وعدت الهند بدعمها لبريطانيا في الحرب ضد ألمانيا و إيطاليا بشرط أن تعطى الحرية أو على الأقل الحكم الذاتي . كانت بريطانيا قد تحدثت عن الديمقراطية و حق البلدان في تقرير مصيرها إبان الحرب العالمية الأولى أيضا . و لكن الهند مازالت تحكم من قبل بريطانيا . و قال غاندي إن الشعب الهندي لا يرغب في الحرب و إنه لا يميز بين النازية و الأتوقراطية المضاعفة التي تحكم الهند .

و بما أن البريطانيين لم يوافقوا على الحكم الذاتي للهنود قدم زعماء المؤتمر استقالتهم.

عرض أغسطس

قدم نائب الملك اللورد لينليثجو عرضا إلى الهنود في أغسطس 1940م قائلا إن المجلس التنفيذي لنائب الملك سيوسع بصورة فورية ليضم مزيدا من الهنود فضلا عن تشكيل مجلس استشاري خاص بالحرب و إن فريقا ممثلا للهنود سيضع دستورا جديدا للهند بعد انتهاء الحرب . و لكن المؤتمر رفض هذا العرض و طالب بتغييرات فورية .

بعثة كريبس – 1942م

كانت بريطانيا متهورة في محاولتها للحصول على تأييد الهند قيادة و شعبا فبعثت بالسيرستافورد كريبس إلى الهند مع عرض جديد .

قال إستافورد كريبس إن هدف بريطانيا كان إقامة الحكم الذاتي في الهند في أسرع وقت ممكن . و لكن الهنود لم يعودوا مقتنعين بالوعد البريطاني و طالبوا بالسلطة الفورية و لكن لم يتلقوها.



سباش شندر بوس

العمل أو الموت

اجتمعت لجنة حزب المؤتمر لعموم الهند في بومباي في 8 أغسطس 1942م و تبنت مشروع قرار يقول إن الهند ، إذا كانت حرة ، ستدعم حتما بريطانيا في الانتصار في الحرب و عندئذ سيمكن للهند أن تكرس كافة مواردها الكبيرة للنضال من أجل الحرية و ضد العدوان الممارس من قبل النازية و الفاشية و الإمبريالية .

قال غاندي : " لا يمكن للهند أن تنتظرلمزيد من الوقت ، إني أريد الحرية العاجلة و هناك حيلة بسيطة لذلك أطلعكم عليها و ينبغي لكم أن ترسموها على صفحات قلوبكم و تتنفسوا بها ، و هذه الحيلة هي " العمل أو الموت " و إننا سنحرر الهند أو سنموت في سبيل ذلك و نود ألا نعيش لكي نشهد إدامة رقنا ".

حركة " مغادرة الهند "

في صباح 9 أغسطس اعتقل غاندي و قادة آخرون ، فبدأ الإضراب في كل مكان و هاجم الناس المباني الحكومية و قطعوا خطوط الاتصال و منها السكك الحديدية و سيطروا على مراكز السلطة في مختلف أنحاء الهند ، و لكن الحكومة استخدمت القنابل و الرشاشات لقمع الحركة و قامت بتعذيب و اعتقال كثير من الناس ، و الفترة التالية لم تشهد نشاطات سياسية كثيرة حتى عام 1945م .

الجيش الوطني الهندي

في عام 1943م نظم سوبهاش تشاندرا بوس جيشا لمحاربة البريطانيين بمساعدة اليابان و سماه (آزاد هند فوج) أى الجيش الوطني الهندي ، و تحت قيادة الجنرال شاه نواز وصل هذا الجيش إلى إمفال و لكن لم يتمكن من الزحف إلى الأمام بعد أن تراجع اليابانيون .

انتهاء الحرب

انتهت الحرب عام 1945 و بدأت آخر مرحلة للكفاح من أجل الحرية .

الفصل الثامن و الأربعون

المرحلة الأخيرة :
1945 - 1947 م

وصلت الهند حينذاك المرحلة الأخيرة لكفاحها من أجل الاستقلال ، و عبر السنوات كافح الناس بعدد يفوق الحصر من أجل الاستقلال و عانى الكثير منهم و ماتوا و بدأت جهودهم الجماعية الآن تعطى ثمارها .

اعتقال الجنرالات

بعد الحرب اعتقل البريطانيون ثلاثة جنرالات للجيش الوطني الهندي و هم شاه نواز وجورديال سينغ دهيلون و بريم سهجال و اتهموهم بالخيانة حيث كانوا في الجيش الهندي البريطاني فيما سبق . و بينما جرت محاكمتهم في القلعة الحمراء تظاهر ألوف الناس من أجل الإفراج عنهم في كافة أنحاء الهند مما أكره البريطانيين على إطلاق سراحهم .

الإضرابات

عم التذمر مناطق كثيرة في الهند و حدث التمرد في سلاح البحرية فضلا عن قيام الفلاحين و العمال و الطلبة بتنظيم الإضرابات عن العمل و حتى أن عناصر سلاح الطيران و الجيش أيضا أضربت عن العمل ، و بدأت النزعة القومية تنال طريقها إلى قلوب رجال البوليس و الإداريين ، و أدرك البريطانيون أنه لم يعد ممكنا لهم مواصلة سيطرتهم على الهند .

بريطانيا التعبانة

بالإضافة إلى هذا أصبحت بريطانيا تعبانة بالحرب . و حل حزب العمال محل المحافظين في مقاعد الحكم البريطاني ، و كان اكثر عطفا تجاه المؤتمر و القومية . وكانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قد خرجتا من الحرب كقوتين عظميين للعالم و هما أيضا من مؤيدي استقلال الهند .

البعثة الوزارية

بعثت الحكومة البريطانية بفريق للوزراء مع خطة لتحويل السلطة تنص على تشكيل اتحاد للولايات و الأقاليم يتحكم في شؤون الدفاع و الاتصال والشؤون الخارجية بينما تبقى الصلاحيات المتبقية لدى الأقاليم أو مجموعة للإقاليم ، و بدلا من المجلس التنفيذي لنائب الملك اقترحت الخطة بحكومة مؤقتة تشمل ممثلين من كافة الأحزاب السياسية وتكون مجلسا تأسيسيا يقوم بدوره بوضع دستور جديد للهند الحرة ، و اتفق المؤتمرالقومي الهندي و الرابطة الإسلامية على ذلك . فتم تشكيل الحكومة المؤقتة في سبتمبر برئاسة جواهر لال نهرو وانضمت إليها الرابطة الاسلامية في أكتوبر.

العمل المباشر من أجل باكستان

طالبت الرابطة الإسلامية ببلد على حدة ، و لذا أعلنت يوم العمل المباشر في 16 أغسطس 1946م و خرج أنصارها في شوارع مدينة كلكتا مطالبين بباكستان ، فحدثت الاضطرابات الطائفية و راح ضحيتها 5000 شخص ، و انتشرت الاضطرابات في مختلف أنحاء البلاد فتجول غاندي مشيا على القدمين عبر ولايتي بيهار و بنجال الشرقية في محاولة لإيجاد السلام .

خطة ماونت باتن

أعلن " كليمنت اتلى " رئيس وزراء بريطانيا في فبراير1947م أن

بريطانيا ستغادر الهند حتى حزيران عام 1948م . جاء اللورد ماونت باتين إلى الهند كنائب الملك في مارس 1947م ، فوضع خطة لحرية الهند تكون الهند بموجبها حرة مع تواجد بلد آخر باسم باكستان . وافق عليها جواهر لال نهرو و قادة المؤتمر و حتى غاندي ، و إنهم لم يكونوا يودون قيام باكستان و لكن شهدت مناطق كثيرة في الهند اشتباكات طائفية بين الهندوس و المسلمين بدون أن تحاول الحكومة البريطانية احتواء الاضطرابات . و في هذا الوضع لم تر قيادة حزب المؤتمر سبيلا آخر .

منحت الأقاليم الإماراتية الخيار في الانضمام إما إلى الهند أو إلى باكستان وبينما انضم معظمها إلى الهند على الفور أخذت حيدرآباد و جمون وكشمير و جونا جاره بعض الوقت في ذلك .

عند منتصف الليل

في 15 أغسطس أصبحت الهند حرة و ظهرت باكستان الغربية و باكستان الشرقية إلى حيز الوجود . تحدث جواهر لال نهرو في تلك المناسبة التاريخية بمنتصف الليل من 14 أغسطس .

"عند دقة ساعة منتصف الليل بينما سيكون العالم راقدا ستتيقظ الهند إلى الحياة و الحرية ، و نادرا ما تأتى لحظة في التاريخ نتخطى فيها من القديم إلى الجديد ، عند ما ينتهي عصر و عند ما تجد روح أمة حرية التعبير بعد كونها عرضة للقمع لوقت طويل" .

غاندي

اصبح الناس مغمورين بالفرح و الابتهاج و خرجوا راقصين إلى الشوارع و لكن غاندي لم ير داعيا لهذا الفرح ، فأقام في كلكتا و حاول وقف الاضطرابات الطائفية و دعا الله أن يضع حدا لأحداث القتل و الفوضى

في الشوارع حيث تفجرت المشاعر الطائفية التي كانت قد تصاعدت عبر السنوات الماضية .

الفرح و الحزن

احتفل الشعب الهندي باستقلال البلاد مع الفرح المصحوب بالحزن بسبب استمرار الاضطرابات و أحداث القتل المستمرة . فكان قد كافح لوقت طويل من أجل الحرية و الآن يأمل في مستقبل أفضل .

تاريخ للهند للأطفال

هذا الكتاب الذي تم تأليفه بأسلوب واضح مع رسوم توضيحية و معلومات وافرة يعتبر أفضل تقديم للهند للأطفال و هو يغطي كافة العصور التاريخية بدءا من حضارة وادي السند الرائعة في عام 2500ق م إلى انتصار حركة الاستقلال الهندية عام 1947م و يصف كبار الشخصيات و أهم الأحداث لتاريخ الهند وصفا دقيقا شاملا. و من الميزات الخاصة لهذا الكتاب :

- سهولة متابعة العناوين للمراجعة السريعة
- رسوم و خرائط توضيحية تضفي الحياة على التاريخ بصفة مثيرة .
- تركيز خاص على الأدب و الآثار .

تاريخ للهند للأطفال كتاب تعليمي ممتع من تأليف "روشن دالال " لابد أن يغرس عميق الحب في قلوب الأطفال للهند .